القرآن

على ضوء الصحيفة السجادية

جمعية القرآن الكريم

الكتاب: القرآن على ضوء الصحيفة السجادية

تأليف: الشيخ فادي الفيتروني

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م لبنان - بيروت

جميع حقوق الطبع محفوظة

القرآن
على ضوء الصحيفة السجادية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد الرسول الصادق الأمين، وعلى الأئمة الأطهار المعصومين من آله الأكرمين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١]

خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتقوا معاصيه ويجتنبوها، وأن يكونوا مع الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون، أي على خط من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، فصاحبوهم ورافقوهم واقتدوا بهم، فقد روى جابر عن أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) في قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال: مع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٢) مجمع البيان: موضع تفسير الآية.

ومن هؤلاء الصادقين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام زين العابدين وهو رابع أئمة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين العابدين أو سيّدهم، والسجّاد، وذي الثفنات.

ولد في المدينة سنة ٣٧ أو ٣٨ هجري، وتوفّي بها عام ٩٤ أو ٩٥ هجري، يوم السبت الثاني عشر من محرّم.

قال ابن خلّكان: هو أحد الأئمة الإثني عشر ومن سادات التابعين. قال الزهري: ما رأيت قرشيّاً أفضل منه. وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصى وتذكر، ولما توفّي دفن في البقيع في جنب عمّه الحسن في القبّة التي فيها قبر العباس - رضي الله عنه -[(١)].

تميزّت سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بمظاهر فذّة، وهي وإن كانت متوفرّة في حياة آبائه وأبنائه الأئمة عليهم السلام، إلاّ أنها برزت في سيرة الإمام عليه السلام بشكلٍ آخر، أكثر وضوحاً، وأوسع دوراً، مما تسترعي الانتباه، وهي:

١- ظاهرة الزهد والعبادة والمواساة للفقراء.

٢- ظاهرة الهيبة والمنزلة العظيمة.

٣- ظاهرة الاهتمام بالقرآن الكريم.

٤- ظاهرة الدعاء.

---

(١) وفيات الأعيان: ج٣، ص٢٦٧ - ٢٦٩.

فإذا سبرنا حياة الأئمة عليهم السلام ، وجدناهم كلّهم يتميّزون في هذه المظاهر على أهل زمانهم، إلاّ أنّها في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام تجاوزت الحدّ المألوف، حتّى كان عليه السلام فريداً في الالتزام بكلٍ منها:

العبادة والزهد، فقد عدّ فيهما: زين العابدين وسيد الزاهدين، حتّى ضُرِب به المثل فيهما.

وأما الدعاء: فالصحيفة التي خلّفها تكفي شاهداً على ما نقول، والبكاء، فقد عدّ فيه: من البكّائين وهكذا بالنسبة لباقي الجوانب.

وسنحاول أن نشاهد أثر الالتزام بهذه المظاهر في ملامح سيرة الإمام عليه السلام ، ونقرأ ما خلّده لنا التاريخ من آثارها في الحياة الاجتماعية للإمام عليه السلام ، وما استهدفه الإمام عليه السلام من اللجوء إليها بهذا الشكل مع الاختصار.

أوّلاً: التزام الزهد والعبادة والمواساة للفقراء:

أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من اللّه فغني عن البيان، لقد أخذت هذه الظاهرة ساعات طويلة من وقت الإمام عليه السلام ، وملأت مساحات واسعة من صفحات سيرته

الشريفة، حتّى أصبح من أشهر ألقابه (زين العابدين)[1] و(سيّد الساجدين).

والزهد، من الفضائل الشريفة التي يتزيّى بها الرجال الطيّبون، المخلصون لله تعالى، الراغبون في جزيل ثوابه، العارفون بحقيقة الدنيا وأنها فانية زائلة، فلا يميلون إلى الاستمتاع بلذّاتها ومغرياتها، بل يقتصرون على الضروريّ الأقلّ، من المشرب والملبس والمسكن والمأكل.

فقد روي عنه عليه السلام، أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: «**أتدرون بين يدي من أريد أن أقف**».

ومن كلماته عليه السلام: «**إنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار**».

وكان إذا أتاه سائل يقول له: «**مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة**».

وكان عليه السلام كثير الصدقات حريصاً عليها، وكان يوصل صدقاته ليلاً دون أن يعلم به احد، وقد روي أنه عليه السلام كان يعول مئة عائلة من أهالي المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات،

(١) تاريخ أهل البيت: ص ١٣٠ -١٣١ .

ولما توفّي عليه السلام أدركوا ذلك.

وفي رواية: أنّه عليه السلام كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «**صدقة السر تطفئ غضب الربّ**».

وفي رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين [1] عليه السلام.

ثانياً: ظاهرة الهيبة والمنزلة العظيمة:

لقد كان عليه السلام مهاباً جليلاً بين الناس بشكل كبير، حتى إنّ هذه المنزلة العظيمة جعلت الأمراء والحكّام يحسدونه عليها، والتاريخ يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعدّدة، ومن ذلك: لمّا حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك، وجاء علي بن الحسين عليهما السلام فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتى استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه (مع أنّه كان يعرفه أنّه علي بن الحسين عليه السلام) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّي أعرفه، هذا علي بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التي منها هذه الأبيات:

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٩٤.

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقي النقي الطاهر العلمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته فما يكلّم إلاّ حين يبتسمُ

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل همُ

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد خُتموا

وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

إلى آخر القصيدة التي حفظتها الأمّة وشطرها جماعة من الشعراء. وقد ثقل ذلك على هشام فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكة والمدينة، فقال معترضاً على عمل هشام:

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيّد وعيناً له حولاء باد عيوبها

فأخرجه من الحبس فوجّه إليه علي بن الحسين عليه السلام عشرة آلاف درهم وقال: «**اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به**» فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلاّ للّه، فقال له علي عليه السلام: «**قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه**» وأقسم عليه فقبلها.

ثالثاً: ظاهرة الاهتمام بالقرآن الكريم:

إن القرآن الكريم، باعتباره الوحي الإلهي المباشر، والمصدر الأساسي المقدّس بنصّه وفصّه، والذي اتفقت كلمة المسلمين على حجيته وتعظيمه وتقديسه، فهو الحجّة عند الجميع، والفيصل الذي لا يردّ حكمه أحد ممن يلتزم بالإسلام ديناً وبمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّاً.

ولذلك كانت دعوة أهل البيت عليهم السلام إلى الالتزام به، والاسترشاد به وقراءته والحفاظ عليه، دعوة صريحة مؤكدة.

وفي الظروف التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام، كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره وأُصوله ومنها القرآن، بقتل أعمدته وحفظته ومفسّريه [1].

فقام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهد وافر في هذا المجال: ففي الحديث أنه قال: «**عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصاها اللُؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: (اقرأ وارق) ومن دخل الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه، ما خلا النبيين والصديقين**» [2].

وأُسْنِدَ عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام

---

(١) مثل سعيد بن جبير، ويحيى بن ام الطويل، وميثم التمار، وغيرهم من شهداء الفضيلة، فلاحظ كتب التاريخ لتلك الفترة.

(٢) تفسير البرهان: ج٣، ص١٥٦.

يقول: «**آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها**»[1].

وقال عليه السلام: «**من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرى منزله في الجنة**»[2].

وكان يعبّر عن كفاية القرآن، بتعاليمه الروحانية القيّمة، بكونه مؤنساً للإنسان المسلم، يعني: أنّ الوحشة إنّما هي بالابتعاد عن هذه التعاليم حتّى لو عاش الإنسان بين الناس، فكان يقول: لو مات مَنْ ما بين المشرق والمغرب ما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي[3].

وهكذا يجدّ الإمام عليه السلام في تعظيم القرآن، وتخليده في أعماق نفوس الأمة، كما يسعى في التمجيد له عملياً وبأشكال من التصرفات: فممّا يؤثر عنه عليه السلام: «**أنه كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، حتّى: إن السقّائين كانوا يمرّون ببابه، فيقفون لاستماع صوته، يقرأ...**»[4].

وقال سعيد بن المسيب: إن قرّاء القرآن لم يذهبوا إلى الحج (إلا) إذا ذهب علي بن الحسين عليه السلام، ولم يخرج الناس من مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين عليه السلام [5].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٦٠٩، وانظر المحجة البيضاء: ج٢، ص٢١٥.

(٢) المحجة البيضاء: ج٢، ص٢١٥.

(٣) الكافي: ج٢، ص٦٠٢، وانظر المحجة البيضاء: ج٢، ص٢١٥.

(٤) الكافي: ج٢، ص٦١٦.

(٥) رجال الكشي: ص ١١٧ رقم ١٨٧.

وفي بعض الأسفار بلغ عدد القرّاء حسب بعض المصادر: ألف راكبٍ[١].

وقد كان الإمام السجّاد عليه السلام مرجعاً في علوم القرآن ومعارفه، يسأله كبار العلماء عن القرآن: قال الزهري: سألت علي بن الحسين: عن القرآن؟ فقال: «**كتاب الله، وكلامه**»[٢].

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستفيد من تفسير القرآن في إرشاد الأُمة إلى ما يُحييهم، ويطبّق مفاهيمه على حياتهم، ويحاول تنبيههم إلى ما يدور حولهم من قضايا، وإليك بعض النصوص:

روي أنه عليه السلام قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[٣]: ﴿وَلَكُمْ﴾ يا أمة محمّد: ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ لأن مَنْ هَمَّ بالقتل، فعرف أنه يقتصّ منه، فكفّ لذلك من القتل، كان حياة للذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس: إذا علموا أن القصاص واجب، ولا يجسرون على القتل مخافة القصاص: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أولي العقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) عوالم العلوم: ص٣٠٣.

(٢) تاريخ دمشق، ومختصره لابن منظور: ج١٧، ص٢٤٠؛ وسير أعلام النبلاء: ج٤، ص٣٩٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

ثم قال عليه السلام: عباد الله، هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفنون روحه! أفلا أُنبئكم بأعظم من هذا القتل؟ وما يوجبه الله على قاتله ممّا هو أعظم من هذا القصاص؟

قالوا: بلى، يابن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يُجبر، ولا يحيا بعده أبداً، قالوا: ما هو؟

قال: أن يضلّه عن نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويسلك به غير سبيل الله، ويغيّر به باتباع طريق أعداء عليّ والقول بإمامتهم، ودفع عليّ عن حقّه، وجحد فضله، وأن لا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل...[1].

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً ما يستشهد بآيات من القرآن ويستدلّ بها، وعندما يجد مناسبة يعرّج على تطبيق ذلك على الحالة الاجتماعية المتردّية التي كان يعيشها المسلمون.

ففي الخبر: إنه عليه السلام كان يذكر حال مَنْ مسخهم الله قردة من بني إسرائيل، ويحكي قصتهم (المذكورة في القرآن) فلما بلغ آخرها، قال: إن الله تعالى مسخ أُولئك القوم، لاصطيادهم السمك.

---

(١) الاحتجاج: ص ٣١٩.

فكيف ترى عند الله عزَّ وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله ﷺ وهتك حريمه؟

إن الله تعالى، وإن لم يمسخهم في الدنيا، فإن المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ[1].

إن تصدّي الإمام زين العابدين عليه السلام لهذه القضايا، لاشك أنه أكثر من مجرد تعليم وتفسير للقرآن، بل هو تطبيق له على الحياة المعاصرة، وتحريك للأفكار ضدّ الوضع الفاسد الذي تعيشه الأمة، ولا ريب أن ذلك يعتبره الحكام تحدياً سياسياً يحاسبون عليه.

رابعاً: التزام الدعاء.

ومن أبرز المظاهر الفذّة في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام الأدعية المأثورة عنه، فقد تميّز ما نقل عنه بالكثرة، والنفس الطويل، والشهرة والتداول، لما تحتويه من أساليب جذّابة ومستهوية للقلوب، تتجاوب معها الأرواح والنفوس، وما تضّمنته من معان راقية تتفاعل مع العقول والأفكار.

وقد كان للأدعية التي أصدرها أبعاد فكرية واسعة المدى، بالنصوص الحاسمة والقضايا العقائدية الإسلامية، كانت بحاجة

---

(١) الاحتجاج: ص ٣١٢.

إلى البتّ فيها بنصّ قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة، تيّارات الإلحاد، كالتشبيه والجبر والإرجاء، وغيرها مما كان الأمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردّة عن الإسلام، والرجوع إلى الجاهلية الأولى.

وفي حالة القمع والإبادة، ومطاردة كلّ المناضلين الأحرار، وتتبع آثارهم وخنق أصواتهم، كان قرار الإمام زين العابدين عليه السلام باتّباع سياسة الدعاء، أنجح وسيلة لبثّ الحقائق وتخليدها، وآمن طريقة، وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتصال سريّة مكتومة، هادئة، موثوقة.

إنّ خط الموالاة لأهل البيت عليهم السلام ، وفي عصر الإمام زين العابدين عليه السلام خاصةً كان يواجه صعوبات بالغة الشدّة، حيث كان الظلم مستولياً على كلّ المرافق والمقدّرات، ولم يكن بالإمكان القيام بأيَّة مقاومة إيجابية، أو محاولة.

استخدم الإمام عليه السلام النطق بالدعاء وسيلة للإعلان عن المعتقدات وتبليغ الرسالات وتنمية الشعور بالمسؤوليات، في أحلك الظروف وأحرجها، وبثّ روح النضال والمقاومة، وتوثيق الرابطة الفكرية، وتأكيد التعهّدات الاجتماعية، وتثبيت العواطف الصالحة، حبّاً بالتولي والإعلان عنه، وتعميق الوعي العقائدي بين الأمّة، وتهيئة الأجواء روحياً وفكرياً وجسميّاً

للإعداد للمسؤوليّات الكبرى، كلّ ذلك في ظروف جُندت فيه القوى المضادّةُ، للقضاء على الأهداف كلّها.

إن الحديث عن الصحيفة السجّادية العظيمة وأثرها العلميّ والدينيّ عقيدياً وحضارياً وأثرها الاجتماعي وغير ذلك يحتاج إلى تفرّغ وتخصّص، وإلى وقت ومجال واسع.

وإذا أخذ الإنسان بنظر الاعتبار ظروف الإمام زين العابدين عليه السلام وموقعه الاجتماعي وقرأ عن طغيان الحكام وعبثهم، وقارن بين مدلول الصحيفة ومؤشّرات التصرّفات التي قام بها أولئك الحكام، اتضح له أنّ الإمام قد قام من خلالها بتحدّ صارخ للدولة ومخططاتها التي استهدفَتْ كيان المجتمع الإسلامي لتزعزعه.

وإذ لا يسعنا الدخول في غمار هذا البحر الزخّار لاقتناص درره فإنّا نقتصر على إيراد بعض الأدعية من أدعية الصحيفة في الجانب الاعتقادي والأخلاقي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في خمسة فصول، يمثّلون صورة عمّا جاء فيها، ممّا تبرز فيه معالم التصدّي لهذه الأمور التي التزمها الإمام عليه السلام بمنطق الدعاء[1].

جمعية القرآن الكريم
للتوجيه والارشاد

---

(١) تقديم: الشيخ فادي الفيتروني.

الفصل الأول

الجانب العقائدي

- أولاً - تمهيد: أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أشد الناس تمسكاً بالقرآن الكريم
- ثانياً - دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن
- ثالثاً - دعاؤه في التحميد لله تعالى

الجانب العقائدي

تمهيد:

أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أشد الناس تمسكاً بالقرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[١].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

بداية نشير إلى أنَّ أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أشد الناس تمسكاً بالقرآن الكريم، والمحافظة عليه، وتعظيمه، فمنه نأخذ عقيدتنا وأحكامنا، فهو المصدر الأول لها، وبه ندفع شبهات المبطلين، فهو عندنا المعجزة الكبرى والخالدة، والمقياس الصحيح للحق والهداية، فقد أمرنا عن طريق الأئمة عليهم السلام أن نعرض ما ينقل عنهم على القرآن، فإِن خالفه فهو كذب وافتراء وزخرف وباطل يجب ضربه في عرض الجدار.

نرجع إلى الآية المتقدمة والتي تعني أنه: لو جعلنا القرآن أعجميا غير مبين لمقاصده غير بليغ في نظمه لقال الذين كفروا من قومك: هلا فصّلت وبيّنت آياته وأجزاؤه فانفصلت وبانت بعضها من بعض بالعربية والبلاغة أكتاب مرسل أعجمي ومرسل إليه عربي؟ أي يتنافيان ولا يتناسبان.

ولو أن القرآن كان قد أنزل بلغة غير العرب، لاعتذروا عن كفرهم بأن آياته غير واضحة لهم. فهل يختلف الهدى أن يبين بأية لغة، أو يختلف الدواء أن يكون في أي وعاء؟ كلا؛ إنَّ الإيمان هو نور في القلب، وإن الكفر وقر في السمع. فمن كان في قلبه نور الإيمان اهتدى بآيات الكتاب، ومن لم يكن ثقلت أذنه عن كلمات اللّه سبحانه.

وهكذا تجاوز الكتاب حتى إطار اللغة، وبيَّن أهمية نوره وهداه

وشفاه. وقد تجاوز النبي ﷺ في كلمة رائعة له العصبية العربية القائمة على قاعدة الدم، فجعل كل متحدّث بلغة الضاد عربياً، فقال: «**يا أيها الناس؛ إن الله قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، وتفاخرها بآبائها. إن العربية ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق، فمن تكلم به فهو عربي، ألا إنكم من آدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[1].

ثم أشار سبحانه إلى بيان أن أثر القرآن وخاصته لا يدور مدار لغته بل الناس اتجاهه صنفان وهم الذين آمنوا والذين لا يؤمنون، وهو هدى وشفاء للذين آمنوا يهديهم إلى الحق ويشفي ما في قلوبهم من مرض الشك والريب.

فعن الإمام علي عليه السلام: «**عليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين، والنور المبين والشفاء النافع... من قال به صدق، ومن عمل به سبق**»[2]. وعنه عليه السلام: «**إن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال**»[3]. وعن الإمام الحسن عليه السلام: «**إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجلُ جالٍ بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإنّ التفكير**

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص٩٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦ .

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦ .

حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[1].

ثم اعتبر سبحانه القرآن هو عمى على الذين لا يؤمنون - وهم الذين في آذانهم وقر - يعميهم فلا يبصرون الحق وسبيل الرشاد.

يفاجأ المرء خلال حياته بمشاكل وصعوبات لم تكن في توقعاته وحساباته، وقد يصطدم ببعض الأزمات التي لا يعرف لها حلاً، فتتحداه بعضها وتقعده. هنالك يكون بمسيس الحاجة إلى بصيرة يتسلح بها لإنقاذ نفسه أو من يهمه أمرهم، ليتوصل إلى طرق الحل وسبل النجاة.

فمن أين تأتيه البصيرة المرجوّة؟ إنها تأتيه من كتاب خالقه الرؤوف الحنّان ولكن كيف؟!

إن الكثير من الناس يعرفون وجود النجاة والشفاء والهدى والنور والبصائر في القرآن الحكيم، ويعرفون أن حلول مشاكلهم جميعاً الاعتقادية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بين دفتيه، ولكنهم عند المواجهة يعجزون عن استنباطها أو الاستفادة منها. فيا ترى هل ثمَّ طريق ووسيلة لحل هذه الأزمة الخطيرة؟

---

(١) كشف الغمة: ٢/ ١٩٥.

الجواب: إنما يكون ذلك بالمزيد من تلاوة القرآن، وربما أيضاً يتسنى بحفظ آياته حفظاً جيداً لأنك إذا حفظت آية من الكتاب، وواجهت مشكلة ما فإنها سترتسم أمامك وكأنها إضاءة وإشارة إلى الطريق الصحيح والحل الصائب. وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد أهمية واستحباب حفظ القرآن، منها ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام: «**عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن يقال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه، ما خلا النبيون والصديقون**»[1] حيث تتمايز الدرجات وتتفاضل المنازل، ويرى الإنسان أن بين درجة وأُخرى من درجات الجنة مسيرة خمسمئة عام، أو كما الفاصلة بين السماء والأرض فحينما يقرأ آية واحدة يرقى درجة واحدة، ولك أن تتصور أن لو كنت حافظاً لكل القرآن، فكم درجة ستطويها في مسيرك إلى موقعك في الجنة الأبدية؟

بلى؛ إن قراءة القرآن المستمرة وحفظ آياته، يعتبران من أهم برامج حياة الإنسان، ولا سيما بالنسبة إلى الشبيبة والأشبال

---

(١) بحار الانوار، ج٨، ص١٣٣.

والأطفال. وإني لأوصي نفسي وكافة الآباء بالاهتمام بتحفيظ الأولاد آيات القرآن منذ سنينهم المبكرة، وحبذا لو بدأنا معهم من عامهم الثالث، حيث يشرعون في الاستيعاب. فما أحلى وأسمى أن تمتلئ ذاكرتهم بحكمة الله وقرآنه، ليدخروها لأوقات حاجاتهم.

أما الكبار، فما عليهم إلاّ أن يرتلوا آيات الذكر الحكيم باستمرار، أي في كل وقت وَسِعَهُم ذلك، وبالأخص في أوقات الصلاة وعند الفجر، فإن قرآن الفجر كان مشهوداً.

فالقرآن بقيّة الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليقودهم إلى الجنَّة من خلال العمل والطاعة، قال الإمام الحسن عليه السلام: **«ما بقي من الدنيا بقيّة غير هذا القرآن، فاتخذوه إماماً يدلّكم على هُداكم، وإنّ أحقّ الناس من عمل به، وإن لم يحفظه، وأبعدهم من لم يعمل به، وإن كان يقرأه»**(١).

وقال عليه السلام: **«إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً: يقود قوماً إلى الجنّة، أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه؛ ويسوق قوماً إلى النار، ضيّعوا حدوده وأحكامه، واستحلّوا محارمه»**(٢).

---

(١) إرشاد القلوب: ٨١.

(٢) إرشاد القلوب: ٨١.

ومما يؤكد الاهتمام بالقرآن الكريم من قبل أهل البيت عليهم السلام ما ورد في دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام عند ختم القرآن وسيأتي مع شرحه إن شاء الله تعالى.

نسأله سبحانه أن يجعلنا من الذين أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه؛ إنه لطيف مجيب.

دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن

وكان من دعائه عليه السلام عند ختم القرآن

اللّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَني على خَتْمِ كتابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَهُ نُوراً، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلى كُلِّ كِتابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ على كُلِّ حَديثٍ قَصَصْتَهُ، وَفُرْقاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ، وَقُرآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرائِعِ أَحْكامِكَ، وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزيلاً، وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدي مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ وَالجَهالَةِ بِاتِّباعِهِ، وَشِفاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْديقِ إلى اسْتِماعِهِ، وَميزانَ قِسْطٍ لا يَحيفُ عَنِ الحَقِّ لِسانُهُ، وَنُورَ هُدىً لا يُطْفَأُ عَنِ الشّاهِدينَ بُرْهانُهُ، وَعَلَمَ نَجاةٍ لا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلا تَنالُ أَيْدي الهَلَكاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ

اللّهُمَّ فَإِذْ أَفَدْتَنا المَعُونَةَ عَلى تِلاوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَواسِيَ أَلْسِنَتِنا بِحُسْنِ عِبارَتِهِ فاجْعَلْنا مِمَّنْ يَرْعاهُ حَقَّ رِعايَتِهِ، وَيَدينُ لَكَ بِاعْتِقادِ

التَّسْليم لِمُحْكَم آياته، وَيفْزَعُ إلَى الإقْرار بِمُتَشابِهِه وَمُوضِحات بَيِّناته، اللّهُمَّ إنَّكَ أَنْزَلْتَهُ على نَبيِّكَ مُحَمَّد صلَّى اللّه عَلَيْه وَآله مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجائِبِه مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَفَضَّلْتَنا على مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنا عَلَيْه لِتَرْفَعَنا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ، اللّهُمَّ فَكَما جَعَلْتَ قُلُوبَنا لَهُ حَمَلَةً، وَعَرَّفْتَنا بِرَحْمَتك شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ فَصَلِّ على مُحَمَّد الخَطيبِ به، وَعَلى آله الخُزّان لَهُ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتّى لا يُعارِضَنَا الشَّكُّ في تَصْدِيقِه ولا يَخْتَلِجَنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِه، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَيَأْوي مِنَ المُتَشابِهات إلى حِرْزِ مَعْقِله، وَيَسْكُنُ في ظِلِّ جَناحِه، وَيَهْتَدي بِضَوْءِ صَباحِه، وَيَقْتَدي بِتَبَلُّجِ أَسْفارِه، وَيَسْتَصْبِحُ بِمِصْباحِه، وَلا يَلْتَمِسُ الهُدى في غَيْرِه، اللّهُمَّ وَكَما نَصَبْتَ بِه مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلالَةِ عَلَيْكَ، وَأَنْهَجْتَ بِآله سُبُلَ الرِّضا إلَيْكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاجْعَلِ القُرْآنَ وَسِيلَةً لَنا إلى أَشْرَفِ مَنازِلِ الكَرامَةِ وَسُلَّماً نَعْرُجُ فيه إلى مَحَلِّ السَّلامَةِ، وَسَبَباً نُجْزى بِهِ النَّجاةَ في عَرْصَةِ القِيامَةِ، وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِها عَلى نَعِيمِ دارِ المُقامَةِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاحْطُطْ بِالقُرآنِ عَنّا ثِقْلَ الأَوْزارِ، وَهَبْ لَنا حُسْنَ شَمائِلِ الأَبْرارِ، وَاقْفُ بِنا آثارَ الَّذين قامُوا لَكَ بِه آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، حَتّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ وَتَقْفُوَ بِنا آثارَ الَّذِينَ اسْتَضاءُوا

بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمِ الأَمَلُ عَنِ العَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ القُرْآنَ لَنا في ظُلَمِ اللَّيالي مُؤنِساً وَمِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ وَخَطَراتِ الوَساوِسِ حارِساً، وَلأَقْدامِنا عَنْ نَقْلِها إِلى المَعاصي حابِساً، وَلأَلْسِنَتِنا عَنِ الخَوْضِ في الباطِلِ مِنْ غَيْرِ ما آفَةٍ مُخْرِساً، وَلِجَوارِحِنا عَنِ اقْتِرافِ الآثامِ زاجِراً وَلِما طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنّا مِنْ تَصَفُّحِ الاعْتِبارِ ناشِراً، حَتّى تُوصِلَ إِلى قُلُوبِنا فَهْمَ عَجائِبِهِ، وَزَواجِرَ أَمْثالِهِ الَّتي ضَعُفَتِ الجِبالُ الرَّواسي عَلى صَلابَتِها عَنِ احْتِمالِهِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَدِمْ بِالقُرْآنِ صَلاحَ ظاهِرِنا، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَراتِ الوَساوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمائِرِنا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنا وَعَلائِقَ أَوْزارِنا وَاجْمَعْ بِهِ مُنْتَشَرَ أُمُورِنا، وَأَرْوِ بِهِ في مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَأَ هَواجِرِنا وَاكْسُنا بِهِ حُلَلَ الأَمانِ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ في نُشُورِنا، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ بِالقُرْآنِ خَلَّتَنا مِنْ عَدَمِ الإِمْلاقِ، وَسُقْ إِلَيْنا بِهِ رَغَدَ العَيْشِ وَخِصْبَ سَعَةِ الأَرْزاقِ وَجَنِّبْنا بِهِ الضَّرائِبَ المَذْمُومَةَ وَمَدانِيَ الأَخْلاقِ، وَاعْصِمْنا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الكُفْرِ وَدَواعي النِّفاقِ، حَتّى يَكُونَ لَنا في القِيامَةِ إِلى رِضْوانِكَ وَجِنانِكَ قائِداً، وَلَنا في الدُّنْيا عَنْ سَخَطِكَ وَتَعَدّي حُدُودِكَ ذائِداً، وَلِما عِنْدَكَ بِتَحْليلِ حَلالِهِ وَتَحْريمِ حَرامِهِ شاهِداً، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَوِّنْ بِالقُرْآنِ عِنْدَ المَوْتِ عَلى أَنْفُسِنا كَرْبَ السِّياقِ وَجَهْدَ

الأنينِ، وَتَرادُفَ الحَشارِجِ إذا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَراقِيَ وَقيلَ مَنْ راقٍ؟ وَتَجَلّى مَلَكُ المَوْتِ لِقَبْضِها مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ وَرَماها عَنْ قَوْسِ المَنايا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الفِراقِ وَدافَ لَها مِنْ ذُعافِ المَوْتِ كَأساً مَسْمُومَةَ المَذاقِ وَدَنا مِنّا إلَى الآخِرَةِ رَحيلٌ وَانْطِلاقٌ، وَصارَتِ الأَعْمالُ قَلائِدَ فِي الأَعْناقِ، وَكانَتِ القُبُورُ هِيَ المَأوى إلى ميقاتِ يَوْمِ التَّلاقِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَبارِكْ لَنا في حُلُولِ دارِ البِلى، وَطُولِ المُقامَةِ بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى، وَاجْعَلِ القُبُورَ بَعْدَ فِراقِ الدُّنْيا خَيْرَ مَنازِلِنا، وَافْسَحْ لَنا بِرَحْمَتِكَ في ضيقِ مَلاحِدِنا وَلا تَفْضَحْنا في حاضِري القِيامَةِ بِمُوبِقاتِ آثامِنا، وَارْحَمْ بِالقُرآنِ في مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقامِنا، وَثَبِّتْ عِنْدَ اضْطِرابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ المَجازِ عَلَيْها زَلَلَ أَقْدامِنا، وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ البَعْثِ سَدَفَ قُبُورِنا، وَنَجِّنا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبِ يَوْمَ القِيامَةِ وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ في يَوْمِ الحَسْرَةِ والنَّدامَةِ، وَاجْعَلْ لَنا في صُدُورِ المُؤْمِنينَ وُدّاً وَلا تَجْعَلِ الحَياةَ عَلَيْنا نَكَداً، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَما بَلَّغَ رِسالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ وَنَصَحَ لِعِبادِكَ، اللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ يَوْمَ القِيامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِساً، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جاهاً، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَشَرِّفْ بُنْيانَهُ،

وَعظِّمْ بُرْهانَهُ، وَثقِّلْ ميزانَهُ، وَتقَبَّلْ شَفاعَتَهُ، وَقرِّبْ وَسيلَتَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ وَأَتمَّ نُورَهُ، وَارْفَعْ دَرجَتَهُ، وَأَحْيِنا عَلى سُنَّتِه، وَتوَفَّنا عَلى مِلَّتِه، وَخُذْ بِنا مِنْهاجَهُ، وَاسْلُكْ بِنا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ طاعَتِه، وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِه، وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ، وَاسْقِنا بِكَأْسِه. وَصَلِّ اللّهُمَّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه صَلاةً تُبَلِّغُهُ بِها أَفْضَلَ ما يأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرامَتِكَ، إِنَّكَ ذُو رَحْمَة وَاسِعَة، وَفَضْلٍ كَرِيم، اللّهُمَّ اجْزِهِ بِما بَلَّغَ مِنْ رِسالاتِكَ، وَأَدّى مِنْ آياتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبادِكَ، وَجاهَدَ في سَبِيلِكَ، أَفْضَلَ ما جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيائِكَ المُرْسَلِينَ المُصْطَفَيْنَ وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكاتُهُ[1].

اللغة:

(مُهَيْمِناً): مشرفاً، رقيباً. (وَفُرْقاناً): فارقاً، فاصلاً، يفرق بين الحق والباطل. (أَعْرَبْتَ بِهِ): أظهرت فيه. (فَصَّلْتَهُ): فصلت فيه كل شيء من الأحكام إلى المواعظ إلى القصص.

(قِسْطٍ): العدل. (لا يَحيفُ): لا يميل، ولا ينحرف. (لِسانُهُ): أي لسان الميزان وهو وسط عوده الذي يؤخذ به ليعرف الوزن. (أَمَّ): قصد. (قَصْدَ سُنَّتِهِ): نحو طريقته المستقيمة أو سبيله

(١) الدعاء الثاني والأربعون من الصحيفة السجادية .

المستقيم. (بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ): عروة الإبريق: مقبضه، والعروة أيضاً ما يوثق به وما يعوّل عليه، والعصمة: المناعة، فكأن للقرآن عروة ما إن تمسك بها امرؤ عُصم من الهلكة. (جَواسِي): مفردها جاسي، والجاسي: الصلب. (لِمُحْكَمِ آياتِهِ): الآيات المتقنة الظاهرة الدلالة. (وَيَفْزَعُ): يلجأ. (بِمُتَشابِهِهِ): الذي يشبه بعضه بعضاً والذي يجعل معان متعددة. (وَمُوضِحاتِ بَيِّناتِهِ): أدلته الواضحة والظاهرة. (وَأَلْهَمْتَهُ): ألقيت في نفسه.

(الخَطيبِ بِهِ): الذي خوطب به، أو خاطب الناس به. (الخُزّانِ): مفردها خازن، والخازن: الحافظ أو الأمين على الشيء. (لا يُعارِضُنَا): لا يمنعنا. (وَلا يَخْتَلِجُنَا): لا يجذبنا.

(الزَّيْغُ): الميل. (قَصْدِ طَرِيقِهِ): سلوك طريقه. (يَعْتَصِمُ): يتمسك. (بِحَبْلِهِ): المقصود بحبل القرآن هنا: أوامره وتعاليمه ونواهيه. (حِرْزِ): مأمن. (مَعْقِلِهِ): المعقل: الملجأ، والمقصد بـ(حرز المعقل) أي أنَّ القرآن هو الملجأ الأمين الذي يلجأ إليه الإنسان. (بِتَبَلُّجِ): التبلج: الإشراق. (أَسْفارِهِ): الانكشاف والوضوح. (وَأَنْهَجْتَ): جعلت النهج والطريق.

(نَعْرُجُ): نرتقي، نصعد. (عَرْصَةِ): ساحة. (وَذَرِيعَةً): وسيلة. (دارِ المُقامَةِ): الجنَّة وهي دار الإقامة والبقاء. (الأَوْزارِ): الذنوب والآثام. (شَمائِلِ): الأخلاق. (الأَبرارِ): المحسنين،

الصالحين. (وَاقِفُ): من قفا يقفو: تبعَ. (آناءَ اللَّيلِ): ساعاته. (دَنَسٍ): وسخ، قذارة. (بِخُدَعِ غُرورِهِ): بمكره وحيل أباطيله. (نَزَغاتِ): مفردها نزغة، والنزغة: الوسوسة.(وَخَطَراتِ): ما يخطر ببال الإنسان. (آفَةٍ): عاهة، أو كل ما يُفسِد. (اقْتِرافِ): ارتكب، فعل. (الآثام): الخطايا. (زاجِراً): مانعاً، ناهياً. (طَوَتِ): أخفت. (تَصَفُّحِ): تصفح الشيء: تأمله ونظر فيه ملياً. (الاعْتِبارِ): العبرة. (الرَّواسي): الثوابت. (دَرَنَ): وسخ. (وَعَلائِقَ أوْزارِنا): الأوزار: الآثام، وعلائق الأوزار: ما يعلق بنا من الأوزار. (هَواجِرِنا): مفردها هاجر وهاجرة، والهاجرة: شدّة الحر، وشدّة الحر تسبب العطش. (حُلَلَ): مفردها حُلّة: الثوب عموماً، أو الثوب الجديد. (نُشُورِنا): النشور: البعث يوم القيامة. (وَاجْبُرْ): أصلح، من جبرَ العَظم: أصلحه من كسر. (خَلَّتنا): الخلة: الثقب، الثغرة.(الإمْلاقِ): الفقر. (رَغَدَ العَيْشِ): العيش الطيب المتسع. (الضَّرائبَ): السجايا والطبائع. (وَمَدانِيَ الأَخْلاقِ): الأخلاق الدنية. (هُوَّةٍ): حفرة. (سَخَطِكَ): السخط، الغضب. (ذائِداً): مانعاً حامياً. (كَرْبَ السِّياقِ): همّ ومشقة نزع الروح حال الاحتضار. (وَترادُفَ): تتابع وتتالي. (الحَشارِجِ): مفردها حشرجة، وهي: الغرغرة عند الموت وتتابع النفس. (التَراقِيَ): مفردها ترقوة: والترقوة: العظم الذي في

أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان. (مَنْ راقٍ): من الذي يرقي هذا المحتضر، من الرقوة، أو من يرتقي بروح هذا المحتضر. (وَتَجَلّى): بان أو ظهر. (حُجُبِ): مفردها حجاب، وهو: الستر. (الغُيُوبِ): مفردها غيب، وهو: كل ما غاب عن الإنسان. (وَدَافَ): خلَطَ. (ذُعافِ): موت الذعاف: السريع. (ميقَات): وقت، الموعد الذي جعل له وقت. (دارِ البِلى): القبر. (الثَّرى): الأرض. (مَلاحِدِنا): مفردها مَلحد، وهو: القبر. (بِمُوبِقات): مفردها موبقة وهي: المهلكة. (سَدَفَ): ظلمة. (يَوْمِ الطَّامَّةِ): يوم القيامة. (نَكَدًا): عسراً، صعوبة. (وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ): قام بكشفه وتبيينه. (جاهاً): الجاه: القدر والمنزلة. (زُمْرَتِهِ): الزمرة: الجماعة.

الشرح:

توصيف القرآن الكريم:

(اللّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَني عَلى خَتْمِ كِتابِكَ) بأن وفقتني لأن أقرأه إلى آخره (الَّذي أَنْزَلْتَهُ نُوراً) لهداية الناس (وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً) أي: مشرفاً (عَلى كُلِّ كِتابٍ أَنْزَلْتَهُ) فإن القرآن يدل على ما حرّف وبدّل في الكتب السابقة، من الأمور المربوطة بالمبدأ والرسالة والمعاد وما أشبه وكلام الإمام مقتبس من قوله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1] رأي رقيباً يشهد بصحة الصحيح وتحريف المحرّف (وَفَضَّلْتَهُ عَلى كُلِّ حَديثٍ قَصَصْتَهُ) وبينته للناس، وكلامه عليه السلام مقتبس من قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[2] لأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي وضع مخططاً لحياة الناس في كل عصر ومصر يخلصها من الجهل والفساد والعبودية والاستبداد. (وَفُرْقاناً) بمعنى فارقاً (فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ) أي: ما حللته وما حرمته من التكاليف والأحكام، وكلامه عليه السلام مقتبس من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]. وسمي القرآن فرقاناً لفصله بين الحق والباطل (وَقُرآناً أَعْرَبْتَ بِهِ) أي: أظهرت بسببه (عَنْ شَرائِعِ أَحْكامِكَ) شرائع جمع شريعة أصلها بمعنى الطريق إلى الماء، ثم استعمل في كل طريق إلى حكم الله تعالى، فالإسلام عقيدة وشريعة، وأصل الأصول في عقيدته التوحيد، والأصل والأساس في شريعته العدل والمصلحة، وعليهما تبتنى أحكام الله تحليلاً وتحريماً، فحيث يكون العدل والمصلحة يكون الحلال، وحيث يكون الظلم والمفسدة يكون

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

النهي والحرام (وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصيلاً) بأن بيّنت فيه كل حكم وقصة مفصلاً بدون إجمال وإدماج، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]. المعنى أنَّ القرآن الكريم واضح المعاني محكم النظم، لا نقص فيه ولا خلل، لأنه ممن يقدر الأمور، ويدبرها على أساس العلم والحكمة (وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّد صَلَواتُكَ عَلَيْه وَآله تَنْزيلاً) مصدر تأكيدي (وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدي) به (مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ وَالجَهالَةِ بِاتِّباعِهِ) فإن الظلام كما يسبب عدم رؤية الإنسان للأشياء كذلك الجهل والضلالة يسببان عدم رؤية الإنسان للحقائق فإذا جاء الهدى كان نوراً يسبب رؤية الإنسان لها، فبالعمل بموجب القرآن لا بمجرد التغني به والصياح بكلماته من مكبرات الصوت على المآذن وفي المحافل... نكسب الهداية فقط ففي أصول الكافي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**سيجيء بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبهم شأنهم**».

وفي إحياء العلوم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**اقرأ القرآن ما نهاك، فإن لم ينهك فلست تقرأه. أكثر منافقي هذه الأمة قرّاؤها**». وعن الإمام علي عليه السلام: «**لا خير في عبادة بلا فقه، ولا في قراءة**

(1) سورة هود، الآية: 1.

بلا تدبر»[1]. (وَشِفاءً لِمَنْ أَنْصَتَ) من أعطى أذنه (بفَهْمِ التَّصْديقِ) أي: كان إنصاته لأن يفهم ويصدق (إلى اسْتِماعِهِ) متعلق بـ[أنصت]، القرآن الكريم دواء وشفاء من داء الكفر والنفاق والجهل والفساد والضلال والأحقاد، ومن كل رذيلة بشرط الإصغاء له والاتعاظ به كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]«إنما» للحصر، وبها تدل هذه الآيه أن من ذكّر بالله وآياته فتجنبها دون أن يخشى فهو تماما كالذي عناه تعالى بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[4] (وَميزانَ قِسْطٍ) أي: عدل (لا يَحيفُ) أي: لا يميل (عَنِ الحَقِّ لِسانُهُ) لسان الميزان هو وسط عوده الذي يؤخذ به ليعرف الوزن والمعنى بالقرآن تقاس جميع العقائد والآراء والأقوال والأفعال (وَنُورَ هُدىً) أي: نور من جنس الهدى لا من جنس النور الخارجي (لا يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدينَ بُرْهانُهُ) الشاهدان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة لقوله سبحانه: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ

---

(١) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١١ - ١٢.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[1] وهذان الشاهدان يستدلان بالقرآن ويكون القرآن برهاناً لهما فلا يطفأ ولا يخمد برهان القرآن عنهما (وَعَلَمَ نَجاةٍ لا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ) أي: قصد (قَصْدَ سُنَّتِه) أي: نحو سنته، كما لا يضل من قصد العلامة في العراء (وَلا تَنالُ أَيْدِي الهَلَكاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِه) عروة الكوز يده، فكأن للقرآن عروة تعصم المستمسك بها من الهلكة.

تلاوة القرآن:

(اللّهُمَّ فَإِذْ أَفَدْتَنا المَعُونَةَ عَلى تِلاوَتِه) أي: أعنتنا على قراءةِ القرآن الكريم (وَسَهَّلْتَ جَواسِي أَلْسِنَتِنا) جواسي: جمع جاسية بمعنى الغليظ أي: صلاب الألسنة وغلاظها (بِحُسْنِ عِبارَتِه) فإن العبارة الحسنة الجميلة حيث توافق النفس تكون أسهل على اللسان (فاجْعَلْنا مِمَّنْ يَرْعاهُ حَقَّ رِعايَتِه) في العمل به كما أمرت (وَيَدِينُ لَكَ) أي: ينقاد (بِاعْتِقادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آياتِه) أي: يعتقد أن اللازم أن يسلم لآيات القرآن المحكمة الظاهرة الدلالة مقابل المتشابه وتخصيص المحكم بالذكر، لأن المتشابه يجب رد علمه إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾[2] (وَيفْزَعُ) أي: يلجأ (إِلَى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

الإقْرارِ بِمُتَشابِهِهِ) والمتشابه هو الذي يحتمل معان متعددة، وإنما يلجأون كما قال سبحانه: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] وإنما كان في القرآن التشابه لامتحان الناس (وَمُوضِحاتِ بَيِّناتِهِ) أي: وإلى الإقرار بصحة أدلته البينة الظاهرة، خلافاً لأهل الفساد الذين لا يعترفون بأدلة القرآن البينة وإنما يشككون فيها.

نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ) أي: القرآن، والإنزال إما باعتبار المرتبة فإن الشيء إذا جاء من قبل الأرفع منزلة، يقال: نزل، وإما باعتبار أن المنزول كان من طرف السماء والسماء فوق الأرض حساً (عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلاً) أما المراد: نزل مجمل المعنى ثم فسر، أو هو من قولهم الإجمال في الطلب، أي: الطلب الجميل، فالمراد نزولاً جميلاً (وَأَلْهَمْتَهُ) أي: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإلهام الإلقاء الخفي (عِلْمَ عَجائِبِهِ مُكَمَّلاً) أي: كاملاً، إذ قد بينت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما للقرآن من العجائب، في القرآن آيات، منها كاملات بينات أشار اليها الإمام عليه السلام بقوله «**مكملا**» أي كاملة البيان يعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم المراد منها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

دون الرجوع إلى الله سبحانه في تفسيرها كآية تحريم الزواج بالأقارب قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١] وآية تحريم الميتة والدم والخنزير... قال سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[٢]، وبعض آيات القرآن رموز وإشارات لا يعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم معانيها بالتفصيل إلا ببيان ثان من الله تعالى، وأشار إليها الإمام بقوله «**مجملا**» مثل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٣] فإن الله عزَّ وجل بين لنبيه الكريم كيفية الصلاة ومقدار الزكاة بوحي ثان، وهو ما يعبر عنه بالسنة النبوية، أما

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٠ .

غرائب القرآن الكريم وعجائبه التي أشار إليها الإمام عليه السلام فتشمل وتعم كل ما فيه، لأنه معجزة المعاجز من ألفه إلى يائه. (وَوَرَّثْتَنا عِلْمَهُ) أي: أعطيتنا علم القرآن، ومعانيه، إرثاً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كل علوم القرآن الكريم والرسول العظيم هي عند الأئمة الأطهار من أهل بيته بنص الحديث المتواتر المعروف بحديث الثقلين حيث جعلهم عدلاً للقرآن الذي فيه تبيان كل شيء، وقد جاء هذا الحديث في كتب كثيرة عند الطرفين، وقد تتبع أغلبها الشيخ قوام الدين الوشنوي، وسجل أسماءها مع النص في رسالة خاصة بعنوان «**حديث الثقلين**» - في حال كونه (مُفَسَّراً) قد فسر وبين المراد منه (وَفَضَّلْتَنا على مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ) إذ العالم بالقرآن أفضل من الجاهل به بالضرورة وأهل السماء والأرض يفضلون العلم على الجهل بالطبع والفطرة (وَقَوَّيْتَنا عَلَيْهِ) أي على فهمه والعلم بأسراره وأهدافه تماماً كما هو في علم الله ورسول الله، وأيضاً قوَّاهم سبحانه على العمل بجميع أحكامه وآدابه فإنَّ العالم أقوى نفساً من الجاهل إذ قوَّة النفس بالعلم والفضيلة (لِتَرْفَعَنا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ) يشير بهذا إلى الذين يمتطون الدين إلى الدنيا، وما أكثرهم في كل عصر، بخاصة في العصر الراهن، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**في جهنم رحى تطحن العلماء الفجرة والقرّاء الفسقه**»، وعدم الطاقة، بمعنى عدم القبول لا عدم القدرة.

خزنة القرآن الكريم:

(اللّهُمَّ فكَما جَعلْتَ قُلُوبَنا لَهُ حَمَلَةً) أوعية لكتابك، وخزنة لعلمك، وحملة: جمع حامل، والمراد حملة للقرآن (وَعَرَّفْتَنا بِرَحْمَتِكَ شَرَفَهُ) إذ نعرف ما للقرآن من شرف ومنزلة في مقابل الكفار الذين لا يعرفون ذلك (وَفَضْلَهُ) أي: أنه ذو فضل ورفعة (فَضلِّ عَلى مُحَمَّدٍ الخَطيبِ بِهِ) أي: الذي خوطب بالقرآن، أو الذي خاطب الناس بالقرآن، البشير النذير به (وَعَلى آلِهِ الخُزّانِ لَهُ) جمع خازن بمعنى الحافظ، فإن أهل البيت حفظوا القرآن عن التغيير والتحريف في لفظه أو معناه (وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ) لا كالكفار الذين ينكرون ذلك، والمراد بـ[اجعلنا] مستمرين بهذا الاعتراف، مثل: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[(١)] لا أن المراد ابتداء الجعل حتى يقال كيف يطلب الإمام ذلك مع أنه مجعول قبلاً (حَتّى لا يُعارِضَنَا) ولا يعرض على قلوبنا (الشَّكُّ في تَصْديقِهِ) بأن نشك هل هو من عندك أم لا (وَلا يَخْتَلِجَنَا) الاختلاج الوسوسة (الزَّيْغُ) أي: الميل (عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ) بأن لا يدخل في قلوبنا الميل عن طريق القرآن الذي هو قصد أي: وسط لا انحراف فيه.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

الاعتصام بحبل الله تعالى:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ) كأن القرآن حبل بين الله وبين الناس فإذا أخذه الإنسان رفع به إلى الدرجات العلى كما أن من يأخذ الحبل يرتفع إلى الأعلى، فيما إذا وقع في هوة ويجره العالي إلى فوق (وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشابِهاتِ) أوى: بمعنى اتخذ المأوى والمنزل والمتشابهات هي الأمور التي لا يدري الإنسان أيها صواب وأيها خطأ. (إِلى حِرْزِ مَعْقِلِهِ) المعقل: الملجأ، كأن الإنسان يعقل ويربط هناك بعيره فيما إذا جاء من السفر، والمعنى: رجوع الإنسان إلى القرآن في الأمور المتشابهة ليعرف الحق من الأطراف المحتملة، مثلاً إذا شك في أن الله هل يرى أو لا يرى يرجع إلى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] وهكذا (وَيَسْكُنُ في ظِلِّ جَناحِهِ) كأن للقرآن جناحاً إذا سكن الإنسان تحته وقاه من المرارة (وَيَهْتَدي) إلى طريق الحق (بِضَوْءِ صَباحِهِ) أي: بسبب ضياء صبح القرآن (وَيَقْتَدي بِتَبَلُّجِ أَسْفارِهِ) أسفر بمعنى أظهر، والتبلج بمعنى ظهور النور، أي يقتدي بنوره الذي يوجب ظهور الحق (وَيَسْتَصْبِحُ بِمِصْباحِهِ) أي: يهتدي بسبب مصباح القرآن، إلى الحقائق والشرائع (وَلا يَلْتَمِسُ) أي: لا يطلب (الْهُدى في غَيْرِهِ) كأن يطلب الهداية من الكتب السالفة أو أقوال الفلاسفة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

الهادي والمرشد:

(اللّهُمَّ وَكَما نَصَبْتَ بِهِ) أي: بسبب القرآن (مُحَمَّداً) ﷺ (عَلَماً لِلدَّلالَةِ عَلَيْكَ) فإن الرسول ﷺ علم يدل الناس إلى الله، بسبب آيات القرآن، وبتعبير آخر: أرسل سبحانه محمداً ﷺ إلى عباده وعياله برسالة ترشد الخلق إلى الحق، وتكرم كل إنسان، وتصونه من العنف والجور والجهل والفقر، وتوفر له حياه فاضلة وكريمة (وَأَنْهَجْتَ) أي: جعلت النهج والطريق (بِآلِهِ) أي: بسبب آل الرسول ﷺ (سُبُلَ الرِّضا إِلَيْكَ) فإن آل الرسول ﷺ يبينون الطرق الموجبة لرضى الله سبحانه والوصول إلى رحمته ورضوانه، وبتعبير آخر: إنَّ الأئمة من العترة الطاهرة امتداد لجدهم الرسول ﷺ في هداية الخلق إلى الحق، والسبيل إلى رضوانه تعالى وجنانه.

القرآن وسيلة لمنازل الكرامة:

(فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ القُرْآنَ وَسِيلَةً لَنا إِلى أَشْرَفِ مَنازِلَ الكَرامَةِ) بأن توفقنا للعمل بالقرآن حتى نصل إلى أشرف المنازل عندك، التي تكرم أصحاب تلك المنازل، والمراد: المنازل المعنوية أو منازل الجنة (وَسُلَّماً نَعْرُجُ فيهِ إِلى مَحَلِّ السَّلامَةِ) كأن الإنسان في درك موجب للخطر، وبسبب القرآن

يرقى إلى محل السلامة (وَسَبَبًا نُجْزى بِهِ) أي: نعطى الجزاء بسبب ذلك القرآن (النَّجاةَ في عَرْصَةِ القِيامَةِ) أي: ساحتها (وَذَرِيعَةً) أي: وسيلة (نَقْدُمُ بِها) أي: نرد بسبب تلك الذريعة (عَلى نَعيمِ دارِ المُقامَةِ) هي الجنة لأنها دار لا آخر لها بل يقيم الإنسان فيها إلى الأبد.

العمل بالقرآن يطهرنا من الذنوب:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآله، وَاحْطُطْ) فعل أمر، من حط الحمل إذا وضعه من عاتقه (بِالْقُرآنِ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزارِ) جمع وزر بمعنى الذنب فإن للذنب ثقلاً على النفس، كما أن الدين ثقل على النفس، والإنسان بسبب العمل بالقرآن يمحو ذنبه فإن الحسنات يذهبن السيئات، اللّهُمَّ اهدنا إلى العمل بالقرآن وأحكامه هداية تطهرنا من الذنوب الماضية، وتعصمنا من الذنوب الآتية (وَهَبْ لَنا حُسْنَ شَمائِلِ الأَبرارِ) الشمائل جمع شمال بالكسر بمعنى الخلق، أي: حسن أخلاق الأبرار، وهو جمع بر بمعنى المحسن، فإن الإنسان بسبب القرآن تكون أخلاقه أخلاقاً حسنة (وَاقْفُ بِنا) قفا يقفو، بمعنى تبع، كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1] اجعلنا تابعين (آثارَ الَّذِين قامُوا لَكَ بِهِ) أي: القرآن،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

والمراد قيامهم بالقرآن تعلماً وتعليماً وعملاً وما أشبه (آناءَ اللَّيْلِ) جمع (آن) بمعنى الساعة، أي: ساعات الليل (وَأَطْرافَ النَّهارِ) أوله وآخره ووسطه (حَتّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ) وقذارة (بِتَطْهِيرِهِ) أي: بسبب تطهير القرآن لنا، إذ القرآن يبين الأعمال والأخلاق الحسنة فيكتسبها الإنسان ويتخلق بها ومدنا يا إلهي بالعون والتوفيق إلى العمل بالقرآن لتكون نفوسنا تقية نقية من كل ما يشينها ويدنسها (وَتَقْفُوَ بِنا آثارَ الَّذِينَ اسْتَضاءُوا بِنُورِهِ) أي: تجعلنا تابعين من عمل بالقرآن، واستفاد من نوره في السير والعمل، كما يستفيد الإنسان من نور المصباح في رؤية الأشياء حتى يسير سالماً، ويصل إلى ما يريده (وَلَمْ يُلْهِهِم الأَمَلُ) يقال: ألهاه الأمل، إذا أشغله وغرّه فلم يعمل للآخرة، والأمل ما يرجوه الإنسان من زخارف الدنيا وطول العمر فيها (عَنِ العَمَلِ) لأجل الآخرة (فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ) خدع جمع خدعة، وهي إراءة الإنسان شيئاً يقصده حتى يقع في مكروه مخفي عليه والمراد قطعهم ومنعهم عن تحصيل الآخرة.

القرآن المؤنس والحارس:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنا في ظُلَمِ اللَّيالِي مُؤنِساً) المؤنس: هو الذي يوجب ذهاب الوحشة من

النفس والقرآن يشع في نفس الإنسان معاني الخير، والالتفات إلى اللّه تعالى يزيل وحشة الظلمة التي يسببها الليل (وَمِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ) جمع نزغة بمعنى الوسوسة، فهي أحابيله وأباطيله، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيئ لأهل السماء كما تضيئ الكواكب لأهل الأرض وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزَّوجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين**»[2] (وَخَطَراتِ الوساوِسِ) الخطرات ما يخطر ببال الإنسان من التشكيك في أمور الدنيا والدين (حارِساً) حتى يحفظنا عن ذلك (وَلأَقْدامِنا) جمع قدم (عَنْ نَقْلِها إِلى المَعاصي حابِساً) بأن يحبسنا القرآن عن أن ننقل أقدامنا إلى معاصيك، كالسرقة وما أشبه مما يذهب الإنسان بقدمه نحوه، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3] (وَلأَلْسِنَتِنا عَنِ الخَوْضِ في الباطِلِ) أي: الدخول فيه (مِنْ غَيْرِ ما آفَةٍ) أي: بدون أن تكون بلساننا آفة ومرض

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) أصول الكافي: ج٢، ص٦١١.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٤.

توجب الخرس (مُخْرِساً) بأن يكون القرآن هو المسكت لنا حتى لا نتكلم بالباطل (وَلِجوارِحِنا عَنِ اقْتِرافِ الآثام) اقترف الإثم بمعنى ارتكبه (زاجِراً) بأن لا نعصي بأحد أعضائنا (وَلِما طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا) كأن الغفلة تلف وتجمع الشيء حتى لا يرى الإنسان باطن الحقائق (مِنْ تَصَفُّحِ الاعْتِبارِ) أي: ملاحظة ما يوجب العبرة، ودرك الحقائق الموجبة لعدم عمل الإنسان بما يضره (ناشِرَاً) فينشر القرآن ما طوته الغفلة مما يوجب اعتبارنا (حَتّى تُوصِلَ إِلى قُلُوبِنا فَهْمَ عَجائِبِهِ) بأن نفهم عجائب القرآن، التي تورث عجب الإنسان وفهم الحقائق، إذ العجب يثير النفس ويجلب الالتفات، روى صاحب الكافي أنَّ الإمام السجاد عليه السلام صاحب هذا الدعاء قال: «**آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزانة ينبغي أن تنظر فيها**» (وَزَواجِرَ أَمْثالِهِ) أي: أمثاله التي توجب زجر الإنسان ومنعه عن الآثام والرذائل، في القرآن أمثال ضربها الله سبحانه، تزجر عن الموبقات والمحرمات، وفي نهج البلاغه: «**القرآن آمر زاجر**»، أي يأمر بالخير والصلاح، ويزجر عن الشر والفساد (الَّتي ضَعُفَتِ الجِبالُ الرَّواسي) جمع راسية بمعنى الثابتة (عَلى صَلابَتِها) أي: مع أن الجبال في غاية الصلابة (عَنِ احْتِمالِه) أي: تحمل القرآن إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا

﴿مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾[1]، الإنسان هو الذى يتحمل المسؤولية عن التكليف، لأنَّ اللّٰه سبحانه منحه العقل والحرية والإرادة والقدرة على التنفيذ، ولا شيء من ذلك في الجبال كي تكلف وتحاسب وتسأل، وعليه يكون ضعف الجبال هنا كناية عن عدم تكليفها من الأساس، وأن المسؤول عن التكليف وأمانة اللّٰه سبحانه هو الإنسان، ويجب أن يحرص كل الحرص على الطاعة والتنفيذ.

القرآن حماية من الوساوس والفزع الأكبر:

(اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَدِمْ بِالقُرْآنِ صَلاحَ ظاهِرِنا) أي: وفقنا لأن نديم صلاح ظاهرنا بسبب العمل بالقرآن، فإن العمل بالقرآن يوجب أن يكون ظاهر الإنسان ظاهراً صالحاً (وَاحْجُبْ بِهِ) أي: امنع بسبب القرآن (خَطَراتِ الوَساوِسِ) الوساوس: جمع وسواس،أي: ما يخطر ببال الإنسان من وساوس الشيطان، وبتعبير آخر: هو حديث النفس الذى يمر بالفكر من حين إلى حين، ولا مفر منه لكبير أو صغير، ولكن العاقل يمضي في سبيله كأن لم يكن شيئاً، أما الإنسان الخرافي فيندفع وراءه، ويبني الدور والقصور في الهواء من زبد الماء، وهذه هي الرعونة بالذات، ومثله تماماً من يفقد الصبر، ويهيج لأتفه الأسباب...

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

إنَّ التمييز بين الوهم والواقع هو الحجر الأساس لبناء شخصية قوية تواجه الأحداث والمشكلات بأعصاب باردة راكدة، وتعالجها بالحكمة، وتنجو منها بسلام (عَنْ صِحَّةِ ضَمائِرِنا) أي: ضمائرنا الصحيحة حتى لا تفسد بواطننا بالوسوسة التي يلقيها الشيطان في قلوبنا (وَاغْسِلْ بِهِ) أي: بالقرآن (دَرَنَ) أي: قذارة (قُلُوبِنا) والمراد الرذائل العالقة بالقلب كالحسد والكبر وما أشبه (وَعَلائِقَ أَوْزارِنا) أي: الآثام التي علقت بنا، والمعنى طهرنا بالقرآن من المعاصي والرذائل وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد (وَاجْمَعْ بِهِ) أي: بسبب القرآن (مُنْتَشَرَ أُمُورِنا) أي: أمورنا المتشتتة التي تحتاج إلى الجمع فإن تشتت أمور الإنسان يوجب تبعثر قواه وتفرق فكره فلا يتمكن من العمل والتقدم (وَأَرْوِ) من الروي بمعنى الارتواء (بِهِ) أي: بالقرآن (فِي مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ) في الآخرة (ظَمَأَ) أي: عطش (هَواجِرِنا) جمع هاجرة وهي الساعة الحارة، فالإسناد إلى الزمان مجازاً، وإلا فالظمأ للإنسان (وَاكْسُنا بِهِ) أي: بالقرآن (حُلَلَ الأمانِ) كأن الأمان من المخاوف حلة يلبسها الإنسان (يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ) فإن الخوف في يوم القيامة أعظم من كل خوف (في نُشُورِنا) أي: بعثنا.

القرآن يجبر الثغرات:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ بِالقُرْآنِ خَلَّتَنا) أي: الثغرة الموجودة فينا (مِنْ عَدَمِ الإِمْلاقِ) الإملاق الفقر، وإضافة العدم إليه من باب البيان أي: الإملاق الذي هو عدم (وَسُقْ إِلَيْنا بِهِ) بسبب القرآن (رَغَدَ العَيْشِ) أي: الواسع من العيش (وخصب) مقابل الجدب بمعنى القحط (سَعَةَ الأَرْزاقِ) حتى تكون أرزاقنا واسعة (وَجَنِّبْنا به) أي: بالقرآن (الضَّرائِبَ) جمع ضريبة بمعنى الطبيعة (المَذْمُومَةَ) كالجبن والبخل وما أشبه (وَمَدانِيَ الأَخْلاقِ) أي: الأخلاق الدنيئة (وَاعْصِمْنا بِهِ) أي: بالقرآن (مِنْ هُوَّةِ الكُفْرِ) الهوة المنخفض من الأرض وقد شبه بها الكفر لكونه ترد وانحطاطاً (وَدَواعِي النِّفاقِ) أي: الصفات والأمور التي تدعو إلى النفاق، بأن لا نبتلي بما يوجب على الإنسان أن يكون منافقاً (حَتّى يَكُونَ) القرآن (لَنَا فِي القِيامَةِ إِلى رِضْوانِكَ وَجِنانِكَ قائِداً) يقودنا إلى رضاك وجنتك (وَلَنا فِي الدُّنْيا عَنْ سَخَطِكَ) وغضبك (وَتَعَدّي حُدُودِكَ) أي أحكامك (ذائِداً) أي: مانعاً فلا نعمل ما يوجب غضبك (وَلِما عِنْدَكَ) متعلق (شاهداً) أي: يكون القرآن لنا شاهداً (بِتَحْلِيلِ حَلالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرامِهِ شاهِداً) أي: يشهد بأن في الدنيا حللنا حلالك وحرمنا حرامك ولم نخالف أمرك.

القرآن يهوّن علينا حالة الاحتضار:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَهَوِّنْ بِالقُرآنِ) أي: سهل بسبب القرآن (عِنْدَ المَوْتِ عَلى أنْفُسِنا كَرْبَ السِّياقِ) السياق: حالة سوق المحتضر من الدنيا إلى الآخرة، وكربه همه وأتعابه (وَجَهْدَ الأَنينِ) حتى لا يوجب الأنين لنا جهداً ومشقة وتعباً (وَتَرادُفَ الحَشارِجِ) جمع حشرجة: بمعنى الغرغرة عند الموت وتردد النفس، وترادفها ترددها ذهاباً وإياباً مما يوجب المشقة، أي: هون ذلك علينا (إذا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَراقِيَ) جمع ترقوة: العظم المحيط بالرقبة، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾[1] فإنها أشد حالات المحتضر (وَقيلَ مَنْ راقٍ؟) أي: قالت الملائكة: من يرقَ بروح هذا الميت إلى الملأ الأعلى، ومحل العرض للمحاكمة أمام اللّه تعالى؟ (وَتَجَلّى مَلَكُ المَوْتِ) أي: ظهر الملك الموكل بموت الإنسان (لِقَبْضِها) أي: أخذ النفوس من الأبدان (مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ) متعلق بـ [تجلى] أي: ظهر من حجاب الغيب، فإنه غائب عن الأبصار كالمستتر بستر (وَرَماها) أي: رمى ملك الموت النفوس (عَنْ قَوْسِ المَنايا) أي: القوس التي يرمي بها الموت، منايا جمع منية بمعنى الموت (بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الفِراقِ) أي: بالسهم الذي يوجب وحشة الإنسان بسبب فراقه

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

لبدنه وأهله وسائر الأمور الدنيوية (وَدَافَ) دأف الدواء: إذا خلطه بالماء (لَها) أي: للنفوس، وفاعل داف ملك الموت (مِنْ ذُعافِ المَوْتِ) أي: خالصه (كَأساً مَسْمُومَةَ المَذاقِ) أي: من ذوقها يوجب تسمم الإنسان (وَدَنا) أي: قرب (مِنَّا إِلَى الآخِرَةِ رَحيلٌ وَانْطِلاقٌ) أي: أن نرحل وأن ننطلق (وَصارَتِ الأَعْمالُ) التي عملناها في الدنيا (قَلائِدَ) أي: كالقلائد (فِي الأَعْناقِ) قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]، فإن كانت خيراً زانتنا وإن كانت شراً شانتنا (وَكانَتِ القُبُورُ هِيَ المَأْوى) أي: المحل الذي نأوي إليه ونتخذه منزلاً (إِلى ميقَاتِ) أي: وقت (يَوْمِ التَّلاقِ) أي: تلاقي الروح والجسد في الآخرة، حيث يحيى الناس للعرض الأكبر.

أحوال القبر:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبارِكْ لَنا) المراد بالبركة الإحساس بالكرامة لا بالمهانة التي يحسها ويعاني منها السجناء في دار الحياة، قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[2] حيث يثيب ويكرم سبحانه الذين ينزلهم في داره وجواره بالخيرات والمسرات (فِي حُلُولِ) أي: حلولنا (دارِ

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٩.

البِلى) أي: الفناء، والمباركة بمعنى الثبات في الخير (وَطُولِ المُقامَةِ) أي: الإقامة والبقاء (بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى) أطباق جمع طبق، أي الغطاء، والثرى: التراب، والمعنى ندفن بعد الموت في حفرة تنقطع في ظلمتها آثارنا وتغيب أخبارنا، ومن فوقنا يعلو التراب المتراكم، ونبقى في هذا الظلام الأبهم إلى قيام الساعة (وَاجْعَلِ القُبُوْرَ بَعْدَ فِراقِ الدُّنْيا) أي: مفارقتنا للدنيا (خَيْرَ مَنازِلِنا) فإن حسن المنزل الأول للمسافر الغريب أفضل من حسن المنازل الأخر لاستيناس الإنسان بالسفر بعد ذلك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**»[1]، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[2] أبداً لا خوف على البريء السليم من الآثام وإن كان تحت الثرى، وإنما الخوف كل الخوف على من ارتكب الحرام وعصى الرحمان (وَافْسَحْ لَنا بِرَحْمَتِكَ في ضيقِ مَلاحِدِنا) اللحد: هو الشق في القبر الذي يوضع فيه الميت، والمراد فسحته المعنوية (وَلا تَفْضَحْنا في حاضِرِي القيامَةِ) أي: الذين يحضرون القيامة (بِمُوبِقاتِ آثامِنا) الموبقة المهلكة، وآثام هي الذنوب التي يرتكبها الإنسان (وَارْحَمْ بِـ) سبب (القُرآنِ في مَوْقِفِ

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٠٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.

العَرْضِ عَلَيْكَ) أي: المحل الذي نعرض عليك لأجل المحاسبة والمجازاة (ذُلَّ مَقامِنا) فإن الإنسان هناك ذليل خائف (وَثَبِّتْ بِهِ) أي: بسبب القرآن (عِنْدَ اضْطِرابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ) الذي هو بين المحشر وبين الجنة، ممدود على جهنم يسقط منه الأثيم إلى النار وينجو المؤمن المطيع (يَوْمَ المَجازِ عَلَيْها) أي: العبور على النار (زَلَلَ أَقْدامِنا) حتى لا نزل ولا نسقط (وَنَوِّرْ به) أي: بالقرآن (قَبْلَ البَعْثِ) أي: قبل أن تقوم القيامة (سَدَفَ قُبُورِنا) أي: ظلمة قبورنا (وَنَجِّنا بِهِ) أي: بالقرآن (مِنْ كُلِّ كَرْبِ يَوْمَ القِيامَةِ) فإن للقيامة كرباً كثيرة (وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّة) الداهية، والمراد بها هنا القيامه، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾[1]، وقالوا: ما من طامة إلا وفوقها طامة، والقيامة فوق كل طامة (وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ) جمع ظالم، فإن المخاوف والغبار وما أشبه توجب اسوداد الوجه، بخلاف الأفراح والنظافة وما أشبه فإنها توجب ابيضاض الوجه (فِي يَوْمِ الحَسْرَةِ) فإن الإنسان يتحسر لماذا لم يفعل بالطاعات (والنَّدامَةِ) فإن الإنسان يندم لما فات منه من الخير الذي لا يمكن تداركه (وَاجْعَلْ لَنا فِي صُدُورِ المُؤْمِنينَ وُدّاً) أي: حباً بأن يحبوننا، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1] (ولا تَجْعَلِ الحَياةَ عَلَيْنا نَكَداً) أي: صعباً.

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ) لعل تقديم العبد لمقابلة ما يزعم اليهود والنصارى من أن أنبياءهم أبناء اللّه وشركاء له (كَما بَلَّغَ رِسالَتَكَ) أي: في مقابل تبليغه لدينك (وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ) أي: قام بإنفاذه (وَنَصَحَ لِعِبادِكَ) وأرشدهم.

مقام الرسول الأعظم ﷺ عند الله سبحانه:

(اللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ يَوْمَ القِيامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِساً) المراد: القرب المعنوي وإلا فإنه سبحانه ليس بجسم، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، هذا بيان لمقام الرسول الأعظم ﷺ عند اللّه سبحانه، بأسلوب الدعاء والرجاء (وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً) بأن يكون أكثر تمكناً من شفاعة المذنبين لديك فتقبل شفاعته (وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً) بأن يكون أرفع شأناً من سائرهم (وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جاهاً) أي: مقاماً ومنزلة.

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَشَرِّفْ بُنْيانَهُ) أي: بِناءَهُ، وكأن المراد بذلك دينه الذي بناه، وتشريفه تعظيمه وجعله شريفاً ارفع شأنه فوق كل شأن. وفي نهج البلاغة: «**اَللّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِناءِ**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

الْبَانِينَ بِنَاءَهُ» (وَعَظِّمْ بُرْهانَهُ) حتى يكون دليله وحجته عظيماً لا يتمكن أحد من نقضه (وَثَقِّلْ ميزانَهُ) بالحسنات (وَتَقَبَّلْ شَفاعَتَهُ) بأن تعفو عمن شفع ﷺ له (وَقَرِّبْ وَسيلَتَهُ) حتى يكون السبب الذي بينك وبينه أقرب من سائر الأسباب (وَبَيِّضْ وَجْهَهُ) كناية عن إعطائه ما يريد حتى يسر ويفرح (وَأَتِمَّ نُورَهُ) بأن يبلغ أقصى الحد الممكن (وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ) في الجنة، وفي رضوانك (وَأَحْيِنا عَلى سُنَّتِهِ) أي: طريقته ودينه، أي: ثبتنا على الإسلام: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[1] (وَتَوَفَّنا) أي: أمتنا (عَلى مِلَّتِهِ) أي: دينه وطريقته (وَخُذْ بِنا مِنْهاجَهُ) بأن نسير في النهج الذي جعله (وَاسْلُكْ بِنا سَبِيلَهُ) بأن توفقنا لأن نسلك في الطريق الذي قرره وهو الإسلام (وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ طاعَتِهِ) فنكون مطيعين لأوامره (وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ) أي: جماعته، والحشر: الجمع يوم القيامة (وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ) هو حوض الكوثر الذي مَن شرب منه ارتوى من عطش يوم القيامة (وَاسْقِنا بِكَأْسِهِ) أي: الكأس التي يملؤها، وهذا كناية عن كوننا من أمته وتحت لوائه.

(وَصَلِّ اللّهُمَّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تُبَلِّغُهُ بها) أي: بسبب تلك الصلاة والرحمة منك إليه (أَفْضَلَ ما يأْمُلُ) ما يحب الرسول ويرضى ﷺ (مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرامَتِكَ) له (إِنَّكَ)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

يا رب (ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) تسع كل ما تريد (وَفَضْلٍ كَرِيمٍ) يوجب كرامة الإنسان الذي تفضلت عليه.

(اللّهُمَّ اجْزِهِ) أي: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (بِـ) مقابل (ما بَلَّغَ مِنْ رِسالاتِكَ) فإن كل حكم رسالة (وَأدّى) أي: جاء إلى الناس (مِنْ آياتِكَ) آيات القرآن، أو الأدلة الدالة عليه تعالى (وَنَصَحَ لعِبادِكَ) بأن أرشدهم (وجاهَدَ في سَبيلِكَ) ولإعلاء دينك (أَفْضَلَ ما جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ) الذين لهم القرب لديك (وَأَنْبِيائِكَ المُرْسَلينَ المُصْطَفَيْنَ) أي: الذين اصطفيتهم واخترتهم (وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبينَ) عن الخبائث (الطَّاهِرِينَ) عن الأقذار (وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكاتُهُ) عليه وعلى آله.

دعاؤه في التحميد لله تعالى

وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد للّه عزَّ وجل والثناء عليه فقال:

الحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّل بِلا أَوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ، والآخِرِ بِلا آخرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذي قَصُرتْ عَنْ رُؤْيَتِه أَبْصارُ النّاظرينَ وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهامُ الواصِفينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الخَلْقَ ابْتِداعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ على مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَريقَ إِرادَتِهِ وبَعَثَهُمْ في سَبيلِ

مَحَبّته، لا يَمْلكونَ تأخيراً عَمَّا قدَّمهُمْ إليْه، وَلا يَسْتطيعُونَ تَقدُّماً إلى ما أَخَّرَهُمْ عَنْهُ، وَجعَلَ لكُلِّ رُوح مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقه، لا يَنْقُصُ مَنْ زادَهُ نَاقصٌ، وَلا يَزيدُ مَنْ نَقَصَ منْهُمْ زائدٌ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ في الحَياة أَجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطَّى إليْه بأَيّام عُمُرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بأعْوام دَهْرِه، حَتَّى إذا بَلَغَ أقْصى أثَرِه، وَاسْتوعَبَ حساب عُمُرِه، قَبَضَهُ إلى ما نَدَبَهُ إليه مِنْ مَوْفُورِ ثَوابه، أوْ مَحْذُورِ عِقَابه، لِيَجْزيَ الَّذين أساءُوا بما عَملُوا وَيَجْزيَ الَّذين أحْسَنُوا بالحُسْنى، عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ، وَتظاهَرَتْ آلاؤُهُ، لا يُسْأَلُ عمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

وَالحَمْدُ للّه الذي لَوْ حبَسَ عَنْ عِبادِه مَعْرِفَةَ حَمْدِه عَلى ما أبْلاهُمْ مِنْ مِنَنه المُتَتابِعَة، وَأسْبَغَ عَلَيهِمْ مِنْ نِعَمِه المُتَظاهِرَة، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنه فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتوَسَّعُوا في رِزْقه فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُود الإنْسانيَّة إلى حَدِّ البَهيميَّة. فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَم كِتابِه: (إنْ هُمْ إلاّ كَالأنْعَام بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبيلاً). والحَمْدُ للّه عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسه وَأَلْهَمَنا مِنْ شُكْرِه، وَفتَحَ لَنا مِنْ أبْوَاب العِلْم برُبُوبيَّته وَدَلَّنا عَلَيْه مِنَ الإخْلاص لَهُ في تَوْحيدِه، وَجَنَّبَنا مِنَ الإلْحادِ وَالشَّكِّ في أمْرِه، حَمْداً نُعَمَّرُ به فيمَنْ حَمدَهُ مِنْ خَلْقه، وَنَسْبقُ به مَنْ سَبَقَ إلى رِضاهُ وَعَفْوِه، حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ ظُلُماتِ البَرْزَخِ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنا بِهِ سَبيلَ

المَبْعَث، وَيُشرِّفُ بِه مَنازِلَنا عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهاد، يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ، يَوْمَ لا يُغْني مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ. حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنّا إِلى أَعْلى عِلِّيِّينَ في كِتابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ، حَمْداً تَقَرُّ بِه عُيُونُنا إِذا بَرِقَتِ الأَبْصارُ، وَتَبْيَضُّ بِه وُجُوهُنا إِذا اسْوَدَّتِ الأَبْشارُ، حَمْداً نُعْتَقُ بِه مِنَ أَليمِ نارِ اللّٰه إِلى كَريمِ جِوارِ اللّٰه، حَمْداً نُزاحِمُ بِه مَلآئِكَتَهُ المُقَرَّبينَ، وَنُضامُّ بِه أَنْبِيائَهُ المُرْسَلِينَ في دارِ المُقامَةِ الَّتي لا تَزولُ، ومَحَلِّ كَرامَتِه الَّتي لا تَحُولُ، وَالحَمْدُ للّٰه الَّذي اخْتارَ لَنَا مَحاسِنَ الخَلْقِ وَأَجْرى عَلَيْنا طَيِّباتِ الرِّزْقِ وَجَعَلَ لَنَا الفَضِيلَةَ بِالمَلَكَةِ عَلى جَميعِ الخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِه، وَصائِرَةٌ إِلى طاعَتِنا بِعِزَّتِه، وَالحَمْدُ للّٰه الَّذي أَغْلَقَ عَنّا بابَ الحاجَةِ إِلاّ إِليه، فَكَيْفَ نُطيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتى نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟! لا، مَتى؟، وَالحَمْدُ للّٰه الَّذي رَكَّبَ فِينا آلاتِ البَسْطِ، وَجَعَلَ لَنا أَدَواتِ القَبْضِ، وَمَتَّعَنا بِأَرْواحِ الحَياةِ، وَأَثْبَتَ فِينا جَوارِحَ الأَعْمالِ، وَغَذّانا بِطَيِّباتِ الرِّزْقِ، وَأَغْنانا بِفَضْلِه، وَأَقْنانا بِمَنِّه، ثُمَّ أَمَرَنا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَنَهانا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنا، فَخالَفْنا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِه، وَرَكِبْنا مُتُونَ زَجْرِه فَلَمْ يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِه وَلَمْ يُعاجِلْنا بِنِقْمَتِه، بَلْ تَأَنّانا بِرَحْمَتِه تَكَرُّماً، وَانْتَظَرَ مُراجَعَتَنا بِرَأْفَتِه حِلْماً، وَالحَمْدُ للّٰه الَّذي دَلَّنا عَلَى التَّوْبَةِ، الَّتي لَمْ نُفِدْها إِلاّ مِنْ فَضْلِه فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِه إِلاّ بِها لَقَدْ

حَسُنَ بلاؤُهُ عِنْدَنا وَجَلَّ إِحْسانُهُ إِلَيْنا، وَجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنا، فَما هكَذا كانَتْ سُنَّتُهُ في التَّوْبَة لِمَنْ كانَ قَبْلَنا، لَقَدْ وَضَعَ عَنّا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنا إِلاّ وُسْعاً، وَلَمْ يُجَشِّمْنا إِلاّ يُسْراً، وَلَمْ يَدَعْ لأَحَدٍ مِنّا حُجَّةً وَلا عُذْراً، فَالهالِكُ مِنّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ، وَالسَّعيدُ مِنّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْه، وَالحَمْدُ لِلّه بِكُلِّ ما حَمِدَهُ بِهِ أَدْنى مَلآئِكَتِهِ إِلَيْهِ وَأَكْرَمُ خَليقَتِهِ عَلَيْهِ وَأَرْضى حامِديهِ لَدَيْهِ، حَمْداً يَفْضُلُ سآئِرَ الحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنا عَلى جَميعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ لَهُ الحَمْدُ مَكانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنا وَعَلى جَميعِ عِبادِهِ الماضينَ والباقينَ عَدَدَ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَميعِ الأَشْياءِ، وَمَكانَ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْها عَدَدُها أَضْعافاً مُضاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إِلى يَوْمِ القِيامَةِ. حَمْداً لا مُنْتَهى لِحَدِّهِ وَلا حِسابَ لِعَدَدِهِ، وَلا مَبْلَغَ لِغايَتِهِ، وَلا انْقِطاعَ لأَمَدِهِ. حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلى طاعَتِهِ وَعَفْوِهِ، وَسَبَباً إِلى رِضْوانِهِ وَذَريعَةً إِلى مَغْفِرَتِهِ، وَطَريقاً إِلى جَنَّتِهِ، وَخَفيراً مِنْ نَقِمَتِهِ، وَأَمْناً مِنْ غَضَبِهِ،وَظَهيراً عَلى طاعَتِهِ، وَحاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَوْناً عَلى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ وَوَظآئِفِهِ. حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ في السُّعَدآءِ مِنْ أَوْلِيآئِهِ، وَنَصيرُ بِهِ في نَظْمِ الشُّهَدآءِ بِسُيُوفِ أَعْدآئِهِ، إِنَّهُ وَلِيٌّ حَميدٌ[1].

(١) الدعاء الأول من الصحيفة السجادية .

اللغة:

(الحَمْدُ): قال الراغب في مفرداته: الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر. (قَصُرتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ): قصر عن الشيء: كف عنه وتركه مع العجز وقصر السهم عن الهدف لم يبلغه. (وعَجَزَتْ): عجز عن الشيء: لم يقتدر عليه. (عَنْ نَعْتِهِ): النعت: الوصف وأغلب ما يستعمل للوصف بما حسن وطاب. (أَوْهامُ): مفردها وهم وهو ما يتخيله الإنسان ويتصوره. (ابْتَدَعَ): الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ومنه قيل ركية بئر بديع أي جديدة الحفر وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلا لله، هكذا أورده الراغب في مفرداته[1]. (الخَلْقَ): الناس. (سَلَكَ بِهِمْ): ذهب بهم يتعدى بنفسه وبالباء. (رُوحٍ): الروح، النفس والشخص. (قُوتاً): القوت: بالضم وهو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام وعن ابن فارس والأزهري، القوت، ما يؤكل ليمسك الرمق. (أَثَرِهِ): الأثر: الأجل ومنه قولهم: قطع أثره أي أجله لأن من مات لم يبق له أثر. (وَاسْتَوعَبَ): استوعبه: استقصاه وأخذه جميعه. (قَبَضَهُ): أماته. (نَدَبَهُ): إلي شيء: دعاه إليه. (مَوْفُورِ): الكامل التام، والوفر المال. (ضَرَبَ

---

(١) مفردات الراغب: ص٣٨.

لَهُ): قدَّر له وقرَّر. (مَوْقُوتاً): الموقوت: المحدود بأوقات معينة. (وَنَصَبَ لَهُ): نصب الشيء: وضعه. (أَمَداً): الأمد: مدَّة لها حد مجهول إذا أُطلق وقد ينحصر نحو قولنا أمد كذا كما يقال زمان كذا. (يَتَخَطَّى): تخطى إلي كذا: تجاوزه وسبقه. (وَيَرْهَقُهُ): يغشاه وهو أن يحمّل الإنسان ما لا يطيق. (دَهْرِه): الدهر: الزمان. (بَلَغَ): وصل. (أَقْصى): الشيء: منتهاه. (تَقَدَّسَتْ): تطهرت. (وَتَظاهَرَتْ): ترادفت أو ظهرت وبانت. (آلاؤُهُ): الآلاء: النعم. (أَبْلاهُمْ): اختبرهم ليعرف حقيقتهم. (مِنَنِه): مفردها منة وهي النعمة العظيمة. (وَأَسْبَغَ): سبوغاً العيش: اتسع وكان رغداً وأسبغ عليه النعمة أتمها ووسعها. (الْمُتَظاهِرَة): تظاهرت: بانت وظهرت وعلت. (البَهيمِيَّةِ): جمعها بهائم وهو من لا يميز من الحيوان. (كَالأَنْعَامِ): يقال للإبل والبقر والغنم. (وَدَلَّنَا): على الشيء وإليه: أرشده وهداه. (وَجَنَّبَنا): جنبه الشر: نجاه وابعده عنه. (الإِلْحادِ): الكفر، ألحد في الدين عاد عنه وعدل وفي مفردات الراغب: ألحد فلان مال عن الحق والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله. (نُعَمَّرُ): نحيا. (البَرْزَخِ): الحاجز بين الشيئين واستعمل في الفترة الممتدة ما بين الموت إلى القيامة فمن مات دخل البرزخ.

(المَبْعَثِ): من البعث ولغة معناه الإرسال واصطلاحاً نشر الموتى وإرسالهم للمحشر من أجل الحساب. (وَيُشرِّفُ بِهِ مَنازِلَنا): يعليها ويرفعها. (مَوْلىً): المولى: الصاحب، والصديق وله معان أخرى... (عِلِّيِّينَ): قال الراغب في مفرداته هو اسم أشرف الجنان كما أنَّ سِجِّينا اسم شر النيران وقيل بل ذلك في الحقيقة اسم سكانها وهذا أقرب في العربية. (مَرْقُوم): الرقم: الخط الغليظ وقيل هو تعجيم الكتاب وقوله تعالى: كتابٌ مرقوم حمل على الوجهين. (المُقَرَّبُونَ): الملائكة المقربون عند الله. (الأَبْشارُ): جلد الإنسان الظاهر. (نُعْتَقُ بِهِ): اعتقت العبد: حررته وأطلقته من أسر العبودية. (نُزاحِمُ): زاحمه: ضايقه ودافعه في محل ضيق. (وَنُضآمُّ): من الضَّم بمعنى الجمع. (دارِ المُقامَةِ): دار الإقامة. (لا تَحُولُ): لا تتغير. (مَحاسِنَ): مفردها الحسن وهو الجمال. (الخَلْقِ): مصدر الناس والفطرة والخلقة بكسر الخاء الهيئة والفطرة.

(وَأَجْرى): عليه الرزق: أي جعله دارّاً متصلاّ. (الفَضِيلَةَ): الشرف والدرجة الرفيعة في الذكر. (بِالمَلَكَةِ): المملوك والمقصود هنا ملكة العقل. (مُنْقادَةٌ): انقاد: خضع له وأذعن. (نُطِيقُ): أطاق الشيء: قدر عليه. (رَكَّبَ): وضع. (بِأَرْواحِ): الروح: بضم الراء النفس وبالفتح الراحة. (وَأَثْبَتَ): ثبت: دام

واستقر واثبت جعله ثابتاً. (جَوارِحَ): مفرده جارحة وهو العضو من الإنسان ولاسيما اليد. (وَأَقْنانا): أقنى: أغنى وأعطى ما يقتني. (بِمَنِّه): المن: الإنعام والفضل. (لِيَبْتَلِيَ): الابتلاء: الاختبار والامتحان. (مُتُونَ): المتن: الظهر ومتن الأرض ما ارتفع منها واستوى. (زَجْرِه): الزجر: المنع والنهي. (يَبْتَدِرْنا): بادر إلى الشيء: أسرع وعجَّل إليه. (بِنِقْمَتِه): النقمة: المكافاة بالعقوبة. (تَأَنّانا): تمهَّلنا، تأنى فلان تمهَّل.

(بِرَأفَته): الرأفة: الرحمة ترأف به رحمه أشد الرحمة. (دَلَّنا): دلَّه على الشيء: أرشده إليه وهداه. (نُفِدْها): نستفيدها من الإفادة وهي المنفعة. (نَعْتَدِدْ): نعدّ ونحسب. (بَلاؤُهُ): البلاء: الاختبار بالخير أو الشر. (وَجَلَّ): عظم وكبر. (وَجَسُمَ): عظم وضخم. (سُنَّتُهُ): السنة، الطريقة. (طاقَةَ): القدرة على الشيء. (وُسْعاً): الوسع: الطاقة يقال ليس في وسعه أن يعمل كذا أي لا يقدر عليه. (يُجَشِّمْنا): تجشَّم الأمر: تكلفه على مشقة. (وَلَمْ يَدَعْ): لم يترك. (حُجَّةً): ما يحتج به. (أَدْنى): دنا: اقترب والأدنى: الأقرب. (خَلِيقَتِه): مخلوقاته.

(أحاطَ بِهِ): أحدق به من جوانبه ويقال أحاط بالأمر علماً أي أحدق به علمه من جميع جهاته. (أَبَداً): ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً وإثباتاً، يقال لا أفعله أبداً أو أفعله أبداً والأبدي ما

لا نهاية له. (سَرْمَداً): السرمدي: ما لا أوّل له ولا آخر. (لأَمَدِهِ): الأمد: الغاية ومنتهى الشيء. (وُصْلَةً): الوصلة: يقال وصله إلى المكان أي بلغه وانتهى إليه. (وَذَرِيعَةً): وسيلة. (وَخَفيراً): خفره وخفر به وعليه: أجاره وحماه وآمنه والخفير المجير والحامي. (وَظهيراً): معيناً. (نَظْمِ): جماعة.

الشرح:

هو الأول والآخر:

(الحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ) الثناء بالجميل على المحمود تبجيلاً له وتعظيماً، والثناء على اللّه تعالى بما هو أهله خير ما تفتح به الأقوال والأعمال، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه أمر يسره قال: الحمد للّه الذى بنعمته تتم الصالحات وإذا أتاه أمر يكرهه قال: الحمد للّه على كل حال**»[1]، فهو سبحانه قبل الأشياء لم يسبقه سابق، حتى إنَّ الزمان والمكان مخلوقان له، فهو قبلهما (والآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ) اللّه سبحانه واجب الوجود لذاته، ومعنى هذا أنه تعالى لايزال موجوداً بلا علة لوجوده، وأنه الموجود الأول بلا ابتداء، ودائم الوجود بلا انتهاء، وأنه المبدأ الأول لكل الموجودات، ولو

(١) في رحاب الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

أمكن عدم وجوده لحظة واحدة لم يكن واجب الوجود وهو خلاف الفرض، وعبر الفلاسفة عن هذا المعنى بقولهم: هو أزلي في القدم، أبدي في البقاء. وقال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «(هو) **الأوّل قبل كلّ شيء ولا قبل له، والآخر بعد كلّ شيء ولا بعد له**»[1] وعليه يكون سبحانه الأول والآخر بالنسبة إلى مخلوقاته لا بالنسبة إلى ذاته. (الَّذي قَصُرتْ عَنْ رُؤْيَتِه أَبْصارُ النّاظِرينَ) فإنه سبحانه يستحيل رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة (وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ) أي وصفه كما هو أهله، لا الأوصاف العامة ـ كالعالم والقادر وما أشبه ـ (أَوْهامُ الواصِفينَ) أوهامهم: أي أذهانهم وأفكارهم، فإن الأفكار لا تصل إلى كنه معرفة اللّه سبحانه.

(ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ ابْتِداعاً) الابتداع: الخلق بلا سابقة وبلا تعلم من أحد، فإنه سبحانه خلق الخلق بدون أن يتعلم من خالق سابق (وَاخْتَرَعَهُمْ) الاختراع: الشق والكشف، وهذا أعم من الابتداع، وإن كان المفاد واحداً (على مَشِيَّتِهِ اخْتِراعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَريقَ إِرادَتِهِ) أي جعلهم كما أراد في الكيفية والخصوصيات، فإن لكل إنسان مزايا خاصة ـ من اللون وكيفية الجسم ومدة العمر وما أشبه ـ (وَبَعَثَهُمْ في سَبيلِ مَحَبّتِهِ) لعل المعنى أنه سبحانه ألزم عليهم تكاليف خاصة حيث أحب وكما

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١ ،ص٤٥٢ .

أراد، فالجملة الأولى للتكوين والجملة الثانية للتشريع. يفترق الإسلام عن غيره من الأديان بأنه يجرد البشرية كلها من حق التشريع والتحليل والتحريم، ويحصر الشريعه بخالق الطبيعة، وليس للنبي منها إلا التبليغ، أجل يترك الإسلام الامتثال والتنفيذ. لحرية الإنسان بعد أن يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويبشره بالثواب على الطاعة، وينذره بالعقاب على المعصية، ولا يلجئه قهراً على فعل واجب ولا ترك محرم حيث لا إنسانية بلا حرية، ومعنى هذا أنَّ الإنسان مسيّر تشريعاً، مخير تنفيذاً، ومسؤول عن سلوكه وتصرفاته، فإذا امتنع بإرادته واختياره عن فعل الواجب وترك المحرم استحق العقاب، لأن من امتنع عن الاختيار فقد اختار أن لايختار. وأنه تعالى قد بين حلاله وحرامه لعباده في كتبه وعلى لسان رسله، ليتقوا ويهتدوا ويعملوا متعاضدين لحياة أفضل وأكمل، وفي هذا المعنى العديد من الآيات، منها: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١). (لا يَمْلِكُونَ تَأخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إلَيْهِ) أي لا يتمكن أحد من البشر أن يتأخر عن المرتبة التي جعلها اللّه سبحانه له (وَلا يَسْتَطيعُونَ تَقَدُّماً إلى ما أَخَّرَهُمْ عَنْهُ) بأن يتقدم إلى المرتبة السابقة وقد شاء اللّه له المرتبة اللاحقة. والمعنى الآخر هو أن التشريع

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣ .

والتحليل والتحريم للّه سبحانه وحده ولا شيء منه للفرد أو لأية فئة أو هيئة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا... أَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الْحَلاَلَ مَا أَحَلَّ اللّهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللّه**»(١). (وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ) أي لكل إنسان (قُوتاً مَعْلُوماً) القوت: ما يأكله الإنسان، أو المراد الأعم من المأكول والملبوس وما أشبه. (مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ) وقد عينه له حين قسم الأرزاق للبشر (لا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ) اللّه سبحانه في الرزق (نَاقِصٌ) أي لا يتمكن أحد أو شيء أن ينقص من رزق من أراد اللّه تعالى زيادة رزقه. (وَلا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ) اللّه في رزقه (مِنْهُمْ زائِدٌ) فلا يتمكن أحد أن يزيد في رزق من قدّر له نقص الرزق، يريد به أن كل حي يستوفي رزقه بالكامل قبل موته، فلا يحرم شيئاً مما هو له، ولا يرزق ما ليس له، وإذاً علام التحاسد والتباغض؟ (ثُمَّ ضَرَبَ) وعين (لَهُ في الحَياةِ) الدنيا (أَجَلاً) أي مدة معينة يبقى في الحياة. والأجل له إطلاقان: إطلاق على المدة، وإطلاق على نهاية المدة (مَوْقُوتاً) أي معيناً، مشتق من الوقت (وَنَصَبَ) أي جعل (لَهُ أَمَداً) أي مدة (مَحْدُوداً) قد حدّ وعيّن، ولعل الأجل: لمنتهى المدة، والأمد: لتمام المدة (يَتَخَطَّى إِلَيْهِ بِأَيّامِ عُمُرِهِ) كما يتخطى الإنسان في المسافة حتى يبلغ

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج٢١، ص٣٢٤.

النهاية، فكأن أيام العمر خطى الإنسان نحو آخر مدته، فإذا انتهت أيام عمره كان واصلاً إلى آخر مدته في الحياة فيموت، شبه عليه السلام العمر بالمشي، والأيام بالخطى إلى الموت، وفي نهج البلاغه: «**مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِه وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً**»[1] أي ساكناً مستريحاً (وَيَرْهَقُهُ) أي يدنو إليه بسرعة (بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ) أعوام: جمع عام، أي بسنوات الدهر المقررة له (حَتَّى إِذا بَلَغَ) الإنسان (أَقْصى أَثَرِهِ) أي آخر الأثر المقرر له، كأن لكل إنسان خطىً من العمر تنتهي، وهذه الخطى أثر الإنسان في الحياة، وبتعبير آخر، إنَّ الأمد المحدد يعجل بالحي ويسرع به إلى الموت بطي السنوات ومضي الأعوام. وكل ذلك بمشيئة الله تعالى، فهو الذى يحيي ويميت في أجل مسمى، لايقدم ولا يؤخّر (وَاسْتَوعَبَ) الاستيعاب: الاشتمال (حِسابَ عُمُرِهِ) بأن أتى على جميع ما قدر له من العمر (قَبَضَهُ) أي أخذه الله سبحانه بالإماتة (إلى ما نَدَبَهُ إليه) أي كلفه به، فإنه سبحانه كلف الإنسان بالواجبات وبترك المحرمات، والمراد بما ندب: نتيجة ما ندب (مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ) أي ثوابه الوافر الكثير لمن أطاع (أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ) أي عقابه الذي يحذر منه ويخاف لمن عصى، لا مفر من الموت،

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١١ ،ص٣٢٩ .

وأيضاً لا مفر من البعث بعد الموت لا لمجرد البعث بل للحساب والمعاملة بالمثل أي (لِيَجْزِيَ الَّذين أساءُوا بِما عَمِلُوا) من الكفر والمعاصي (وَيَجْزِيَ الَّذين أَحْسَنُوا بِالحُسْنى) أي بالصفة الحسنى، مؤنث أحسن، والمراد بالحسنى: الجنة والثواب، وإنما يجازي سبحانه بما عمل الإنسان (عَدْلاً مِنْهُ) تعالى، إذ العدل أن يكون الجزاء شبيه العمل ومن جنسه (تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ) أي تنزهت صفاته عن النقائص، فإن المراد بالأسماء الصفات، إذ الاسم بمعنى العلامة، والصفة علامة (وَتَظاهَرَتْ) أي صارت بعضها ظهر بعض وفي عقبها (آلاؤُهُ) جمع آل بمعنى: النعمة (لا يُسْأَلُ) تعالى (عَمّا يَفْعَلُ) فإنه سبحانه ليس مسؤولاً بحيث يقع في محذور السؤال والجواب، إذ لا مثل له ولا أعلى منه حتى يحاسبه على أعماله (وَهُمْ يُسْأَلُونَ) فإن كل إنسان وحيوان وما أشبه يسأل عن فعله، ولعل قوله: (لا يسأل) كناية عن أن جميع أفعاله على نحو الحكمة والصلاح، فلا موضع لئن يسأل إذ السؤال عن العبث والفوضى.

آثار الحمد لله سبحانه:

(وَالحَمْدُ لِلّٰهِ الذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ) بأن لم يعطهم قدرة المعرفة (عَلى ما أَبْلاهُمْ) وامتحنهم (مِنْ مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ) المنن: جمع منّة، بمعنى النعمة، إذ كل نعمة توجب منة على الإنسان (وَأَسْبَغَ عَلَيهِمْ) أي أعطاهم ووسّع عليهم (مِنْ نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ) التي بعضها ظهر لبعض وفي أثرها وعقبها (لَتَصَرَّفُوا) جواب لو (في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ) إذ المفروض أنهم لا يعرفون الحمد (وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِهِ) أي توسعوا في نيل رزقه والتصرف فيه (فَلَمْ يَشْكُرُوهُ) إذ الشكر فرع المعرفة والمفروض أنهم لا يعرفون حمده (وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ) يتناولون الرزق بدون أن يشكروا (لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسانِيَّةِ إلى حَدِّ البَهيمِيَّةِ) إذ البهيمة لا تشكر لعدم معرفتها، وكذلك يكون الإنسان حينئذ. ولا يخفى أن التشبيه بحسب الظاهر وإلاّ فالبهائم تعرف الإله وتشكره كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]. من جملة ما افترضه سبحانه على عباده الشكر له، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2] وقوله

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة النحل ، الآية: ١١٤ .

تعالى: ﴿...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] وأفضل أنواع الشكر ترك المحرمات، وفي طليعتها كف الأذى عن الناس، وأدناها أن يعرف الإنسان أنَّ ما به من نعمة فمن فضل اللّه وطوله، لا من حول المنعم عليه وقوته، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل: الحمد لله رب العالمين**»[2]. وقال أيضاً عليه السلام: «**من أنعم اللّه عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدى شكرها**»[3].

(فَكانُوا) لعدم شكرهم (كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ) إضافة محكم إلى الكتاب من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي كتابه المحكم الذي لم يطرأ عليه باطل أو نسخ أو ما أشبه (إِنْ هُمْ إلاّ كَالأَنْعَامِ) إن: نافية، أي ليس هؤلاء الذين لا يدينون إلاّ كالأنعام في عدم الفهم والإدراك (بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً) إذ الأنعام تعرف مصالحها ومفاسدها والإنسان المنحرف لا يعرف ذلك، والأنعام تؤدي ما عليها، وتنقاد لصاحبها أمراً وزجراً، أما أهل الجهالة والضلالة فلا يؤدون ما عليهم، ولا ينقادون لخالقهم.

ولا يخفى أن الحمد بالنتيجة على هداية الإنسان وعدم جعله كالأنعام.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص١٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٢.

الشكر على معرفة الله تعالى:

(والحَمْدُ للهِ عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ) إذ ما نعرفه من جهاته سبحانه ـ ولو كانت معرفة ناقصة لا تصل الكنه ـ ليس إلا بسبب تعريفه سبحانه وتعليمه لنا (وَأَلْهَمَنا مِنْ شُكْرِهِ) فإنه ألقى في قلوبنا وجوب شكره، فإن كل إنسان يعرف بالفطرة لزوم شكر المنعم مع الغض عن معلومية ذاته بسبب الأديان والشرائع السماوية (وَفَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ) مِن: للتبعيض، أي بعض أبواب العلم (بربوبيته) حتى عرفناه سبحانه ربّاً لنا ولسائر الموجودات، فإن كل إنسان يعرف بفطرته أن للكون ربّاً وخالقاً (وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإخْلاصِ) من: بيان لضمير (عليه) (لَهُ في تَوْحِيدِهِ) فإن الله أرشدنا إلى لزوم أن نوحده، ونجعل إله الكون واحداً مخلصاً له العقيدة، لا أن نشرك معه غيره (وَجَنَّبَنا) أي بعّدنا بسبب الأدلة والحجج (مِنَ الإلْحادِ) أي الانحراف عن الحقيقة (وَالشَّكِّ في أَمْرِهِ) حتى لا نكون شاكين هل هو موجود أم لا؟ وهل هو واحد أم كثير؟ وهكذا (حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ) أي نقضي أعمارنا بهذا الحمد (فيمَنْ حَمِدَهُ) أي في جملة الذين يحمدونه فنكون كأحدهم، لا في جملة الملحدين والشاكين (مِنْ خَلْقِهِ) من: بيان (من حمده) (وَنَسْبِقُ بِهِ) أي بسبب هذا الحمد (مَنْ سَبَقَ إلى رِضاهُ) تعالى أي نكون سابقاً على من سبق، لأن

حمدنا أكثر من حمدهم فنكون أسبق إلى نيل رضاه، ولا يخفى أن هذا إنشاء لبيان قدر ما ينطوي عليه الحامد من حب الله تعالى ومدحه، فلا يلزم السبق في الخارج حتى يقال: كيف يسبق الإنسان الأنبياء ومن إليهم؟ (وَعَفْوِهِ) بأن يعفو عنا ذنوبنا بسبب حمدنا له.

طريق يوم القيامة:

(حَمْداً يُضيءُ لَنا بِهِ) أي بسبب هذا الحمد (ظُلُماتِ البَرْزَخِ) البرزخ: هو المحل الوسط بين الدنيا والآخرة، ويريد الداعي أنه بسبب حمده يتفضل سبحانه بإنارة البرزخ له، يمر الإنسان بثلاث مراحل: تبتدىء الأولى بالولادة وتنتهي بالموت، وتبتدىء الثانية بالموت، وتنتهي بالبعث، قال سبحانه: ﴿هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] وتبتدىء الثالثة بالبعث، ولاتنتهي إلى حد، قال الإمام زين العابدين عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ...﴾: هو القبر وإن لهم فيه لمعيشة ضنكاً، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار[2]. وعليه يكون المراد بظلمات البرزخ ظلمات القبر (وَيُسَهِّلُ) الله سبحانه (عَلَيْنا بِهِ) أي بسبب هذا الحمد (سَبيلَ المَبْعَثِ) أي

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠ .

(٢) ميزان الحكمة: ج١ ، ص٢٥٢ .

طريق يوم القيامة حتى لا نسلك فيه مسلك المجرمين، فمن ظلمة القبر وغربته وضيقه ووحشته إلى ما هو أشد وأعظم، إلى الوقوف بين يدى جبَّار قهّار لنقاش الحساب على ما فعلنا وتركنا وأسررنا وأعلنا.

(وَيُشرِّفُ بِهِ) أي بسبب هذا الحمد (مَنازِلَنا) في الآخرة (عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهادِ) جمع شاهد، أي يكون لنا موقفاً شريفاً حسناً حين يحضر الناس في القيامة ليشهد الشهود لهم أو عليهم، فإذا شهدوا له كان له موقف شريف، وإذا شهدوا عليه كان له موقف مخزي ومذل (يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ) إن خيراً فخير وإن شراً فشر (وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) بهضم حسناتهم أو زيادة سيئاتهم (يَوْمَ لا يُغْني مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً) المولى: الصديق والناصر، أي لا ينفع صديق لصديقه شيئاً، بأن يزيد في حسناته أو يقلل من سيئاته (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) فلا يتمكن أحد أن ينصر أحداً، بل الذي ينجي الإنسان هناك العمل الصالح والشفاعة (حَمْداً يَرْتَفِعُ) ذلك الحمد (مِنّا) أي من جهتنا (إلى أَعْلى عِلِّيِّينَ) العليُّون: كتاب يكتب فيه الأعمال الصالحة للناس، والكتابة في أعلاه دليل القبول الكامل (في كِتابٍ مَرْقُوم) قد رقم وكتب (يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ) فإن هذا كتاب بأيدي الملائكة المقربين الذين قربهم سبحانه إلى رضاه ولطفه، وهذا اقتباس

من سوره المطففين[1]. (حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنا) فإن الإنسان إذا كان فرحاً مسروراً تقف عينه عن الحركة، بخلاف الخائف الذي تضطرب عينه إلى هنا وهناك (إذا بَرِقَتِ الأَبْصارُ) برق البصر بمعنى تحير فزعاً حتى لا تطرف أو دهش فلم يبصر، فإن الإنسان إذا دهش دهشة كبيرة لم تصل الروح إلى العين لتبصر. وإذا كان أقل دهشة لم يتمالك أن يحرك طرفه، وهو اقتباس من سورة القيامه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾[2] (وَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنا) فإن الوجوه تبيض بالنور والإشراق يوم القيامة إذا كان أصحابها حسني الأفعال في الدنيا، وتسود حزناً وكآبة إذا كان أصحابها سيئي الأفعال، أيضا اقتباس من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3] (إِذَا اسْوَدَّتِ الأَبْشارُ) أبشار: جمع بشر ـ وزن سبب وأسباب ـ وبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الإنسان.

نحمده (حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ) ونفك (مِنَ أَلِيمِ نارِ اللّهِ) أي نار اللّه المؤلمة، بحيث ننتهي (إلى كَرِيمِ جِوارِ اللّهِ) جوار اللّه المحل الذي يلطف اللّه سبحانه على الإنسان في ذلك المحل، وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس، فكما أن الإنسان إذا كان في

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: ٢٠ – ٢١.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

جوار زعيم كبير يكون مشمولاً لحفظه ولطفه، كذلك من كان عند لطف اللّٰه وإحسانه، وكريم الجوار، من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الجوار صاحب الكرامة ـ مقابل الإهانة ـ ثم إن الحمد لما كان باللسان وبالقلب وبالعمل، كان سبباً للعتق من النار، والفوز بالجنة فالإمام عليه السلام يطلب منه تعالى أن يوفّقه لمثل هذا الحمد، لا مجرد حمد اللسان ـ مثلاً ـ (حَمْداً نُزاحِمُ بِهِ) أي بذلك الحمد (مَلآئِكَتَهُ المُقَرَّبِينَ) والمزاحمة كناية عن الحمد المشابه لحمد الملائكة، والأصل في المزاحمة وحدة المطلوب مع تعدد الطالب، ومن المعلوم أن الحمد ليس شيئاً محصوراً حتى تقع فيه المزاحمة بمعناها الحقيقي (وَنُضآمُّ بِهِ) أي بذلك الحمد، ونضام من الضم بمعنى الجمع، ونضام بمعنى: ننضم (أَنْبِيائَهُ المُرْسَلِينَ) حتى نجتمع معهم (في دارِ المُقامَةِ) حيث الشرف الأبدي بمرافقة الأنبياء (الَّتِي لا تَزولُ) فإن الجنة أبدية (ومَحَلِّ كرامَتِهِ) أي المحل الذي أكرمه ويكرم من كان فيه، وهو الجنة (الّتي لا تَحُولُ) أي لا تتحول، فليست مثل دار الدنيا التي تتحول من حال إلى حال.

محاسن الخلق وإجراء الارزاق:

(وَالحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي اخْتارَ لَنَا مَحاسِنَ الخَلْقِ) أي الشكل والصورة، قال سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[2] خلق سبحانه الإنسان في أحسن خلقة وأحكمها وأدقها، وفي تفسير آخر، اختار لنا الخلق الحسن (وَأجْرى عَلَيْنا طَيِّباتِ الرِّزْقِ) إجراء الرزق جعله مستمراً جارياً، كالنهر الجاري، والطيب ما يستطاب ويلائم الطبع، والمراد بالرزق أعم من المأكل والملبس وما أشبههما من حاجات الإنسان (وَجَعَلَ لَنَا الفَضِيلَةَ بِالمَلَكَةِ عَلى جَمِيعِ الخَلْقِ) أي جعل لنا نحن البشر أفضلية على جميع خلقه، بأن ملكنا ما لم يملكهم من العقل وسائر الممتلكات، فإن الإنسان ـ لطبعه ـ أفضل من جميع الموجودات (فَكُلُّ خَليقَتِهِ) أي كل خلق الله تعالى (مُنْقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهِ) والانقياد معناه الحركة لأجلنا فإن الشمس والقمر والأفلاك وغيرها تسير لمصلحة الإنسان (وَصائِرَةٌ إلى طاعَتِنا) فإن الإنسان يتصرف في الأرض وما عليها ـ كأنها مطيعة له ـ (بِعِزَّتِهِ) أي بسبب أنه سبحانه عزيز قادر على كل شيء.

---

(١) سورة التين، الآية: ٤ .

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٤ .

قضاء الحوائج:

(وَالحَمْدُ للّهِ الَّذي أغْلَقَ عَنّا بابَ الحاجَةِ إلاّ إليه) فإنه سبحانه لم يجعلنا محتاجين إلى واسطة، بل يقضي حوائجنا بنفسه، وقد كان بالإمكان، أن يكون اللّه عزَّ وجل كالملوك الذين لا يرون حوائج الناس إلا بواسطة الوزراء ومن إليهم (فَـ) بعد هذه النعم العظام (كَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ)؟ إذ الحمد إنما يكون كافياً إذا كان مكافئاً، وهيهات أن يتمكن الإنسان من الإتيان بالحمد بقدرٍ كاف: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ (أمْ مَتى) وفي أي زمان (نُؤَدِّي شُكْرَهُ)؟ وزمان عمر الإنسان أقصر من القدر اللائق من شكره سبحانه (لا، مَتى) جملة مستأنفة لجواب الاستفهام، أي لا يمكن تأدية شكره.

نعمة الجوارح:

(وَالحَمْدُ للّهِ الَّذي رَكَّبَ فِينا) أي جعل في أبداننا (آلاتِ البَسْطِ) أي أجهزة نتمكن بها من بسط بعض أعضاء الجسم، كاليد والرجل وما أشبه (وَجَعَلَ لَنا أدَواتِ القَبْضِ) أي الانقباض، فإن اليد ـ مثلاً ـ تنبسط وتنقبض، ولو لم يتمكن الإنسان من كليهما، أو من أحدهما، لتوقف كثير من أعماله وحوائجه (وَمَتَّعَنا بِأرْواحِ الحَيَاةِ) أي أعطانا للمتعة والتلذذ أرواحاً هي التي تسبب

حياة الإنسان، كالروح الباعث للشهوة أو للغضب أو للقوَّة، وما أشبه، مما يتوقف حياة الإنسان الكاملة على تلك الأرواح (وَأَثْبَتَ فينا جَوارِحَ الأَعْمالِ) جوارح: جمع جارحة وهي اليد والرجل وسائر ما يعمل بها الإنسان من أعضائه ومعنى الجرح في الأصل العمل باليد، ومنه جوارح الطير لأنها تكسب بيدها، والمعنى جعل فينا الجوارح التي بها نعمل الأشياء التي نريدها (وَغَذّانا بِطَيِّباتِ الرِّزْقِ) أي جعل غذاءنا أقساماً من الرزق الطيب، والرزق أعم من المأكل والملبس والمسكن وما أشبه، كما أن الطيب مقابل الخبيث، وهو ما لا يستقذره الطبع (وَأَغْنانا بفَضْلِه) أي جعلنا أغنياء لا نحتاج إلى غيره، وذلك الإغناء ليس استحقاقاً منا بل فضلاً وإحساناً منه (وَأَقْنانا) من القنية بمعنى المال المدخر الذي يدخره الإنسان (بِمَنِّه) أي بكرمه فإنه سبحانه ادخر لنا الكنوز والمعادن وغيرهما لمصالحنا وهذا تلميح إلى قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [1] (ثُمَّ أَمَرَنا) بأوامره (لِيَخْتَبِرَ) أي يمتحن (طاعَتَنا) هل نطيع أم لا؟ وفائدة الاختبار لنا لا له سبحانه لأنه عالم بكل شيء (وَنَهانا) عن المحرمات (لِيَبْتَلِيَ) ويمتحن (شُكْرَنا) هل نشكر بترك نواهيه أم لا؟ فإن من الشكر العملي الانتهاء عن النواهي، ومعنى هذا أن التكليف أمراً ونهياً هو

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٨.

المحك الذي يميز ويفرق بين الخبيث والطيب والعاصي والمطيع قال عزَّ شأنه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1] (فَخالَفْنا عَنْ طَريقِ أَمْرِهِ) بالذهاب إلى خلاف الطريق المؤدي إلى الأمر (وَرَكِبْنا مُتُونَ) جمع متن بمعنى الظهر (زَجْرِهِ) أي نهيه، شبه المنهي بالراحلة التي لها متن، إذا ركبها الإنسان تؤدي به إلى النار (فَلَمْ يَبْتَدِرْنا) أي لم يبادر جلَّ شأنه (بِعُقُوبَتِهِ) فلم يعاقبنا بمجرد صدور المنهيات عنا (وَلَمْ يُعاجِلْنا بِنِقْمَتِهِ) أي لم ينزل نقمته علينا عاجلاً سريعاً بمجرد ارتكابنا لنهيه (بَلْ تَأَنّانا) من التأني بمعنى الصبر والتأخير، تأنى في الأمر إذا لم يعجل (بِرَحْمَتِهِ) أي إرجاء عقوبتنا حيث رحمنا وتفضل علينا (تَكَرُّماً) وكان هذا التأني لمجرد الكرم والفضل منه (وَانْتَظَرَ مُراجَعَتَنا) أي لعلنا نرجع عن العصيان بالاستغفار والتدارك (بِرَأْفَتِهِ) أي رحمته. والرأفة أدق معنى من الرحمة. (حِلْماً) أي لسبب حلمه علينا. ولا يخفى أن الرحمة والرأفة وما أشبههما يراد بها في الله سبحانه: غاياتها، كما قيل: خذ الغايات واترك المبادئ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

فتح باب التوبة:

(وَالحَمْدُ للّهِ الَّذِي دَلَّنا) وأرشدنا (عَلَى التَّوْبَةِ) فإنه سبحانه هو الذي فتح باب التوبة للعاصي وأرشد العصاة على لسان أنبيائه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] (الَّتِي لَمْ نُفِدْها إلاّ مِنْ فَضْلِهِ) إذ فضله هو الذي سبب أن نستفيد بالتوبة ولولا فضله لكان العقاب جزاء المعصية بدون فائدة للتوبة في رفعه (فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ) من العد بمعنى الحساب أي لو لم نعدد ونذكر في التعداد (مِنْ فَضْلِهِ) سبحانه (إلاّ بِها) أي بالتوبة ـ وإنما جيء بالباء لاشتمال الاعتداد على معنى الاتكاء: أي لو كان فضله خاصاً لقبوله التوبة (لَقَدْ حَسُنَ بَلاؤُهُ عِنْدَنا) هذا جواب [لو] أي لكان بلاؤه وإحسانه عندنا شيئاً حسناً (وَجَلَّ) أي كبر (إِحْسانُهُ إِلَيْنا) هذا عطف على جواب [لو] (وَجَسُمَ) أي عظم (فَضْلُهُ عَلَيْنا) وهذا أيضاً عطف على الجواب. ثم علل عليه السلام، كون قبوله عزَّ وجل فضلاً جسيماً بقوله (فَما هكَذا كانَتْ سُنَّتُهُ) وطريقته سبحانه (فِي) قبول (التَّوْبَةِ لِمَنْ كانَ قَبْلَنا) مثلاً لم يقبل جلَّ جلاله توبة بني إسرائيل في عبادة العجل إلاّ بعد أن قتلوا كثيراً من نفوسهم، كما قال تعالى:

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠ .

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1].

(لَقَدْ وَضَعَ) وأسقط (عَنّا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ) فلم يشدد علينا كما شدد على اليهود، ويقال: لا طاقة: بمعنى الشدة، لا عدم الطاقة مطلقاً، فإنه أجل من التكليف بما لا يطاق، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[2] (وَلَمْ يُكَلِّفْنا إِلاّ وُسْعاً) أي ما فيه سعة علينا بدون كثير شدة، قال عزَّ وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[3] (وَلَمْ يُجَشِّمْنا) التجشيم: التكليف الشاق (إلاّ يُسْراً) أي بل كلفنا يسراً كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[4] (وَلَمْ يَدَعْ لأَحَدٍ مِنّا) معاشر المكلفين (حُجَّةً وَلا عُذْراً) لأنه سبحانه أبلغنا التكاليف، فإذا تركناها كان الترك بدون حجة أو عذر، بل عصياناً محضاً (فَالهالِكُ مِنّا) بذنوبه ومعاصيه (مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ) أي على أنه أتم الحجة، فالهلاك على هذا النحو لا على نحو المفاجآت، وبدون قبول التوبة (وَالسَّعيدُ مِنّا مَنْ رَغِبَ إِلَيْه) أي إلى الله تعالى، ومعنى الرغبة إليه طلب ما عنده، كالراغب في الشيء المحبوب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .

أكرم الخلق إلى الله تعالى:

(وَالحَمْدُ للّهِ بِكُلِّ ما حَمِدَهُ بِهِ) أي بمثل كل حمد حمده (أَدْنى) وأقرب وأشرف (مَلآئِكَتِه إِلَيْه) دنواً بالفضيلة والشرف (وَأَكْرَمُ خَلِيقَتِهِ) أي خلقه (عَلَيْهِ) وهم الأنبياء والأوصياء والأولياء (وَأَرْضى حامِدِيهِ لَدَيْهِ) أي الحامد الذي هو تعالى أكثر رضاء منه، بالنسبة إلى سائر الحامدين، أحمده (حَمْداً يَفْضُلُ سآئِرَ الحَمْدِ) فيكون حمدي أفضل من حمد غيري، لا في الكم والكيف، بل في الإرادة القلبية، ولا ينافي هذا الفقرة السابقة، أي بكل حمد لأن الفقرة الأولى من حيث الكم وهذا من حيث الكيف (كَفَضْلِ رَبِّنا عَلى جَمِيعِ خَلْقِهِ) أي تكون نسبة الأفضلية في البعد، كهذه النسبة (ثُمَّ) للاستئناف (لَهُ) تعالى (الحَمْدُ مَكانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنا وَعَلى جَمِيعِ عِبادِهِ) هذا من حيث إفراد الحمد حسب النعم، و(بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ) من حيث أفراد الحامدين، و(حَمْداً يَفْضُلُ) من حيث كيفية الحمد (الماضِينَ والباقِينَ) أي السابقين والحاضرين والمستقبلين إذ كل من الأخيرين داخل في الباقي (عَدَدَ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الأَشياءِ) أي أعد حمده بهذا العدد، فبكل جزئي أحاط علم اللّه سبحانه به، أحمده حمداً عدده (بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ) و(وَمَكانَ كُلِّ نِعْمَة) وكيفيته (كَفَضْلِ رَبِّنا)، بيان ما أحاط (وَمَكانَ كُلِّ واحِدةٍ مِنْها) حتى أن

الحامد حمد الله سبحانه لكل نعمة أنعم بها على سائر البشر، أي في مقابلها، وهذا غير عددها، فإن الإنسان قد يقول: أحمد الله بعدد هذه القصور، وقد يقول: أحمده لمكان هذه القصور، أي لأجل تفضله بهذه القصور على أصحابها (عَدَدُها) أي أعد عدد تلك المحامد (أَضْعافاً مُضاعَفَةً) فليس لكل عدد حمد وإنما لكل عدد أضعاف أضعافه من الحمد (أَبَداً سَرْمَداً) أي يكون الحمد باقياً (إلى يَوْمِ القِيامَةِ) فلا ينقطع الحمد مني له سبحانه (حَمْداً لا مُنْتَهى لِحَدِّهِ) من جهة الكيفية والحسن (وَلا حِسابَ لِعَدَدِهِ) من جهة الكمية (وَلا مَبْلَغَ لِغايَتِهِ) من جهة البقاء والدوام (وَلا انْقِطاعَ لأَمَدِهِ) عبارة أخرى عن الجملة السابقة، وقد تقدم أن المراد بمثل هذه المحامد إظهار ما في النفس من كثرة حب المادح له تعالى، حتى لا يتمكن إلا بالإشارة إلى تلك الكثرة ولا يتسنى له البسط لعدم القدرة، كما إذا قلت: أحبه ألف حب، تريد بذلك إظهار مقدار حبك له حتى إنّه ألف مثل حب الناس بعضهم لبعض، فتشير إلى ذلك بهذه اللفظة.

ستر الذنوب وغفرانها:

(حَمْداً يَكُوْنُ وُصْلَةً) أي موصلاً (إلى طاعَتِهِ) فإن الإنسان إذا حمده سبحانه وفقه الله تعالى لطاعته (وَعَفْوِهِ) عن سيئاته

(وَسَبَباً إِلى رِضْوانِهِ) أي رضاه تعالى من الحامد (وَذَرِيعَةً) أي وسيلة (إِلى مَغْفِرَتِهِ) أي غفرانه وستره لذنوب الحامد (وَطَرِيقاً إِلى جَنَّتِهِ) فإن هذا الحمد يكون سبباً لدخول الجنة، فكأنه طريق إليها (وَخَفِيراً) أي مجيراً (مِنْ نَقِمَتِهِ) أي عقابه (وَأَمْناً مِنْ غَضَبِهِ) فيأمن الحامد من أن يغضب عليه سبحانه (وَظَهِيراً عَلى طاعَتِهِ) أي يكون ذلك الحمد معيناً للإنسان في طاعة اللّه تعالى، إذ الحمد يوجب التوفيق (وَحَاجِزاً) أي مانعاً (عَنْ مَعْصِيَتِهِ) فيحول ذلك الحمد بين الإنسان وبين المعاصي بصرف إرادته عن الإتيان بها (وَعَوْناً عَلى تَأْدِيةِ حَقِّهِ) أي أداء حق اللّه تعالى، وحقه الإتيان بالواجبات والترك للمحرمات (وَوَظَآئِفِهِ) أي تكاليفه التي أمر الناس بها.

نيل ثواب الشهداء:

(حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ في) جملة (السُّعَداءِ مِنْ أَوْلِيآئِهِ) وأحبائه، حتى نكون بسبب ذلك الحمد في جملتهم (وَنَصِيرُ بِهِ) أي بسبب ذلك الحمد (في نَظْمِ الشُّهَداءِ) أي ننتظم ونجتمع معهم في الثواب والفضيلة (بِسُيُوفِ أَعْدائِهِ) حتى يكون لنا من الأجر مثل ما لهم (إِنَّهُ) تعالى (وَلِيٌّ) أي ناصر للإنسان ومحب له (حَمِيدٌ) أي محمود في ولايته وأعماله.

الفصل الثاني

الجانب الاجتماعي

- أولاً - تمهيد: الحياة الاجتماعية في القرآن
- ثانياً - دعاؤه عليه السلام لأبويه عليهما السلام
- ثالثاً - دعاؤه عليه السلام لِوِلْدِه عليهم السلام
- رابعاً - دعاؤه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم

الجانب الاجتماعي

تمهيد:

الحياة الاجتماعية في القرآن:

يقول تبارك وتعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

تبدأ هذه الآية ببيان مراحل الحياة البشريّة وكيفيّة ظهور الدّين لإصلاح المجتمع بواسطة الأنبياء وذلك على مراحل:

المرحلة الأُولى: مرحلة حياة الإنسان الابتدائيّة حيث لم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

يكـن الإنســان قد ألف الحيــاة الاجتماعية، ولم تبــرز في حياته التناقضــات والاختلافات، وكان يعبــد الله تعالى استجابةً لنداء الفطرة ويؤدّي لــه فرائضه البسيطة، وهــذه المرحلة يحتمل أن تكون في الفترة الفاصلة بين آدم ونوح عليهما السلام.

المرحلـة الثانيـة: وفيهـا اتّخـذت حيـاة الإنســان شـكلاً اجتماعيّــاً، ولابدّ أن يحدث ذلك لأنّه مفطور على التكامل، وهذا لا يتحقّق إلاّ في الحياة الاجتماعيّة.

المرحلـة الثالثـة: هي مرحلــة التناقضــات والاصطدامات الحتميّة بين أفراد المجتمع البشري بعد استحكام وظهور الحياة الاجتماعيّــة، وهــذه الاختلافات ســواء كانت من حيــث الإيمان والعقيــدة أم من حيث العمل وتعييــن حقوق الأفراد والجماعات، تحتّم وجود قوانين لرعاية وحل هذه الاختلافات، ومن هنا نشأت الحاجة الماسّة إلى تعاليم الأنبياء وهدايتهم.

المرحلـة الرابعـة: وتتميّز ببعث الله تعالى الأنبياء لإنقاذ الناس، حيث تقول الآية: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

فمع الالتفات إلى تبشير الأنبياء وإنذارهم يتوجّه الإنسان إلى المبدأ والمعاد ويشعر أنّ وراءه جزاءً على أعماله فيحس أنّ مصيره مرتبط مباشرةً بتعاليم الأنبياء وما ورد في الكتب السّماويّة من الأحكام والقوانين الإلهيّة لحل التناقضات

والنّزاعات المختلفة بين أفراد البشر، لذلك تقول الآية: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾.

المرحلة الخامسة: هي التمسّك بتعاليم الأنبياء وما ورد في كتبهم السماويّة لإطفاء نار الخلافات والنزاعات المتنوعة (الاختلافات الفكريّة والعقائديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة).

المرحلة السادسة: واستمر الوضع على هذا الحال حتّى نفذت فيهم الوساوس الشيطانيّة وتحرّكت في أنفسهم الأهواء النفسانيّة، فأخذت طائفة منهم بتفسير تعليمات الأنبياء والكتب السماويّة بشكل خاطىء وتطبيقها على مرادهم، وبذلك رفعوا علم الاختلاف مرّة ثانية. ولكن هذا الاختلاف يختلف عن الاختلاف السابق، لأنّ الأوّل كان ناشئاً عن الجهل وعدم الاطّلاع حيث زال وانتهى ببعث الأنبياء ونزول الكتب السماويّة، في حين أنّ منبع الاختلافات الثانية هو العناد والانحراف عن الحقّ مع سبق الإصرار والعلم، وبكلمة: (البغي)، وبهذا تقول الآية بعد ذلك: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

المرحلة السابعة: الآية الكريمة بعد ذلك تُقسّم الناس إلى قسمين: القسم الأوّل المؤمنون الّذين ينتهجون طريق الحقّ والهداية ويتغلّبون على كلّ الاختلافات بالاستنارة بالكتب

السماويّة وتعليم الأنبياء، فتقول الآية: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ في حين أنّ الفاسقين والمعاندين ماكثون في الضلالة والاختلاف.

وختام الآية تقول: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ وهذه الفقرة إشارة إلى حقيقة ارتباط مشيئة اللّه تعالى بأعمال الأفراد، فجميع الأفراد الرّاغبون في الوصول إلى الحقيقة يهديهم اللّه تعالى إلى صراط مستقيم ويزيد في وعيهم وهدايتهم وتوفيقهم في الخلاص من الاختلافات والمشاجرات الدنيويّة مع الكفّار وأهل الدنيا ويرزقهم السكينة والاطمئنان، ويبيّن لهم طريق النجاة والاستقامة.

يستفاد من الآية أعلاه ضمنياً أنّ الدين والمجتمع البشري حقيقتان لا تقبلان الانفصال، فلا يمكن لمجتمع أن يحيي حياة سليمة دون دين وإيمان باللّه وبالآخرة، وليس بمقدور القوانين الأرضيّة أن تحلَّ الاختلافات والتناقضات الاجتماعيّة لعدم ارتباطها بدائرة إيمان الفرد وافتقارها التأثير على أعماق وجود الإنسان، فلا يمكنها حل الاختلافات والتناقضات في حياه البشر بشكل كامل، وهذه الحقيقة أثبتتها بوضوح أحداث عالمنا المعاصر، فالعالم المسمّى بالمتطوّر قد ارتكب من الجرائم البشعة ما لم نرَ له نظيراً حتّى في المجتمعات المتخلّفة[1].

---

(١) ألأمثل: ج٢، ص٨٩.

ومن هنا يتّضح لنا مما نستظهره من القرآن الكريم ومنطق الإسلام في عدم فصل الدّين عن السّياسة وأنه معني بتدبير المجتمع الإسلامي وشؤون العلاقات الزوجية والعائلية والجيران وكثير من الأمور التي تتعلق بالمجتمع، والإمام السجاد عليه السلام طرح من خلال أدعيته الكثير من الأمور الاجتماعية نذكر منها:

دعاؤه عليه السلام لأبويه عليهما السلام

وكان من دعائه عليه السلام لأبويه عليهما السلام:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطّاهِرِينَ، وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكاتِكَ وَسَلامِكَ، وَاخْصُصِ اللهُمَّ والِدَيَّ بِالكَرامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلاةِ مِنْكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه: وَأَلْهِمْنِي عِلْمَ ما يَجِبُ لَهُما عَلَيَّ إِلْهاماً وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذلِكَ كُلِّهِ تَماماً، ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِما تُلْهِمُنِي مِنْهُ وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوذِ فِيما تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ حَتّى لا يَفُوتَنِي اسْتِعْمالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِيهِ، وَلا تَثْقُلَ أَرْكانِي عَنِ الحُفُوفِ فِيما أَلْهَمْتَنِيهِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه كَما شَرَّفْتَنا بِهِ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، كَما أَوْجَبْتَ لَنا الحَقَّ عَلى الخَلْقِ بِسَبَبِهِ. اللّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهابُهُما هَيْبَةَ السُّلْطانِ العَسُوفِ وَأَبَرُّهُما بِرَّ الأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طاعَتِي لِوالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِما أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ

رَقْدَةِ الوَسْنانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتّى أُوْثِرَ عَلى هَوايَ هَواهُما، وَأُقَدِّمَ عَلى رِضايَ رِضاهُما، وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُما بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِما وَإِنْ كَثُرَ. اللّهُمَّ خَفِّضْ لَهُما صَوْتِي، وَأَطِبْ لَهُما عَرِيكَتِي، وَاعْطِفْ عَلَيْهِما قَلْبِي، وَصَيِّرْنِي بِهِما رَفِيقاً، وَعَلَيْهِما شَفِيقاً، اللّهُمَّ اشْكُرْ لَهُما تَرْبِيَتِي، وَأَثِبْهُما عَلى تَكْرِمَتِي، وَاحْفَظْ لَهُما ما حَفِظاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي، اللّهُمَّ وَما مَسَّهُما مِنِّي مِنْ أَذىً، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِما عَنِّي مِنْ مَكْرُوهٍ، أَوْ ضاعَ قِبَلِي لَهُما مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِذُنُوبِهِما، وَعُلُوّاً فِي دَرَجاتِهِما، وَزِيادَةً فِي حَسَناتِهِما، يا مُبَدِّلَ السَّيِّئاتِ بِأَضْعافِها مِنَ الحَسَناتِ، اللّهُمَّ وَما تَعَدَّيا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعاهُ لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرا بِي عَنْهُ مِنْ واجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُما وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِما، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُما، فَإِنِّي لا أَتَّهِمُهُما عَلى نَفْسِي، وَلا أَسْتَبْطِئُهُما فِي بِرِّي، وَلا أَكْرَهُ ما تَوَلَّياهُ مِنْ أَمْرِي يا رَبِّ، فَهُما أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْساناً إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أُقاصَّهُما بِعَدْلٍ، أَوْ أُجازِيَهُما عَلى مِثْلٍ، أَيْنَ إِذاً يا إِلهِي طُولُ شُغْلِهِما بِتَرْبِيَتِي؟! وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِما فِي حِراسَتِي؟! وَأَيْنَ إِقْتارُهُما عَلى أَنْفُسِهِما لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ؟!، هَيْهاتَ ما يَسْتَوْفِيانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلا أُدْرِكُ ما يَجِبُ عَلَيَّ لَهُما، وَلا أَنا بِقاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي يا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِهِ،

وَوفقْني يا أهْدى مَنْ رُغبَ إليْه، وَلا تَجْعلْني في أهْل العُقُوق للآباء وَالأُمَّهات يَوْمَ تُجزى كُلُّ نَفْس بمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلمُونَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله وَذُرِّيَّته، وَاخْصُصْ أبَوَيَّ بأفْضَل مَا خَصَصْتَ به آباء عبَادكَ المُؤْمنينَ وَأُمَّهَاتهمْ، يَا أرْحَمَ الرّاحمينَ، اللّهُمَّ لا تُنْسني ذكْرَهُمَا في أدْبَار صَلَواتي، وَفي آناً منْ آناء لَيْلي، وَفي كُلِّ ساعَة منْ سَاعَات نَهَاري، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاغْفرْ لي بدُعَائي لَهُما، وَاغْفرْ لَهُما ببرِّهما بي مَغْفرَةً حَتْماً، وَارْضَ عَنْهما بشَفاعَتي لَهُما رضىً عَزْماً وَبَلِّغْهُما بالكَرامَة مَواطنَ السَّلامَة، اللّهُمَّ وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفرَتُكَ لَهُما فَشَفِّعْهُما فيَّ وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفرَتُكَ لي فَشَفِّعْني فيهما حَتّى نَجْتَمعَ، برَأفَتكَ في دار كَرامَتكَ وَمَحَلِّ مَغْفرَتكَ وَرَحْمَتكَ إنَّكَ ذُو الفَضْل العَظيم، وَالمَنِّ القَديم، وَأنْتَ أرْحَمُ الرّاحمينَ(١).

اللغة:

(وَألْهمْني): الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً. (للنُّفُوذ): العمل النافذ الموصل إلى القصد. (لا يَفُوتَني): لا يذهب عني. (الحُفُوف): الإحاطة والاعتناء. (العَسُوف): الظالم الجبار. (أقَرَّ): يقال: قرَّت عينه، إذا فرح. (الوَسْنان): الشديد النعاس.

---

(١) الدعاء الرابع والعشرون من الصحيفة السجاديَّة .

(عَرِيكَتي): العريكة؛ الطبع، أو الخُلق.(حِطَّةً): سبباً لمحو. (تَبِعَتِه): العقاب التابع لذلك الإثم.(أُقاصَّهُما): أي أطلب لهما القصاص.(إقْتارُهُما): من الإقتار: التضيق في النفقة. (وَلا أنَا بِقَاضٍ): لا استطيع القضاء.(العُقُوقِ): يقال ولد عاق: أي عاص لوالديه تارك الشفقة عليهم والإحسان إليهم.(فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي): في أواخر صلواتي.(آناً مِنْ آناءِ لَيْلي): وقت من أوقات ليلي.(عَزْماً): بكل قوّة وعزيمة.

الشرح:

طلب التلطف بالوالدين:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ) تقديم العبد لعله لمقابلة قول اليهود والنصارى في أنبيائهم أنهم أولاد الله وشركائه (وَأَهْلِ بَيْتِه الطّاهِرينَ) من الآثام والأخطاء (وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلامِكَ) الصلوات: العطف، والرحمة: إنزال الخير، والبركة: الاستمرار والدوام في الخير، والسلام: السلامة من البلايا والآفات (وَاخْصُصِ اللهُمَّ والِدَيَّ) الإمام الحسين عليه السلام والسيدة العظيمة شاه زنان بنت يزدجرد الملك، أم الإمام عليه السلام (بِالكَرامَةِ لَدَيْكَ) بأن تكرمهما (وَالصَّلاةِ مِنْكَ) بأن تلطف عليهما (يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ).

معرفة تكليفي بالنسبة إلى أبويَّ:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه: وَأَلْهِمْنِي) الإلهام الإلقاء في القلب (عِلْمَ ما يَجِبُ لَهُما عَلَيَّ إلْهاماً) حتى أعرف تكليفي بالنسبة إلى أبويَّ من الاحترام والإكرام وما أشبه. ملاحظة: «**العلم بالحلال والحرام لا ينبع من داخل الإنسان وأوهامه، وإنما يوخذ من الوحي أو ما يمضيه الوحي ويقرّه، ولذا طلب الإمام عليه السلام من الله سبحانه أن يرشده ويهديه إلى ما يجب عليه لوالديه، ويتلخص هذا الواجب بطاعتهما في كل شيء إلا في معصية الله حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وبهذا نجد تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1] (وَاجْمَعْ لي عِلْمَ ذلِكَ) الواجب (كُلِّه تَماماً) حتى أعرف كل جزئي من الأمور الواجبة علي بالنسبة إليهما (ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي) أي: وفقني للعمل (بِما تُلْهِمُنِي مِنْهُ) أي: من ذلك الشيء الواجب علي، فالإمام عليه السلام بعد أن طلب من الله تعالى الهداية إلى العلم بالواجبات سأله التوفيق إلى العمل بموجب العلم، لأن الهدف الأساس من كل علم هو التنفيذ والتطبيق، سئل الإمام جعفر بن محمد (الصادق عليهما السلام) عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

﴿ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾. فقال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلا قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه وذلك الحجة البالغة»[1]. (وَوَفِّقْني لِلنُّفُوذِ) أي: العمل النافذ الواصل إلى المقصود (فِيما تُبَصِّرُني) وتريني (مِنْ عِلْمِه) أي: علم الشيء الذي يجب علي (حَتّى لا يَفُوتَني اسْتِعْمالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنيهِ) بل أتعلم الكل وأعمل بالكل (وَلا تَثْقُلَ أَرْكاني) المراد بالثقل هنا الكسل والفتور وبالاركان أعضائي وجوارحي (عَنِ الحُفُوفِ) أي: الإحاطة والاعتناء والخدمة (فِيما أَلْهَمْتَنيهِ) بأن لا يثقل الاعتناء والعمل علي أعضائي، والمعنى: هب لي من لدنك قوة ونشاطاً في طاعة والدي ومرضاتهما.

التشريف بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَما شَرَّفْتَنا بِهِ) أي: افعل التشريف بالرسول كما فعلت التشريف بنا بسببه صلى الله عليه وآله وسلم أي: بميراثنا لعلمه، وعملنا بسنته، وسيّرنا على طريقته، لا بمجرد الانتساب إليه، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ

---

(١) بحار الأنوار: ج١، ص١٦٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

﴿عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1]. وسئل الرسول الأعظم ﷺ عن أحب الناس إلى الله؟ فقال: «أنفعهم للناس». (وَصَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَما أَوْجَبْتَ لَنَا الحَقَّ عَلى الخَلْقِ بِسَبَبِهِ) فإن الله أوجب حق آل الرسول على الخلق، وذلك بسبب انتسابهم إلى الرسول ﷺ يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[2] وما وجبت هذه المودة إلا لأن أهل البيت عليهم السلام امتداد لجدهم الرسول ﷺ علماً وعملاً وسيرة وسريرة.

هيبة الأبوة:

(اللّهُمَّ اجْعَلْني أهابُهُما هَيْبَةَ السُّلْطانِ العَسُوفِ) أي: أهاب والدي مثل هيبتي من السلطان الظلوم الجبار، فالإمام عليه السلام يهاب والديه على دنوه منهما وعلمه بأنهما أرأف به من نفسه. ولا غرابة، أنها هيبة التعظيم والتقدير، لا هيبة الخوف من العقاب العسير، هيبة الأبوة التى لايشعر بها إلا العارفون، وهذا لا ينافي كونهما توفيا، لأنَّ البر والعقوق يشملان ما بعد الموت أيضاً كما ورد في الأحاديث. كانت فاطمة عليها السلام بضعة من النبي ﷺ، وأحب الخلق إلى قلبه ﷺ، ومع هذا كانت تقول: ما استطعت أن أكلم أبي من هيبته (وَأبَرُّهُما بِرَّ الأمِ الرَّؤُوفِ) بولدها (وَاجْعَلْ

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

طاعَتِي لِوالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِما أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الوَسْنانِ) البر: الإحسان، يقال: قرّ عينه إذا فرح وذلك لأَنَّ الفرحة تقر عينه ولا تتحرك هنا وهناك لتجد الملجأ كما في الإنسان الخائف، ولا شيء عند الأبوين أغلى وأثمن من بر الابن بهما، علما بأنه وفاء لدين سابق... ومع هذا يسعدان به سعادة الغارس بثمرات غرسه، وبهذه السعادة نفسها يشعر الابن البار إذا تأكد من سعادة أبويه به، ورضاهما عنه، والرقدة النوم، والوسنان الشديد النعاس الذي تهفو نفسه إلى النوم (وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي) أي: أكثر إبراداً (مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ) فإن الظامئ الشديد العطش إذا شرب الماء البارد ارتاح وثلج صدره (حَتّى أُوْثِرَ) وأُقدم (عَلى هَوايَ هَواهُما) أي: ميلهما (وَأُقَدِّمَ عَلى رِضايَ رِضاهُما) فأترك ما أحب لأجل الإتيان بما يحبان (وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُما بي وَإِنْ قَلَّ) أي: اجعله كثيراً في نظري وإن كان في الواقع قليلاً (وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِما) أي: اجعله في نظري قليلاً (وَإِنْ كَثُرَ) في الواقع، وذلك حتى استكثر من البرِّ بهما، «**وليس هذا تواضعا، بل إيماناً وعظمة نفس، وشعوراً حياً بمسؤولية التكليف، وهو أمره تعالى:** ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[1] **وكل شيء قليل في جنب الله والشكر له لمن قرن شكره بشكره. وهكذا العظيم يستصغر الحسنة**

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

منه وإن كبرت، ويستكبر السيئة وإن صغرت على العكس تماماً من الحقير، وفي الحديث الشريف: «المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فاطاره»[1].

غض الصوت أمام الوالدين:

(اللّهُمَّ خَفِّضْ لَهُما صَوْتِي) حتى لا أتكلم معهما برفعة الصوت فإنه خلاف الأدب، وبتعبير آخر: غض الصوت وخفضه من الآداب الشرعيه والعرفية، بخاصة عند مخاطبة الكبار وأهل المكانة، قال سبحانه: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2] (وَأطِبْ لَهُما كَلامي) حتى لا أتكلم معهما بكلام خشن، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3] فالكلمة الطيبة بوجه عام كالشجرة الطيبة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[4] (وألِنْ لَهُما عَرِيكَتي) أي: طبعي حتى أكون ليناً لطيفاً معهما لافَظّاً غليظاً (وَاعْطِفْ عَلَيْهِما قَلْبي) حتى تكون عاطفتي إليهما وميلي فيهما (وَصَيِّرْني بِهِما رَفِيقاً) ذا رفق ومداراة (وَعَلَيْهِما شَفِيقاً)

---

(١) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤ – ٢٥.

أخاف من وصول الأذى والمكروه إليهما، والمعنى في كل الجمل التوفيق لأن أفعل بهما تلك الأمور.

الجزاء بالإحسان للوالدين:

(اللّهُمَّ اشْكُرْ لَهُما تَرْبِيَتِي) بأن تتفضل بإعطائهما العوض في مقابل تربيتهما إياي، وكما جاء في الدعاء: اَللّهُمَّ اغْفِرْ لي وَلِوالِدَيَّ وَارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغيراً، اِجْزِهما بِالإحسانِ إِحْساناً وَبِالسَّيِّئاتِ غُفْراناً (وَأَثِبْهُما) أي: أعطهما واجزل لهما الأجر والثواب (عَلى تَكْرِمَتِي) أي: في مقابل إكرامهما لي وعلى ما لقيا من التعب والعناء في سبيلي رضيعاً وصبيا (وَاحْفَظْ لَهُما ما حَفِظاهُ مِنِّي في صِغَرِي) فإنهما حفظاني في صغري، قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أبوي بلغا من الكبر عتيا، وأنا أولى منهما- اباشر- ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعله، وتريد موتهما.

طلب العفو:

(اللّهُمَّ وَما مَسَّهُما مِنّي) أي: كل ما أصابهما بسببي ومن جهتي (مِنْ أذىً) بيان [ما] (أَوْ خَلَصَ) أي: وصل (إِلَيْهِما عَنِّي مِنْ مَكْرُوهٍ) وتعب (أَوْ ضاعَ قِبَلِي) أي: من جهتي وعندي

(لَهُما مِنْ حَقٍّ) فلم أؤد الحق المفروض عليّ لهما (فَاجْعَلْهُ حِطَّةً) أي: سبباً لوضع ومحو (لِذُنُوبِهِما) التي أذنباها (وَعُلُوّاً في دَرَجاتِهِما) لمقامهما عندك، بحيث يكون شقاؤهما بي في الدنيا سبباً لسعادتهما في الآخرة (وَزِيادَةً في حَسَناتِهِما) أي: أعمالهما الصالحة (يا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعافِها مِنَ الحَسَناتِ) لمحو السيئات العديد من الطرق، منها التوبة، ومنها إصلاح ذات البين وكل عمل نافع مفيد للفرد والجماعة، ومنها المرض فإنه يحط السيئات، ويحتها حت الأوراق، على حد تعبير نهج البلاغة، ومنها العدوان حيث يتحمل المعتدي سيئات المعتدى عليه، وأيضا يأخذ هذا حسنات ذاك.

طلب التسامح والتجاوز عن التقصير:

(اللّهُمَّ وَما تَعَدَّيا) أي: الأبوان (عَلَيَّ فيهِ) الضمير عائد إلى [ما] (مِنْ قَوْلٍ) بيان [ما] أي: القول الذي تعديا في ذلك القول علي (أَوْ أَسْرَفا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ) بأن فعلا بالنسبة إليّ فعلاً غير جائز، كما لو ضرباني فوق حقي (أَوْ ضَيَّعاهُ لي مِنْ حَقٍّ) بأن كان حقي فلم يوصلاه إليّ إضاعة منهما له (أَوْ قَصَّرا بِي عَنْهُ) الضمير عائد إلي [ما] المفهوم من العطف (مِنْ واجِبٍ) بأن وجب عليهما شيء تجاهي فقصّرا ولم يسوياه وخلاصة ذلك: فكما أوجب سبحانه حقوقاً للوالدين على الولد، أوجب

أيضا حقوقاً له عليهما، ومن أهمل وقصر استحق اللوم والعقاب والداً كان أو ولداً، والإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يتجاوز ويتنازل عمّا افترضه الله تعالى له على أبويه، وحملهما من حقه أياً كان نوعه ويكون، وعبّر عن هذا التسامح والتجاوز بقوله: (فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُما وَجُدْتُ بِهِ) من الجود (عَلَيْهِما) حتى لا يكونا من جهتي مسؤولين (وَرَغِبْتُ إليك) أي: طلبت منك (في وَضْعِ تَبِعَتِهِ) أي: العقاب التابع لذلك الإثم (عَنْهُما) أسألك اللَّهُمّ أن لا تؤاخذ أَبَوَيَّ على أي شيء يتصل بي من قريب أو بعيد (فَإِنِّي لا أَتَّهِمُهُما عَلى نَفْسِي) بأنهما ضيّعا حقي وإنما قلت ما قلت من [وما تعديا] إلخ، على سبيل الفرض (وَلا أَسْتَبْطِئُهُما في بِرِّي) أي: لا أقول أنهما أبطآ في الإحسان إليّ، فهما عندي وفي عقيدتي من الناصحين المخلصين لا توانٍ منهما في حقي ولا تقصير (وَلا أَكْرَهُ ما تَوَلَّياهُ مِنْ أَمْرِي) أي: ما عملاه معي وفي شؤوني، ومهما أتى من المحبوب محبوب، والعكس بالعكس (يا رَبِّ؛ فَهُما أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ) من أن أقول فيهما شيئاً من الاتهام بالاستبطاء وما أشبه، لي حق ولهما حق، ولكن حقهما أقدم وأعظم (وَأَقْدَمُ إِحْساناً إِلَيَّ) من كل محسن، بعد الله سبحانه (وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أُقاصَّهُما بِعَدْلٍ) بأن أطلب من الحاكم العادل أن يأخذ منهما حقي قصاصاً، فإنه لا مقاصة عادلة إلا مع المساواة، و لا

مكان لها بين المنعم والمنعم عليه. ومن هنا يقتل الولد بوالده، ولايقتل الوالد بالولد (أَوْ أُجازِيَهُما عَلى مِثْلٍ) ما فعلا بي (أَيْنَ إذاً) أي: إذا أردت مقاصتهما ومجازاتهما (يا إلهي طُولُ شُغْلِهِما بِتَرْبِيَتي)؟ وهل لي أن أُجازيهما بمثل هذه التربية الطويلة (وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِما في حَراسَتِي) وحفظي (وَأَيْنَ إقْتارُهُما على أَنْفُسِهِما لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ) في المأكل والمشرب وما أشبه، لقد تحملا الضيق والشدة لأعيش في سعة، والتعب والعناء لأكون في راحة، والذل والهوان من أجل سعادتي (هَيْهاتَ) بفتح التاء وكسرها وضمها: اسم فعل بمعنى بعُدَ، أن أتمكن من مقابلتهما بمثل حقهما (ما يَسْتَوفِيانِ مِنِّي حَقَّهُمَا) إذ حقهما أكبر من أن يمكن أن أُجازيهما بالمثل (وَلا أُدْرِكُ ما يَجِبُ عَلَيَّ لَهُما) من الحق (وَلا أَنا بِقَاضٍ) أي: بقادر على قضاء (وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا) أي: ما يجب عليَّ في مقابل خدمتهما، فأنا أُقر وأعترف بالعجز عن القيام بحقهما مهما اجتهدت وبالغت، لأنه جسيم وعظيم.

وبعد، فمن أراد أن يستدرك ما فرط من حقّ أبويه بعد موتهما، فليستغفر الله تعالى لهما، ويقض دينهما، إن كان عليهما شيء منه لله سبحانه أو للناس وإلا تصدّق عنهما بما يستطيع. وجاء في الحديث: من الأبرار يوم القيامه رجل بر والديه بعد موتهما. (فَصَلِّ عَلى مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَأعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِهِ)

في قضاء حقهما (وَوفِّقْني يا أَهْدى مَنْ رُغِبَ إلَيْه) أي: يا من هو أكثر قدرة على الهداية ممن يرغبون الناس في هدايتهم، وفقني واهدني لكيفية القيام بحقهما، نلاحظ أنَّ كل أدعية أهل البيت عليهم السلام ومناجاتهم، تهدف إلى طلب الهداية والعون والتوفيق للعلم بالحق والخير والعمل بموجبه، لانَّ التوفيق هو الأصل والمنطلق لكل نفع وصلاح دنيا وآخرة (وَلا تَجْعَلْنِي) يا رب (في أهْل العُقُوقِ لِلآباءِ وَالأُمَّهَاتِ) بأن أكون في صفّ مَن عقه أبوه أو أمّه، حيث لم يؤدّ حقهما فعقاه وبعداه عن قربهما غضباً عليه، ولا أدري كيف يعق الولد والديه، وهو على علم اليقين أنهما أرحم به من نفسه، وأنهما يضحيان بالنفس والنفيس من أجله، ولايجزي الإحسان بالإساءة إلا من فيه طبع الحية والعقرب.

(يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) الظرف متعلق بـ[لا تجعل] والمراد بذلك اليوم القيامة (وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) لا يظلمهم الله سبحانه في جزائهم بأن يزيد في عقاب المسيء أو ينقص من ثواب المحسن.

تفضل عليهما بأحسن رحمة وأفضل ثواب:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَذُرِّيَّتِه) قيل: الذرية أخص من الآل، لأن الآل لكل ذي رحم، والذرية للنسل فقط. ولكن المراد هنا العكس، لأن القصد من كلمه الآل في الصلاة عليه وعليهم،

المعصومون عليهم السلام بالخصوص، أما الصلاة على الذرية فتعم كل مؤمن صالح من نسل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فهي شاملة للآل ولغيرهم (وَاخْصُصْ أبَوَيَّ بِأفْضَلِ مَا خَصَصْتَ بِهِ آباءِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ) ما تخص به المقربين لديك من المغفرة والفضل والرحمة (وَأُمَّهَاتِهِمْ، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) تفضل عليهما بأحسن رحمة وأفضل ثواب.

(اللّهُمَّ لا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أدْبَارِ صَلَوَاتِي) بأن أدعو لهما في دبر كل صلاة بالخير والرحمة والغفران (وَفي آناً مِنْ آناءِ لَيْلي) أي: وقتاً من أوقاته (وَفي كُلِّ ساعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي) الساعة جزء من اليوم، لا الساعة المصطلحة.

الدعاء للأبوين:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لي) بسبب (دُعَائي لَهُما) فإن الإنسان إذا دعا لأبويه كان مطيعاً لله الذي أمر ببرهما، فيكون ذلك سبباً لغفران ذنوب الابن (وَاغْفِرْ لَهُما) بسبب (بِرِّهِما بِي مَغْفِرَةً) فإن الأبوين إذا برّا الأولاد كان ذلك سبباً لمغفرتهما لأن الله سبحانه أمر ببرهما له فيكونان مطيعين لله تعالى، اجعل ثوابي عندك على البر بهما، وثوابهما على البر بي- مغفرتك ورحمتك لي ولهما (حَتْماً) أي: قطعية، غفراناً محتوماً (وَارْضَ عَنْهُما بِشَفاعَتِي لَهُما رِضىً عَزْماً) أي: تقصد يا رب

ذلك الرضا بكل قوة وعزيمة (وَبَلِّغْهُما بِالكَرامَةِ) أي: بسبب إكرامك لهما (مَواطِنَ السَّلامَةِ) من الآخرة، التي يسلم الإنسان فيها من العقاب والنكال وتكرم وتفضل عليهما بالجنة.

الشفاعة المتبادلة ورجاء الاجتماع في الجنَّة:

(اللّهُمَّ وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُما) بأن غفرت لهما (فَشَفِّعْهُما فِيَّ) أي: اجعلهما شفيعين لي لأن الإنسان الذي لا ذنب له يتمكن من شفاعة المذنب (وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لي) بأن غفرت لي قبلهما (فَشَفِّعْني فِيهِما) بأن تقبل شفاعتي لهما وتتجاوز عن سيئاتهما، بتعبير آخر، إن تك منزلتهما لديك أعلى وأرفع من مكانتي فارحمني بشفاعتهما، وإن تك منزلتي أعلى فارحمهما بشفاعتي (حَتّى نَجْتَمِعَ) جميعاً الولد والوالدان في جنانك، ونسعد برضوانك. (بِرَأفَتِكَ) ولطفك (في دارِ كَرامَتِكَ) الجنة (وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ إنَّكَ) يا رب (ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) ومن له فضل عظيم يتمكن من الجمع بين الآباء والأولاد وشفاعة بعضهم لبعض (وَالمَنِّ القَدِيمِ) فمن قديم الدهر تمن علينا باللطف (وَأنْتَ أرْحَمُ الرّاحِمِينَ) إذ كل راحم دونك بالرحمة.

وخلاصة ما تقدّم أنَّ للوالدين حقوقاً تمتاز عن كثير من الحقوق حتى عن حق المؤمن على المؤمن ولو كان الأبوان مشركين كما في نص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ

عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[1].

دعاؤه عليه السلام لولده عليهم السلام

وكان من دعائه عليه السلام لولده عليهم السلام :

اللّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدي، وَبِإِصْلاحِهِمْ لي وَبِإِمْتاعي بِهِمْ، إلهي امْدُدْ لي في أَعْمارِهِمْ، وَزِدْ في آجالِهِمْ وَرَبِّ لي صَغيرَهُمْ وَقَوِّ لي ضَعيفَهُمْ وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ وَأَخْلاقَهُمْ، وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ وَفي جَوارِحِهِمْ وَفي كُلِّ ما عُنيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَدْرِرْ لي وَعَلى يَدي أَرْزاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً أَتْقياءَ بُصَراءَ سامِعينَ مُطيعينَ لَكَ، وَلأَوْليائِكَ مُحِبّينَ مُناصِحينَ، وَلِجَميعِ أَعْدائِكَ مُعانِدينَ وَمُبْغِضينَ، آمينَ. اللّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَري، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْري، وَاكْفِني بِهِمْ في غَيْبَتي، وَأَعِنّي بِهِمْ عَلى حاجَتي وَاجْعَلْهُمْ لي مُحِبّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبينَ مُقْبِلينَ مُسْتَقيمينَ لي، مُطيعينَ غَيْرَ عاصينَ وَلا عاقّينَ وَلا مُخالِفينَ وَلا خاطِئينَ، وَأَعِنّي عَلى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْديبِهِمْ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذلِكَ خَيْراً لي وَاجْعَلْهُمْ لي عَوْناً عَلى ما سَأَلْتُكَ وَأَعِذْني وَذُرِّيَّتي مِنَ

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

الشَّيْطانِ الرَّجيم، فَإنَّكَ خَلَقْتَنا وَأمَرْتَنا وَنَهَيْتَنا، وَرَغَّبْتَنا في ثَوابِ ما أمَرْتَنا، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكيدُنا سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلى ما لَمْ تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ، أسْكَنْتَهُ صُدُورَنا وَأجْرَيْتَهُ مَجارِيَ دِمائِنا، لا يَغْفُلُ إنْ غَفَلْنا، وَلا يَنْسى إنْ نَسينا، يُؤْمِنُنا عِقابَكَ، وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ، إنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها وَإنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ، وَيَنْصِبُ لَنا بِالشُّبُهاتِ إنْ وَعَدَنا كَذَبَنا، وَإنْ مَنّانا أخْلَفَنا، وَإلاّ تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا، وَإلا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِلَّنا، اللّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلْطانِكَ حَتّى تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثْرَةِ الدُّعاءِ لَكَ فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ في المَعْصُومينَ بِكَ، اللّهُمَّ أعْطِني كُلَّ سُؤْلي، وَاقْضِ لي حَوائِجي، وَلا تَمْنَعْنِي الإجابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَها لي، وَلا تَحْجُبْ دُعائي عَنْكَ وَقَدْ أمَرْتَني بِهِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ ما يُصْلِحُني في دُنْيايَ وَاخِرَتي ما ذَكَرْتُ مِنْهُ وَما نَسيتُ، أوْ أظْهَرْتُ أوْ أخْفَيْتُ أوْ أعْلَنْتُ أوْ أسْرَرْتُ، وَاجْعَلْني في جَميعِ ذلِكَ مِنَ المُصْلِحينَ بِسُؤالي إيّاكَ، المُنْجِحينَ بِالطَّلَبِ إلَيْكَ غَيْرِ المَمْنُوعينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، المُعَوَّدينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، وَالرّاغِبينَ فِي التِّجارَةِ عَلَيْكَ المُجارينَ بِعِزِّكَ، المُوسَعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ، الواسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ المُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَالمُجارينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالمُعافَيْنَ مِنَ البَلاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالمُغْنَيْنَ مِنَ الفَقْرِ بِغِناكَ،

وَالمَعْصُومينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالخَطأ بِتَقْواكَ والمُوَفَّقينَ لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوابِ بِطاعَتِكَ، وَالمُحالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السّاكِنينَ فِي جِوارِكَ، اللهُمَّ اعْطِنا جَميعَ ذلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأعِذْنا مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ، وَاعْطِ جَميعَ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ مِثْلَ الَّذي سَألْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوُلْدي في عاجِلِ الدُّنْيا وَاجِلِ الاخِرَةِ، إنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَاتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً، وَفي الاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النّارِ[1].

اللغة:

(وَمُنَّ عَلَيَّ): أنعم علي. (وَبِإمْتاعِي بِهِمْ): منفعتي بهم واستمتع بالشيء: انتفع به. (امْدُدْ لي في أعْمارِهِمْ): مدَّ اللّه في عمره: أمهل له وطول له. (آجالِهِمْ): جمع أجل وهو مدّة العمر.

(عُنِيتُ بِهِ): اهتممت به. (وَأدْرِرْ لِي): أكثر وزد ووسع، والرزق الدار الذي يتجدد شيئاً فشيئاً من در اللبن إذا زاد وكثر. (أبْراراً): البر: خلاف الفاجر وهو كثير الخير. (بُصَراءَ): بصير به: عليم. (مُطيعينَ): مذعنين منقادين. (اشْدُدْ): من الشد وهو التقوية. (عَضُدي): العضد ما بين المرفق إلى الكتف. (أوَدي): اعوجاجي. (مَحْضَرِي): المحضر: مكان الحضور.

---

(١) الدعاء الخامس والعشرون من الصحيفة السجادية.

(ذِكْرِي): الذكر: الصيت والذكر الجميل. (وَأَعِنِّي): أعانه: ساعده. (حَدِبِينَ): متعطفين.

(عاقِّينَ): من العقوق وهو الإساءة أو عدم الإحسان. (وَأعِذْني): أجرني بحفظك. (الرَّجِيم): المطرود. (يكيدُنا): من الكيد. (بِفاحِشَةٍ): الفاحشة: الذنب الكبير، الزنا. (شَجَّعَنا): جرأنا وأقدمنا عليه. (ثَبَّطَنا): عن الأمر أقعدنا ومنعنا عنه. (وَيَنْصِبُ لَنا): نصب لنا: أشار علينا بأمر لا بد من فعله. (مَنّانا): من التمني وهو طلب أمر لا يحصل. (تَقِنا): من وقاه بمعنى حفظه. (خَبالَهُ): الخبال: الفساد والهلاك. (يَسْتَزِلَّنا): من الزلة وهو الخطأ. (سُؤْلِي): مطلوبي.

(وَاقْضِ لِي حَوائِجِي): قضى حاجته: أنجزها. (الإجابَةَ): أجاب الله دعاءه: قبله واستجابه.

(ضَمِنْتَها لِي): كفلتها لي. (تَحْجُبْ): حجبته: منعته. (وَامْنُنْ عَلَيَّ): تفضل علي. (المعُوَّدِينَ): عوَّدته: صبَّرته له عادة. (المُجارِينَ): المحفوظين. (المُعَزِّينَ): المكرمين. (وَالمُعافَيْنَ): من العافيه وهي السلامة من الآفات. (البَلاءِ): الامتحان والاختبار. (وَالمُغْنَيْنَ): من الغنى. (وَالزَّلَلِ): السقوط، والانحراف عن الحق. (وَالرُّشدِ): الهدى. (وَالمُحالِ): المحول باسم مفعول من حال بمعنى حجز. (السَّعِيرِ): جهنم أو لهبها.

الشرح:

الوالد يتمنى طول الحياة لولده:

(اللّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقاءِ وُلْدِي) في الحياة، فالوالد يتمنى طول الحياة لولده، لأنه امتداد لوجوده وذكره وأجله وعمره (وَبِإِصْلاحِهِمْ لي) حتى يكونوا صلحاء، أي: اجعلهم من أهل الإيمان والصلاح كي يطيعوك شاكرين، ويسمعوا مني غير عاصين (وَبِإِمْتاعِي بِهِمْ) بأن أتمتع وأتلذذ بوجودهم (إلهي امْدُدْ لي في أَعْمارِهِمْ) حتى تطول أعمارهم (وَزِدْ في آجالِهِمْ) المراد بالأجل: مدة بقاء الشخص، لا آخر زمان بقائه لكي أتقوى بهم في شيخوختي، ويخدموني في ضعفي وعلتي (وَرَبِّ لي صَغِيرَهُمْ) أي: مدني بالعون من فضلك على تربيتهم تربية صالحة نافعة، حتى يكبر.

طلب القوّة والصحة والتقوى والرزق للأولاد:

(وَقَوِّ لي ضَعِيفَهُمْ) حتى يقوى (وَأَصِحَّ لي أَبْدانَهُمْ) كي لا يمرضون (وَأَدْيانَهُمْ) كي لا ينحرفون (وَأَخْلاقَهُمْ) حتى لا يحوموا حول الرذيلة (وَعافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ) حتى تطهر أنفسهم من أدران الرذيلة (وَفي جَوارِحِهِمْ) وأعضائهم حتى لا تصاب بمرض أو عاهة (وَفي كُلِّ ما عُنِيتُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ) أي: أسالك

يا إلهي أن يكون أولادي بالكامل أصحاء أقوياء وأبرارا أتقياء... وليس معنى هذا أن يهمل الوالد شأن أولاده بالمرة، ويترك تدبيرهم لله تعالى وهو واقف ينظر ويتفرج، بل معناه أن يأخذ للأمر أهبته من أجلهم ويكافح بلا كلل وملل، في سبيلهم متوكلاً على اللّه مستعيناً به في التوفيق وبلوغ الغاية، واللّه سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا، كيف وقد أمر بالجهاد والنضال وقال فيما قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾(١) وندد بمن يعيش كلاً على سواه في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾(٢).

وما من شك أنَّ من ترك الكدح والعمل مع طاقته وقدرته بزعم الاتكال على اللّه- فقد تمرد على أمره تعالى، ووضع رأيه فوق مشيئة الخالق وإرادته من حيث يريد أو لايريد، وتواتر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**اعقلها وتوكل**» وقال حكيم قديم: أنَّ اللّه سبحانه أمرنا بالتوكل عليه في العمل لا في البطالة والكسل. وبكلام آخر أن التربية من صنع الإنسان، ولها أسس وقوانين تماماً كالصناعة والزراعة وغيرهما، والإمام عليه السلام في دعائه

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٦.

هذا يسأل اللّه سبحانه أن يمهّد له السبيل إلى التنفيذ والقيام بما فرضه عليه من تربية الأولاد والعناية بهم والكدح من أجلهم (وَأَدْرِرْ) من الدر: بمعنى الاستمرار في نزول المطر أو اللبن أو ما أشبه (لِي) أي: لأجلي (وَعَلى يَدِي أَرْزاقَهُمْ) أي: بواسطتي حتى يكثر رزقهم أي؛ ما داموا صغاراً وأطفالاً حتى إذا بلغوا أشدهم سعوا في الأرض وأكلوا من كد اليمين. وفيه إيماء إلى أنه ينبغي للإنسان أن يحتاط ويحترز من أن يترك أيتاماً بلا مال ولا راع وكفيل، وفي الحديث: «**إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[1] وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]. واجهل خلق اللّه باللّه ودينه وسنته وشريعته، من ترك العلاج للشفاء، والسعي للرزق زاعماً- بلسان حاله وأفعاله- أنه قد أخذ من اللّه عهدا أن يعطيه ما يحتاج بمجرد نية التوكل دون أن يسرح ويتزحزح! إن اللّه سبحانه هو الذي يشفي المريض، ما في ذلك ريب، ولكن بالعلاج، ويطعم الجائع ولكن بالسعي تماماً كما يخلق الشجرة من النواة والليل والنهار من دوران الأرض... وهكذا كل ما في السموات والأرض من أسباب ومسببات، ترد إلى السبب الأول الذي خلق فسوى والذي قدَّر فهدى.

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٤ / ٩٥، ب٩ من كتاب الوصايا، ح٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً) جمع بر: وهو العامل بالصالحات (أَتْقِياء) التقي: هو الذي يتجنب المعاصي (بُصَراءَ) يبصرون طريق الحق (سامِعِينَ) لأقوالك (مُطِيعِينَ لَكَ) أوامرك يا رب (وَلأَوْليائِكَ) الذين أمرت بإطاعتهم (مُحِبِّينَ) لك، ولأوليائك، ولي (مُناصِحِينَ) أي: ينصحون الناس ويرشدونهم (وَلِجَمِيعِ أَعْدائِكَ مُعانِدِينَ) يقابلونهم بالعناد والإصرار في صدهم (وَمُبْغِضِينَ) البغض بمعنى العداء (امِينَ) أي: اللهم استجب ما دعوتك وما تقدم.

طلب إلهام المحبة والعون للأهل:

(اللّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي) كناية عن تقويته بهم (وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدي) الأود: الاعوجاج أي: ما اعوج من أموري (وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي) حتى أعد وأهلي كثير (وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي) أي: مجلسي (وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي) فإن الأولاد يحيون ذكر الآباء (وَاكْفِنِي بِهِمْ في غَيْبَتي) حتى أن يقوموا بمهمّاتي (وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلى حاجَتِي) فيعينوني في حوائجي بأن توفقهم لذلك (وَاجْعَلْهُمْ لي مُحِبِّينَ) يحبوني لا مثل بعض الأولاد الذين يكرهون آبائهم (وَعَلَيَّ حَدِبِينَ) أي: يعطفون عليّ يقال محتدب عليه إذا تعطف (مُقْبِلِينَ) نحوي (مُسْتَقِيمِينَ لِي) بأن يكونوا في أمورهم مستقيمين لا ينحرفون إلى هنا وهناك (مُطِيعِينَ غَيْرَ عاصِينَ) لي، أو لله تعالى (وَلا

عاقِّينَ) بأن يعملوا أعمالاً تورث عقوقهم، أو أنهم يعيقوني ويقطعوا صلتي (وَلا مُخالِفينَ وَلا خاطِئِينَ) أي: آثمين لي، أو لله تعالى (وَأعِنّي على تَرْبِيَتِهِمْ) تربية حسنة (وَتَأدِيبِهِمْ) حتى يكونوا ذا أدب (وبرهم) بأن أبرهم وأحسن إليهم (وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أوْلاداً ذُكُوراً) آخرين (وَاجْعَلْ ذلِكَ) الإعطاء (خَيْراً لِي) لا أن يكون الإعطاء شراً (وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً عَلى ما سَألْتُكَ) بأن تجعل أولادي أعواناً في أعمالي الصالحة السابقة التي طلبت منك أن تعطنيها.

حفظ الذرية من همزات الشيطان:

(وَأعِذْني) أي: احفظني (وَذُرِّيَّتي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم) أي: المرجوم باللعن، وأصل الرجم: الرمي بالحجارة (فَإنَّكَ خَلَقْتَنا وَأمَرْتَنا) بفعل الواجبات (ونهيتنا) عن فعل المحرمات (وَرَغَّبْتَنا فِي ثَوابِ ما أمَرْتَنا؛ وَرَهَّبْتَنا) أي: خوفتنا (عِقابَهُ) أي: العقاب التابع لترك الأوامر (وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكِيدُنا) أي: يكيد لإخراجنا من الهدى إلى الضلال (سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلى ما لَمْ تُسَلِّطْنا عَلَيْهِ مِنْهُ) فإن الشيطان مسلط على الإنسان وليس الإنسان مسلطاً على الشيطان (أسْكَنْتَهُ صُدُورَنا) أي: قلوبنا التي هي في الصدور فقد ورد أن في القلب لمتين: لمة من الملائكة ولمة من الشياطين (وَأجْرَيْتَهُ مَجارِيَ دِمائِنا) فإن

الشيطان للطافة جسمه يدخل كل منفذ (لا يَغْفُلُ) الشيطان عنا (إنْ غَفَلْنا) نحن عنه (وَلا يَنْسى) أمرنا (إنْ نَسِينا) أمره (يُؤْمِنُنا عِقابَكَ) إذ الشيطان يسهل في نظر الإنسان عقاب الله تعالى (وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ) إذ يقول مثلاً: لو لم تفعل المعصية الفلانية كنت في ضنك من العيش وهكذا (إنْ هَمَمْنا بِفاحِشَةٍ) بأن أردنا إتيانها (شَجَّعَنا عَلَيْها) وحثنا على إتيانها (وَإنْ هَمَمْنا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنا) أي: فل عزمنا (عَنْهُ) حتى لا نعمله (يَتَعَرَّضُ لَنا بِالشَّهَواتِ) أي: يشغلنا بها ويزينها في نفوسنا، يشير بهذا إلى جهاد النفس التي تحاول التغلب بالهوى على العقل والتقوى (وَيَنْصِبُ لَنا) حبائله ومصائده (بِالشُّبُهاتِ) أي: يلقي في قلوبنا الشبهات الموجبة لإعزافنا عن الدين، كأنها حباله، يظهر لنا الأفكار الخاطئة التي تلبس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق، وتوقع السذج البسطاء في الشك والحيرة (إنْ وَعَدَنا كَذَبَنا) فإنه يعدنا بالأماني لكنه كاذب في ذلك، قال سبحانه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] (وَإنْ مَنّانا أخْلَفَنا) أي: إذا قال مثلاً: اعملوا كذا حتى تصلوا إلى الأمر المرغوب فيه، لم يف بوعده (وَإلاّ تَصْرِفْ عَنّا كَيْدَهُ يُضِلَّنا) ويصرفنا عن الطريق، اقتباس من قوله تعالى في قصة

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾[1] أي: إن لم تُعنِّي على نفسي أكن من الجاهلين (وَإلا تَقِنا) من الوقاية بمعنى: الحفظ (خَبالَهُ) أي: فساده (يَسۡتَزِلَّنا) أي: يوقعنا في الزلة والعثرة والخطايا (اللّهُمَّ فَاقۡهَرۡ سُلۡطانَهُ عَنّا بِسُلۡطانِكَ) بأن ترد سلطته بقوتك وسلطتك عليه، وهب لنا من لدنك صبراً عن الحرام، ونصراً على الهوى حتى لانعصيك في جميع الحالات (حَتّى تَحۡبِسَهُ عَنّا بِكَثۡرَةِ الدُّعاءِ لَكَ) أي: بسبب كثرة دعائنا لك في خلاصنا منه، فقد حثثت على الدعاء، ووعدت بالإجابة، وقد دعونا أن تصدعنا كل مكروه، وتوسلنا بك وأكثرنا، فكن لدعائنا مجيباً، ومن ندائنا قريبا (فَنُصۡبِحَ مِنۡ كَيۡدِهِ في المَعۡصُومِينَ بِكَ) الذين عصمتهم وحفظتهم عن كيده إليهم.

طلب الاستجابة لدعائه:

(اللّهُمَّ أَعۡطِنِي كُلَّ سُؤۡلِي) أي: كل ما أسأل (وَاقۡضِ لِي حَوائِجِي) حتى لا أحتاج بعدها إلى غيرك (وَلا تَمۡنَعۡنِي الإجابَةَ وَقَدۡ ضَمِنۡتَها لِي) حيث قلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[2] (وَلا تَحۡجُبۡ) أي: لا تمنع (دُعائِي عَنۡكَ) حتى كأنه لم يصل إليك (وَقَدۡ أَمَرۡتَنِي بِهِ) أي: بالدعاء (وَامۡنُنۡ عَلَيَّ بِكُلِّ ما

---

(١) سورة يوسف ع)، الآية: ٣٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

يُصْلِحُني في دُنْيايَ وَآخِرَتي) أي: بسبب صلاح الدارين لي (ما ذَكَرْتُ مِنْهُ) الضمير عائد إلى [ما] (وَما نَسِيتُ، أَوْ أَظْهَرْتُ أَوْ أَخْفَيْتُ) أي: دعوتك في طلبها ظاهراً بلساني أو مخفياً في نفسي (أَوْ أَعْلَنْتُ أَوْ أَسْرَرْتُ) بأن أظهرت للناس أو أخفيت من الناس (وَاجْعَلْني في جَميعِ ذلِكَ) الذي طلبت (مِنَ المُصْلِحينَ بِسُؤالي إيّاكَ) بأن أريد الإصلاح بما تتفضل عليّ به، لا أن أريد الإفساد (المُنْجِحينَ بِالطَّلَبِ إليك) النجاح الظفر بالشيء أي: أكون ناجحاً في طلبي بأن تقضي لي ذلك (غَيْرِ المَمْنُوعينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ) أي: لا أمنع عن التوكل عليك، أو لا أمنع عن حاجتي بسبب توكلي عليك: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1] (المعُوَّدِينَ) أي: أكون من الذين اعتادوا (بِالتَعَوُّذِ بِكَ) والالتجاء إليك، ولقد عودت الذين يتعوذون بك ويلوذون، أن لا تردهم خائبين (وَالرّاغِبينَ فِي التِّجارَةِ عَلَيْكَ) فإن تجارة الإنسان على الله سبحانه، لأن الإنسان يتجر بالأعمال الصالحة، ويريد الجزاء والثواب منه سبحانه، قال سبحانه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] (المُجارِينَ) أي: المحفوظين من الأعداء (بِعِزِّكَ) أي: بسبب عزك متمكنين من الإجارة (المُوسَعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الحَلالُ مِنْ

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة الصف، الآية: ١٠.

فَضْلِكَ) لا باستحقاق مني (الواسِعِ) إما صفة الرزق، أو صفة الإنسان نفسه والمراد: سعة أموره (بِجُودِكَ) أي: بسبب جودك (وَكَرَمِكَ) عليّ (المُعَزِّينَ) من أعزه: إذا أكرمه (مِنَ الذُّلِّ بِكَ) أي: بسببك وبطاعتك، وكم من أناس طلبوا العزّ بالنسب والثراء والخداع والرياء فاتضعوا وذلوا (وَالمُجارِينَ مِنَ الظُّلْمِ) أجاره: بمعنى حفظه من الظلم الذي يقع عليه (بِعَدْلِكَ) الذي يحفظ المظلوم من أن يظلمه (وَالمُعافَيْنَ مِنَ البَلآءِ بِرَحْمَتِكَ) عافاه: إذا حفظه من البلاء (وَالمُغْنَيْنَ مِنَ الفَقْرِ بِغِناكَ) أي: الغنى من عندك (وَالمَعْصُومِينَ) أي: المحفوظين (مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ) جمع زلة بمعنى العثرة (وَالخَطَأ بِتَقْواكَ) أي: بالتقوى التي تهبها لي (وِالمُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ) ضد الضلال (وَالصَّوابِ) ضد الخطأ (بِطاعَتِكَ) أي: بسبب أن توفقني لطاعتك، فإن من وفقته للطاعة يوفق للخير والرشد والصواب (وَالمُحالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ) أي: الذي أُحيل بينه وبين الذنب حتى لا يذنب (التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السّاكِنِينَ فِي جِوارِكَ) أي: في الآخرة، أو المراد: في الدنيا، والمراد: المحل المحفوظ بسببك، وجواراته في الآخرة محل رحمته وكرامته، ومن سكن في جوار العظيم الكريم فهو في حرز حارز، وحصن مانع من كل سوء.

طلب الصحة ووفرة الارزاق والسكنى في جوار الرحمن:

(اللهُمَّ أَعْطِنا جَمِيعَ ذلِكَ) الذي طلبناه، إشارة إلى كل ما تقدم من صحه الأبدان والأديان إلى وفرة الأرزاق والسكنى في جوار الرحمن (بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ وَأَعِذْنا) أي: احفظنا (مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ) يقال: سعرت النار، إذا التهبت (وَاعْطِ جَمِيعَ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِماتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ) إما عطف بيان، أو من عطف الخاص على العام، والدعاء للمسلمين حتى غير المؤمنين منهم يراد به الذين أسلموا ولم يعاندوا شرائط الإيمان فإن أكثر المسلمين جاهلون بالحق (مِثْلَ الَّذي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوُلْدي) المراد جنس الولد، ختم الإمام دعاءه هذا بالرجاء أن يوفق سبحانه ويسهل السبيل إلى ما ذكر وسأل لنفسه ولذويه وأهل التوحيد، لأن من أخص خصائص المؤمن أن يكون تعاونيا مع الجميع. وفي الحديث: «**المؤمن يحب لغيره ما يحب لنفسه... المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» (في عَاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الآخِرَةِ) أي: الآخرة التي هي آجلة مؤخرة (إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجيبٌ) إنك قريب بالعلم تعلم ما سألناك وتجيب سؤالنا (سَميعٌ) دعواتنا (عَليمٌ) بمقاصدنا (عَفُوٌّ) عن الذنوب (غَفُورٌ) سائر الخطايا (رَؤُوفٌ) بالعباد، الرأفة أدق من الرحمة (رَحِيمٌ)

وهو الذي يرحم بعباده، لا الرحمة في القلب، فاللّٰه سبحانه ليس محلاً للحوادث - كما ثبت في علم الكلام، فإذا أطلقت هذه الكلمة على اللّٰه سبحانه أريد بها العطاء والإفاضة لرفع الحاجة، ومن هنا قيل بالنسبة إليه سبحانه: «**خذ الغايات واترك المبادئ**» فالرحمة لها «**مبدأ**» وهو الوصف الانفعالي الخاص الذي يعرض على القلب و«**منتهى**» وهو العطاء والإفاضة، فإذا أطلق هذا الوصف على اللّٰه سبحانه أريد بهم «**غايته**» لا «**مبدؤه**» (وهكذا بالنسبة إلى الصفات الأخرى التي هي من هذا القبيل) (وَآتِنا) أي: أعطنا (فِي الدُّنْيا حَسَنَةً) المراد: جنسها (وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً) كأن المراد بها: الجنة لقوله (وَقِنا) أي: احفظنا من (عَذابَ النّارِ) بفضلك وكرمك، إنك سميع مجيب.

دعاؤه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم

وكان من دعائه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم:

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي في جِيرانِي وَمَوالِيَّ العارِفِينَ بِحَقِّنا، وَالمُنابِذِينَ لأَعْدائِنا بِأَفْضَلِ وَلايَتِكَ وَوَفِّقْهُمْ لإِقامَةِ سُنَّتِكَ، وَالأَخْذِ بِمَحاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ وَمُناصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ وَتَعَهُّدِ قادِمِهِمْ، وَكِتْمانِ أَسْرارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْراتِهِمْ،

وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُواسَاتِهِمْ بِالماعُونِ، وَالعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالجِدَةِ وَالإِفْضَالِ، وَإِعْطاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ وَاجْعَلْنِي اللّهُمَّ أَجْزِي بِالإِحسانِ مُسيئَهُمْ، وأُعْرِضُ بِالتَّجاوُزِ عَنْ ظالِمِهِمْ، وَأَسْتَعمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلّى بِالبِرّ عامَّتَهُمْ، وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلِينُ جانِبِي لَهُمْ تَواضُعاً، وَأَرِقُّ عَلى أَهْلِ البَلاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بَقاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَاُوجِبُ لَهُمْ ما أُوجِبُ لِحامَّتِي وَأَرْعى لَهُمْ ما أَرْعى لِخاصَّتِي، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لِي أَوْفَى الحُظُوظِ فِيما عِنْدَهُمْ وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي حَتّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدُ بِهِمْ، آمِينَ رَبَّ العالَمِينَ(١).

اللغة:

(وَتَوَلَّنِي): أعني. (وَمَوالِيّ): التابعين لي، الناصرين، المعينين، المحبين. (وَالمُنابِذِينَ): من النبذ وهو طرح الشيء ورميه، وهو هنا المعاندين والمخالفين. (إرفاقِ): من الرفق: العطف واللين. (خلَّتِهِمْ): حاجتهم وفاقتهم. (وَعِيادَةِ مَرِيضِهِمْ): زيارته. (وَتَعَهُّدِ): تعهدت الشيء: تفقدته

(١) الدعاء السادس والعشرون من الصحيفة السجاديَّة .

وجددت العهد به أي اللقاء به ومنه عهدي به قريب أي لقائي. (عَوْراتِهِمْ): جمع العورة وهي كل ما يستره الإنسان أنفة أو حياء. (مُواسَاتِهِمْ): المواساة: مصدر آسيته بنفسي أي سويته بها. (بِالماعُونِ): الماعون: قيل هو المعروف كله وقيل اسم جامع لما لا يمنع في العادة. (وَالعَوْدِ): العطف والتطول والإحسان. (بِالجِدَةِ): الجدة: الغنى والثروة. (وَالإفْضَالِ): الزيادة والاكثار. (وأُعْرِضُ): أعرضت: أضربت ووليت عنه. (وَأَغُضُّ بَصَرِي): غض بصره: خفضه وكسره. (عِفَّةً): الكف عمّا لا يحل. (وَأَرِقُّ عَلى أَهْلِ البَلاءِ): اعطف وتحنن على المبتلين والمصابين. (مَوَدَّةً): العطف والمحبة. (لِحامَّتِي): خاصتي من أهلي وولدي من حم الشيء يحم حماً أي قرب ودنى. (الحُظُوظِ): جمع حظ وهو النصيب. (بَصِيرَةً): علم وخبرة.

الشرح:

الإحسان والخير والعطف على الجيران:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّني في جِيرانِي) أي: اقض حاجتي في باب جيراني التي أطلبها منك بالإحسان إليهم (وَمَوالِيّ) جمع مولى بمعنى الصديق والعبد وما أشبه ـ هنا ـ وإن كان المنصرف منه إذا لم تكن ثمة قرينة، الأولى بالتصرف

كقوله: ﴿ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾[1]، ولكن المراد بالموالى هنا من دان و تشيع لأهل البيت عليهم السلام (العارِفينَ بَحَقِّنا) أهل البيت من الوصاية والخلافة والإمامة، أما حقهم فالمراد به الطاعة فيما يقولون والتمسك بهم تماماً كالتمسك بالقرآن الكريم لحديث الثقلين: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ ألا هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا**»[2].وآيه التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، وآيه المباهلة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[4]، وغير ذلك (وَالمُنابِذينَ) أي: المعاندين (لأعْدائِنا بِأَفْضَلِ وَلايَتِكَ) أي: بأفضل ما تتولى به أحداً وتقضي حوائجه (وَوَفِّقْهُمْ لإقامَةِ سُنَّتِكَ) أي: دينك وأصل السنّة الطريقة (وَالأَخْذِ بِمَحاسِنِ أَدَبِكَ) أي: أدبك الحسن (في إرفاقِ ضَعيفِهِمْ) هذا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٠؛ والأنفال، الآية: ٤٠ .

(٢) بحار الأنوار: ج٢، ص١٠٠ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١ .

بيان محاسن الأدب، أي: يرفقوا بضعفائهم (وَسَدِّ خِلَّتِهِمْ) أي: إصلاح حاجتهم (وَعِيادَةِ مَرِيضِهِمْ) بأن يعودوا مرضاهم، في أصول الكافي: أن رجلاً دخل على الإمام الصادق عليه السلام فسأله: كيف خلفت إخوانك؟ فأحسن الثناء عليهم. فقال الإمام: كيف عيادة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة. قال: كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال الرجل: إنك لتذكر أخلاقاً قل ما هي فيمن عندنا. فقال الإمام: كيف تزعم أن هؤلاء شيعة؟[1]. (وَهِدايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ) أي: أن يهدوا الذين يريدون الهداية والرشاد (وَمُناصَحَةِ مَسْتَشِيرِهِمْ) بأن ينصحوا من يستشيرهم ويطلب منهم أن يشيروا عليه بالرأي الصواب (وَتَعَهُّدِ قادِمِهِمْ) بأن يزوروا من قدم إليهم من الخارج (وَكِتْمانِ أَسْرارِهِمْ) فلا ينشر بعضهم سر بعض (وَسَتْرِ عَوْراتِهِمْ) العورة: هي الصفة القبيحة التي تظهر من الإنسان، وذلك بأن يستر بعضهم عورة بعض (وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ) أي: ينصر بعضهم بعضاً إذا ظلم (وَحُسْنِ مُواسَاتِهِمْ بِالماعُونِ) والماعون من العون بمعنى العمل الخيري كالقرض والمساعدة وما أشبه، بأن يواسي بعضهم بعضاً بالمساعدة، ورد في سفينه البحار: أن الإمام الكاظم ابن الصادق عليه السلام قال لرجل من الشيعة: كيف أنتم في التواصل

---

(١) راجع؛ بحار الأنوار: ج٧١ ،ص٢٥٣ .

والتواسي؟ قال: على أفضل ما كان عليه أحد. قال: أيأتي أحدكم إلى دكان أخيه أو منزله عند الضائقة، فيستخرج كيسه، ويأخذ ما يحتاج إليه، فلا ينكره؟ قال: لا. فقال الإمام عليه السلام: لستم على ما أحب في التواصل. وكانت هذه المواساة موجودة عند بعض الصحابة، ولكن على عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (وَالعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالجِدَةِ) أي: أن يعطف بعضهم على بعض بالثروة، فيساعده مالياً، والجدة من [وجد] نحو عدة من [وعد] (وَالإِفْضَالِ) عطف بيان لجدة (وَإِعْطاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ) بأن يعطي الواجب عليه، لصديقه قبل أن يسأل الصديق (وَاجْعَلْنِي اللّهُمَّ أَجْزي بِالإِحسانِ مُسيئَهُمْ) فمن أساء منهم إليّ أقابله بالإحسان (وأُعْرِضُ بِالتَّجاوُزِ عَنْ ظالِمِهِمْ) أي: أعرض من ظالمهم بأن أتجاوز عنه ولا أقابله بالمثل (وَأَسْتَعمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ في كآفَّتِهِمْ) أي: جميعهم بأن أحسن بهم الظن (وَأَتَوَلّى بِالبِرِّ عآمَّتَهُمْ) أي: أبرّ إلى جميعهم، من شروط الإمام أن يكون أبر الناس بالناس وأرحمهم، قال سبحانه في نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] (وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً) بأن لا أنظر إليهم الخيانة في أي شأن من شؤونهم، وأغض عن السيئة، و أشكر الحسنة (وَأُلِينُ جانِبِي

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

لَهُمْ تَواضُعاً) فأكون مسايساً رفيقاً شفيقاً لهم، قال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿... وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] (وَأَرِقُّ) من الرقة في القلب الموجبة للإحسان إليهم والدعاء لهم فاحنوا عليهم، واعمل جاهدا من أجلهم (عَلى أَهْلِ البَلاءِ مِنْهُمْ) الذي ابتلي بمرض أو فقر أو خوف أو ما أشبه (رَحْمَةً) بهم (وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالغَيْبِ) بأن أكتم لهم الخير في غيبي أي قلبي، أو أعلن لهم بمدائحهم في حال غيابهم، فإن أسر من ألفاظ الضد يستعمل بمعنى الكتمان والإعلان (مَوَدَّةً) وحباً لهم (وَأُحِبُّ بَقاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً) في مقابل الحسد الذي هو رجاء زوال نعمة الناس، يعني: أود لهم بقاء التعمة من الأعماق وأن يعيشوا في نعيم وأمان مدى الليالي والأيام (وَأُوجِبُ لَهُمْ ما أُوجِبُ) من الإحسان والخير والعطف (لِحامَّتِي) أي: أقاربي، بأن أعاملهم كما أعامل الأقارب (وَأَرْعى لَهُمْ ما أَرْعى لِخاصَّتِي) بأن أنظر إليهم كما أنظر إلى خواصي.

تبادل العطف والإحسان والحنان:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذلِكَ) الذي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

طلبت منك بالنسبة إلى الجيران والموالي (مِنْهُمْ) بأن يكونوا لي كما أكون لهم (وَاجْعَلْ لِي أَوْفَى الحُظُوظِ فِيما عِنْدَهُمْ) بأن يكون حظي من خيرهم وبرهم أحسن من حظ سواي منهم مثلاً يكرموني أكثر من إكرامهم لغيري (وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً في حَقِّي) حتى يعرفوني حق المعرفة ، في وجوب طاعتي لا لشيء إلا لأهدي إلى الحق، وبه أعدل وأعمل (وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي) حتى يقوموا بالواجب من إكرامي، افعل ذلك كله يا رب بي معهم ، لكي يعرفوا بأني من خزنة علمك وحفظة دينك الذين عنيتهم بقولك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] (حَتّى يَسْعَدُوا بِي) أي: بسببي وبهدايتي لهم إلى سبيل الله تعالى والرشاد، وفي الحديث: «**لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس**» (وَأَسْعُدَ بِهِمْ) إذ المتبادلون العطف والإحسان والحنان يسعد أحدهم بالآخر أيضاً أسعد بايمانهم وجهادهم في سبيل طاعتك ومرضاتك (آمِينَ) أي: استجب (يَا رَبَّ العالَمِينَ) ما طلبت منك ودعوتك.

---

(١) سورة النحل ، الآية: ٤٣ .

الفصل الثالث

الجانب الأخلاقي

- أولاً - تمهيد: الأخلاق في القرآن
- ثانياً - دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال
- ثالثاً - دعاؤه في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال

الجانب الأخلاقي

تمهيد: الأخلاق في القرآن.

يقول عزَّ وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

هذه الآية القرآنيّة وغيرها من الآيات تظهر أن تزكية النفس من أهمّ أهداف الأنبياء عليهم السلام، إذ لولا الأخلاق، لما فهم الناس الدّين ولَما استقامت دنياهم: وكما قال الشّاعر:

وإنما الأُمم الأخلاق ما بَقيتْ　　فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذَهبوا

فلا يُعتبر الإنسان إنساناً إلاّ بأخلاقه، وإلاّ سوف يصبح حيواناً ضارياً كاسراً، يحطّم ويكتسح كلّ شيء، وخصوصاً وهو يتمتّع بالذّكاء الخارق، فيثير الحروب الطّاحنة، لغرض الوصول

(١) سورة الجُمعة، الآية: ٢.

لأهدافه الماديّة غير المشروعة، ولأجل أن يبيع سلاحه الفتّاك، يزرع بذور الفُرقة والنّفاق ويقتل الأبرياء!

نعم، يمكن أن يكون متمدّناً في الظّاهر، إلاّ أنّه لا يميّز الحلال من الحرام، ولا يفرّق بين الظّلم والعدل، ولا الظّالم والمظلوم، ولا الحق والباطل!

فالآية تشير إلى أنّ بعث الرسول ليُعلِّم الأخلاق هي من علامات حضور الباري تعالى في واقع الإنسان لتفعيل عناصر الخير في وجدانه، وأنَّ النقطة المعاكسة (للتربية والتعليم) هي الضّلال المبين، فهي تبين مدى اهتمام القرآن الكريم بالسلوك الأخلاقي للإنسان في حركة الحياة.

فكما أشرنا أنَّ بعض الآيات القرآنيّة تقرّر حقيقةً واحدةً، ألا وهي، أنّ إحدى الأهداف المهمّة، لبعثة النّبي الأكرم ﷺ، هو تزكية النّفوس وتربيّة الإنسان، وبلورة الأخلاق الحسنة، في واقعه الوجداني، بحيث يمكن أن يقال: إنّ تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة التي أشارت إليها الآية المباركة السابقة، تعُد مقدمة لمسألة تزكية النّفوس وتربية الإنسان، والذي بدوره يشكّل الغاية الأساسيّة لعلم الأخلاق وهذه الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

نجد في الآية أنَّ إرسال رسول يُزكيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة، هي من المنن والمواهب الإلهيّة العظيمة، التي منّ اللّه بها علينا، وهي دليل آخر على أهميّة الأخلاق.

وقوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ويمكن تعليل تقدم كلمة: «**التزكية**»، على: «**التعليم**»، من حيث إنّ «**التّزكية**» هي الهدف والغاية النهائيّة، وإن كان «**التّعليم**» من الناحية العمليّة مقدمٌ عليها.

وهذه الآية نزلت بعد آيات تغيير القبلة، من القدس الشّريف إلى الكعبة المشرّفة، حيث عُدَّ هذا التغيير من النّعم الإلهيّة الكبرى، وأنّ هذه النعمة هي كإرسال الرسول للتعليم والتّزكية وتعليم الإنسان أُموراً لم يكن يعلمها ولن يتمكن من الوصول إليها إلاّ عن طريق الوحي الإلهي[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥١ .

(٣) ففي جملة: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾، إشارةً إلى أنّ الوصول إلى هذا العلم، لا يمكن الاّ بالوَحي.

وإن نظرنا لقوله عزَّ وجل: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1].و تقديمها لكلمة التّعليم على التّزكية، فهي ناظرةٌ إلى المسألة من حيث الترتب العملي الطبيعي لها، باعتبار أنّ التّعليم مقدمةٌ «**للتربية والتّزكية**».

وهذه الآية تتحدث عن أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام، وبعد إكماله لبناء الكعبة، طلب من الباري تعالى: أن يخلق من ذريّته أُمّةً مسلمةً؛ وأن يبعث فيهم رسولاً من ذريّته، ليزكّيهم في دائرة التربية الأخلاقيّة، وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ.

ولهذا نرى أنّ الآيات المتقدمة، كلّ منها تنظر إلى المسألة من منظارها الخاص.

وليس بعيداً احتمال رأيٍ آخر، من التّفسير في الآيات المباركة، وهو أنّ الغرض، من التّقديم والتّأخير الحاصل لهذين الكلمتين: (التّربية والتعليم)، باعتبار أنّ إحداها تؤثّر في الأُخرى، يعني كما أنّ التعليم الصّحيح يكون سبباً في الصّعود بالأخلاق، وتزكية النّفوس، تكون تزكية النفوس هي الأُخرى مؤثّرة في رفع المستوى العلمي، لأنّ الإنسان بوصوله للحقيقة العلميّة، يكون قد تطهر من «**العناد**» و«**الكِبر**» و«**التّعصب الأعمى**»، حيث تكون

---

(١) سورة البقره، الآية: ١٢٩.

الأخيرة مانع من التّقدم العلمي، ومعها سوف يُران على قلبه على حد تعبير القرآن الكريم، ولن يرى الحقيقة كما هي في الواقع.

وفي سورة الشمس نجد أن القرآن الكريم، وبعد ذكر أحدَ عشرَ قَسَماً مهماً، وهي من أطول الأقسام في القرآن، - قسماً بالشّمس والقمر والنّجوم والنفس الإنسانية -، وبعد ذلك يقول سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

وهذا التأكيد المتكرّر والشّديد في هذه الآيات، يدلّ على أنّ القرآن الكريم، يولّي أهميّةً بالغةً لمسألة الأخلاق، وأنّ التّزكية هي الهدف الأهم للإنسان، وتكمن فيها كلّ القيم الإنسانيّة، بحيث تكون نجاة الإنسان بها.

ونفس المعنى أعلاه ورد في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2]، واللّطيف فيها أَنّ ذكر التّزكية جاء قبل الصلاة، وذكر الله تعالى، إذ لولا التّزكية وصفاء الرّوح لا يكون للصّلاة معنى، ولا لذكر الله سبحانه.

وجاء في ذكر لُقمان الحكيم، حيث عبّر عن علم الأخلاق بالحكمة، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾[3].

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٢) سورة الأعلى، الآيات: ١٤ و ١٥.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.

وبالنّظر للآيات الشّريفة، نرى أنّ خصوصيّة: «**لقمان الحكيم**»، هي تربية النّفوس والأخلاق، ومنها يتّضح أنّ المقصود من الحكمة هنا، هو الحكمة العمليّة وتعاليمها المؤدّية إليها، وبعبارة أُخرى يعني: «**التّعليم**» لأجل «**التّربية**».

ويجب الانتباه إلى أنّ أصل معنى «**الحكمة**» هو لجام الفرس، وبعدها أطلقت على كلّ شيء رادع، وباعتبار أنّ العلوم والفضائل الأخلاقيّة، تردع الإنسان عن الرّذائل فأطلقت عليها هذهِ الكلمة.

النّتيجة:

نستوحي من هذهِ الآيات الاهتمام الكبير للقرآن الكريم بالمسائل الأخلاقيّة وتهذيب النفوس، باعتبارها مسألةً أساسيّةً، تنشأ منها وتبتني عليها جميع الأحكام والقوانين الإسلاميّة، فهي بمثابة القاعدة الرّصينة والبناء التحتي، الذي يقوم عليه صرح الشّريعة الإسلاميّة.

نعم إنّ التّكامل الأخلاقي للفرد والمجتمع، هو أهم الأهداف التي تعتمد عليه جميع الأديان السّماوية، إذ هو أساس كلّ صلاح في المجتمع، ووسيلة رادعة لمحاربة كلّ أنواع الفساد والانحراف، في واقع الإنسان والمجتمع البشري في حركة الحياة.

أهميّة الأخلاق في الرّوايات الإسلاميّة:

لقد أولت الأحاديث الشّريفة لهذه المسألة أهمية بالغةً سواء كانت في الروايات الواردة عن الرّسول الأعظم ﷺ أم عن طريق الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ونورد بعضاً منها:

١ ـ الحديث المعروف عن الرسول الأكرم ﷺ: «**إِنّما بُعثتُ لأُتممَ مكارمَ الأخلاقِ**»(١).

١. ونرى أن كلمة «**إنّما**» تفيد الحصر، يعني أنّ كلّ أهداف بعثة الرّسول الأكرم ﷺ، تتلخص في التّكامل الأخلاقي.

٢ ـ وجاء في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «**لَو كُنّا لا نَرجو جنّةً ولا ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً، لكان يَنبغي لَنا أن نُطالِبَ بِمكارِمِ الأخلاقِ فإنّها ممّا تَدُلُّ على سبيلِ النجاحِ**»(٢).

يبيّن لنا هذا الحديث أهمية الأخلاق وفضائلها، إذ هي ليست سبباً في النجاة في الأُخرى فقط، بل هي سبب لصلاح الدّنيا أيضاً.

وبعبارة أُخرى: أنّ الباري تعالى هو المعلم الأكبر للأخلاق، و هو مربّي النّفوس، ومصدر لكلّ الفضائل، والقرب منه تعالى لا يتمّ إلاّ بالتّحلي بالأخلاق الإلهيّة.

---

(١) كنز العمّال: ج ٣، ص ١٦، ح ٥٢١٧٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٢٨٣ الطبعة القديمة.

وعلى هذا نرى أنّ كلّ فضيلة يتحلى بها الإنسان، تؤدي إلى تعميق العلاقة بينه وبين ربّه، وتقربه من الذّات المقدّسة أكثر فأكثر.

وحياة المعصومين عليهم السلام كلّها تبيّن هذهِ المسألة، فإنّهم كانوا دائماً يدعون إلى الأخلاق، والتّحلي بالفضائل، وهم القُدوة الحسنة في سلوك هذا الطريق[1]، ونحن سنتعرض لدعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام.

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال

وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَبَلِّغْ بِإيماني أكْمَلَ الإيمانِ، وَاجْعَلْ يَقيني أفْضَلَ اليَقين، وَانْتَه بِنِيَّتي إلى أحْسَنِ النيّات، وَبِعَمَلي إلى أحْسَنِ الأعْمالِ، اللّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي، وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ يَقيني، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ ما فَسَدَ مِنّي، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاكْفِني ما يَشْغَلُني الاهْتمامُ بِه، وَاسْتَعْمِلْني بما تَسْألُني غداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أيّامي فيما خَلَقْتَني لَهُ، وَأغْنِني وَأوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ، وَلا تَفْتِنّي بِالبَطَرِ، وَأعِزَّني وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالكِبْرِ، وَعَبِّدْني لَكَ وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْبِ، وَأجْرِ لِلنّاسِ عَلى يَدَيَ الخَيْرَ وَلا

---

(١) الأخلاق في القرآن: ج١، ص١٠ - ١٥، مع التصرف.

تَمْحَقْهُ بِالمَنِّ، وَهَبْ لي مَعالِيَ الأَخْلاقِ، وَاعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَلا تَرْفَعْني في النّاسِ دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدرِها، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَمَتِّعْني بِهُدىً صالِح لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَريقَةِ حَقٍّ لا أزيغُ عَنْها، وَنِيَّةِ رُشْد لا أَشُكُّ فيها، وَعَمِّرْني ما كانَ عُمْري بِذْلَةً في طاعَتِك، فَإذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطانِ فَاقْبِضْني إليك قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إليَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ، اللّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعابُ مِنّي إلاّ أَصْلَحْتَها، وَلا عائِبَةً أُؤَنَّبُ بِها إلاّ حَسَّنْتَها، وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ ناقِصَةً إلاّ أَتْمَمْتَها، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ المَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ البَغْيِ المَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَداوَةِ الأَدْنَيْنَ الوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحامِ المُبَرَّةَ، وَمِنْ خِذلانِ الأَقْرَبينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ المُدارينَ تَصْحيحَ المِقَةِ وَمِنْ رَدِّ المُلابِسينَ كَرَمَ العِشْرَةِ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظّالِمينَ حَلاوَةَ الأَمَنَةِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه وَاجْعَلْ لي يَداً عَلى مَنْ ظَلَمَني، وَلِساناً عَلى مَنْ خاصَمَني، وَظَفَراً بِمَنْ عانَدَني، وَهَبْ لي مَكْراً عَلى مَنْ كايَدَني، وَقُدْرَةً عَلى مَنِ اضْطَهَدَني، وَتَكْذيباً لِمَنْ قَصَبَني، وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني، وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني، وَمُتابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَني اللّهُمَّ

صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْني لأَنْ أعارِضَ، مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وَأجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالبِرِّ، وَأُثيبَ مَنْ حَرَمَني بِالبَذْلِ، وَأُكافيَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ، وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إلى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأنْ أشْكُرَ الحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّني بِحُلْيَةِ الصّالِحينَ وَألْبِسْني زينَةَ المُتَّقينَ في بَسْطِ العَدْلِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَإطْفاءِ النائِرَةِ، وَضَمِّ أهلِ الفُرْقَةِ، وَإصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وَإفْشاءِ العارِفَةِ، وَسَتْرِ العائِبَةِ، وَلينِ العَريكَةِ، وَخَفْضِ الجَناحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطيبِ المُخالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إلى الفَضيلَةِ وَإيثارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْييرِ، والإفْضالِ على غَيْرِ المُسْتَحِقِّ، وَالقَوْلِ بِالحَقِّ وَإنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلالِ الخَيْرِ وَإنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِّ وَإنْ قَلَّ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي، وَأكْمِلْ ذلِكَ لي بِدَوامِ الطّاعَةِ وَلُزُومِ الجَماعَةِ، وَرَفْضِ أهْلِ البِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلي الرَّأيِ المُخْتَرَعِ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذا كَبُرْتُ، وَأقْوى قُوَّتِكَ فِيَّ إذا نَصِبْتُ، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبادَتِكَ، وَلا العَمى عَنْ سَبيلِكَ، وَلا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ، وَلا مُجامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إليكَ. اللّهُمَّ اجْعَلْني أصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأسْألُكَ عِنْدَ الحاجَةِ، وَأتَضَرَّعُ إليكَ عِنْدَ المَسْكَنَةِ وَلا تَفْتِنّي بِالاسْتِعانَةِ بِغَيْرِكَ إذا اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالخُضُوعِ لِسُؤالِ غَيْرِكَ إذا افْتَقَرْتُ، وَلا بِالتَّضَرُّعِ

إلى مَنْ دُونَكَ إذا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقَّ بِذلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ
وَإعْراضَكَ، يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ، اللّهُمَّ اجْعَلْ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ
في رَوعي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً في
قُدْرَتِكَ، وَتَدْبيراً عَلى عَدُوِّكَ، وَما أجْرى عَلى لِساني مِنْ لَفْظَةِ
فُحْشٍ أوْ هَجْرٍ أوْ شَتْمِ عِرْضٍ أوْ شَهادَةِ باطِلٍ أوْ اغْتِيابِ مُؤْمِنٍ
غائِبٍ أوْ سَبِّ حاضِرٍ وَما أشْبَهَ ذلِكَ نُطْقاً بِالحَمْدِ لَكَ، وَإغْراقاً
في الثَّناءِ عَلَيْكَ، وَذَهاباً في تَمْجيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْترافاً
بِإحْسانِكَ وَإحْصاءً لِمِنَنِكَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا
أُظْلَمَنَّ وَأنْتَ مُطيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أظْلِمَنَّ وَأنْتَ القادِرُ عَلى
القَبْضِ مِنِّي، وَلا أضِلَّنَّ وَقَدْ أمْكَنَتْكَ هِدايَتِي وَلا أفْتَقِرَنَّ وَمِنْ
عِنْدِكَ وُسْعي، وَلا أطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدي، اللّهُمَّ إلى مَغْفِرَتِكَ
وَفَدْتُ، وَإلى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإلى تَجاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ
وَثِقْتُ وَلَيْسَ عِنْدي ما يُوجِبُ لي مَغْفِرَتَكَ، وَلا في عَمَلي ما أسْتَحِقُّ
بِهِ عَفْوَكَ، وَما لي بَعْدَ أنْ حَكَمْتُ عَلى نَفْسي إلاّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ
عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ، اللّهُمَّ وَأنْطِقْني بِالهُدى وَألْهِمْني
التَّقْوى، وَوَفِّقْني لِلَّتي هِيَ أزْكى، وَاسْتَعْمِلْني بِما هُوَ أرْضى، اللّهُمَّ
اسْلُكْ بِيَ الطَّريقَةَ المُثْلى، وَاجْعَلْني عَلى مِلَّتِكَ أمُوتُ وَأحْيى،
اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِالاقْتِصادِ، وَاجْعَلْني مِنْ أهْلِ
السَّدادِ، وَمِنْ أدِلَّةِ الرَّشادِ، وَمِنْ صالِحِي العِبادِ، وَارْزُقْني فَوْزَ

المَعادِ، وَسَلامَةَ المِرْصادِ، اللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسي ما يُخَلِّصُها، وَأَبْقِ لِنَفْسي مِنْ نَفْسي ما يُصْلِحُها، فَإِنَّ نَفْسي هالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَها اللّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغاثَتي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمّا فاتَ خَلَفٌ، وَلِما فَسَدَ صَلاحٌ، وَفيما أَنْكَرْتَ تَغْييرٌ، فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ البَلاءِ بِالعافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشادِ، وَاكْفِني مَؤُنَةَ مَعَرَّةِ العِبادِ، وَهَبْ لي أَمْنَ يَوْمِ المَعادِ، وَامْنَحْني حُسْنَ الإِرْشادِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنّي بِلُطْفِكَ وَاغْذُني بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْني بِكَرَمِكَ، وَداوِني بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّني في ذَراكَ وَجَلِّلْني رِضاكَ، وَوَفِّقْني إِذا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لِأَهْداها، وَإِذا تَشابَهَتِ الأَعْمالُ لِأَزْكاها، وَإِذا تَناقَضَتِ المِلَلُ لِأَرْضاها، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْني بِالكِفايَةِ، وَسُمْني حُسْنَ الوِلايَةِ، وَهَبْ لي صِدْقَ الهِدايَةِ، وَلا تَفْتِنّي بِالسِّعَةِ، وَامْنَحْني حُسْنَ الدِّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشي كَدّاً كَدّاً، وَلا تَرُدَّ دُعائي عَلَيَّ رَدّاً، فَإِنّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْنَعْني مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقي مِنَ التَلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتي بِالبَرَكَةِ فيهِ، وَأَصِبْ بي سَبيلَ الهِدايَةِ لِلْبِرِّ فيما أُنْفِقُ مِنْهُ، اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِني مَؤُونَةَ الاكْتِسابِ، وَارْزُقْني مِنْ غَيْرِ احْتِسابٍ، فَلا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعاتِ المَكْسَبِ،

اللّهُمَّ فأَطْلِبْني بِقُدْرَتِكَ ما أَطْلُبُ، وَأَجِرْني بعِزَّتِكَ مِمّا أَرْهَبُ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهي بِاليَسارِ، وَلا تَبْتَذِلْ جاهي بِالإقْتارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطاني، وَأُبْتَلى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَني، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإعْطاءِ وَالمَنْعِ، اللَهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني صِحَّةً في عِبادَةٍ وَفَراغاً في زَهادَةٍ، وَعِلْماً في اسْتِعْمالٍ، وَوَرَعاً في إجْمالٍ، اللّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ في رَجاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلي، وَسَهِّلْ إلى بُلُوغِ رِضاكَ سُبُلي، وَحَسِّنْ في جَميعِ أَحْوالي عَمَلي، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْني لِذِكْرِكَ في أَوْقاتِ الغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْني بِطاعَتِكَ في أَيّامِ المُهْلَةِ، وَانْهَجْ لي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً، أَكْمِلْ لي بِها خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلى أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنا في الدُّنيا، حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِني بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النّارِ [1].

اللغة:

(وَبَلِّغْ بِإيماني): أي: اجعل إيماني يرتقي ويبلغ. (أَحْسَنَ النِيّاتِ): أي: اجعل نيتي أفضل النيات. (وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي): وَفِّرْ:

---

(١) الدعاء العشرون.

كثّر؛ ووَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي: كثّر نياتي أو نواياي الحسنة واجعلها خالصة لوجهك الكريم. (وَاسْتَفْرِغْ أيّامي): اجعلها فارغة من الأمور غير النافعة.

(وَلا تَفْتِنِّي بِالبَطَرِ): لا تمتحني بالنظر إلى ما في أيدي الناس. (وَلا تَبْتَلِيَنِي بِالكِبْرِ): التكبُّر: هو أن يري الإنسان نفسه كبيراً عظيماً بالقياس إلي غيره. (وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْبِ): العجب: هو استعظام الإنسان نفسه، لاتصافه بخلة ومزية، كالعلم والمال والجاه والعمل الصالح، فيفرح بعمله ويعجب به. (وَلا تَمْحَقْهُ بِالمَنِّ): لا تزيل ثواب عملي بالمن كالافتخار، والمَنّ: ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه. (وَاعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ): الفخر: يعني الزهو أو (التعالي) أيضاً لكن من خلال الانتساب إلى سمة يلتمسها الشخص لذاته الفردية، والاجتماعية: كما لو يزهو بعلمه، وموقعة مثلاً. (حَطَطْتَني): خفضتني ووضعتني. (لا أزيغُ عَنْها): لا أميل، لا انحرف. (رُشْد): صواب. (بِذْلَةً): مبذولاً.

(مَقْتُكَ إليَّ): المقت؛ الغضب والبغض الشديد. (خِصْلَةً): الخصلة؛ الصفة. (عائِبَةً أُؤَنَّبُ): أمراً سيئاً أُذم أو أحاسب عليه. (أُكْرُومَةً): من الكرم والمقصود بها كرائم الأخلاق، أو فعل الكرم. (الشَّنآنِ): البغض. (ظِنَّةِ): الظنة؛ التهمة وسوء

الظن. (الأَدْنَيْنِ): الأقربين.

(الوَلايَةَ): المحبة والصداقة. (عُقوُقِ): العقوق؛ قطع الرحم. (المُبَرَّةَ): البر، الصلة.

(المُدارينَ): من المداراة، وهي الملاطفة والملاينة. (المِقَةِ): المحبة من الذين يحسنون الصحبة.

(المُلابِسينَ): المخالطين. (حَلاوَةَ الأَمَنَةِ): حلاوة الأمن من الظالمين.(يَداً): قدرة وسلطة.

(مَكْراً): احتيالاً بالحسنى، أو معرفة بكيفية العلاج. (كايَدَني): مكر بي وخدعني، وظلمني وقهرني. (قَصَبَني): عابني. (تَوَعَّدَني): هددني بالسوء. (سَدَّدَني): هداني، أرشدني.

(وَأُغْضيَ): أسكت، أصبر، أعفو، أخفض النظر كناية عن الصفح. (وَكَظْمِ الغَيْظِ): كظم غيظه؛ ردّه وحبسه وامسك على ما في نفسه منه. (النائِرَةِ): العداوة والشحناء. (العارِفَةِ): المعروف. (وَستْرِ العائِبَةِ): ستر العيوب. (ولينِ العَريكَةِ): سلاسة الطبع، الطبيعة. (وَخَفْضِ الجَناحِ): التواضع. (وَسُكُونِ الرِّيحِ): المراد به هنا الوقار والرزانة وحسن الأخلاق. (وَطيبِ المُخالَقَةِ): التخلق في المعاشرة. (وَإيثارِ التَّفَضُّلِ): إيثار الآخر بما تفضل به اللّٰه تعالى علي. (وَتَرْكِ التَّعْييرِ): ترك ذكر عيوب الناس وتحقيرهم. (البِدَعِ): مفردها بدعة، والبدعة: المحدث بالدين على غير

ما أنزل الله سبحانه وتعالى والذي يخالف الشريعة الإسلامية. (الرَّأيِ المُخْتَرَعِ): الرأي الجديد الذي يخالف الإسلام. (نَصِبْتُ): من النصب؛ التعب الشديد. (أصُولُ بِكَ): أستقوي بك وأستعد منك القدرة. (وَأتَضَرَّعُ): أتوسل وأتذلل. (المَسْكَنَةِ): الفقر. (وَلا تَفْتِنِّي): ولا تبتلني. (رَهِبْتُ): خفت وارتعبت.

(رَوعي): الروع: القلب. (وَالتَّظَنِّي): اعمال الظن في ما لا ينبغي التوهم. (هَجْرٍ): الهُجر: القبح في الكلام، الإفحاش في النطق. (وَإغْراقاً): الإغراق: الانحراف، المبالغة. (مُطيقٌ): قادر، مستطيع. (القَبْضِ مِنِّي): الأخذ بيدي، أو إمساكي عن الظلم. (وُسْعي): غناي.

(وُجْدي): قدرتي وظفري. (وَفَدْتُ): قدمت. (تَجاوُزِكَ): تتجاوز عني. (المُثْلى): أفضل الطرق وهو الإسلام والإيمان. (مِلَّتِكَ): دينك. (بِالاقْتِصادِ): وهو اتخاذ الطريقة المثلى بالتدبير. (أهْلِ السَّدادِ): أهل الصواب من القول والعمل. (أدِلَّةِ الرَّشادِ): الدالين الناس إلى الهدى والصلاح. (وَسَلامَةَ المِرْصادِ): المرصاد؛ الطريق أو المكان الذي يرصد فيه العدو، وسلامة المرصاد هنا تعني السلامة عند مراقبة الأعمال. (عُدَّتي): أي ما أعددته من فضلك ودفاعك عني، أوما أعددته لحوادث الدهر الأيام، ذخري. (مُنْتَجَعي): المنتجع: الموضع

الذي يطلبه الناس في طلب الكلأ، والمقصود بها هنا أي أنت أملي من الخير والعطية.

(كَرِثْتُ): اشتد بي الغم وبلغت بي المشقة، أصابتني كارثة. (بِالجِدَةِ): الجدة: الغنى. (مَؤُنَةَ): المؤنة: التعب والشدّة. (مَعَرَّة): المعرَّة: الأذى والإساءة. (وَادْرَأ): ادفع عني المكاره. (وَاغْذُني): أعطني الغذاء. (وَأظِلَّنِي في ذَرَاكَ): احمني في حرزك وسترك وحصنك.

(وَجَلِّلْني رِضاكَ): اشملني برضاك. (اشْتَكَلَتْ): لم أعد أعرف خيرها من شرها. (وَسُمْني): أولني، اجعل حسن الولاية سمتي وعلامتي. (وَلا تَفْتِنِّي): لا تمتحني. (الدِّعَةِ): الخفض والسعة في العيش، الراحة والهناء. (مَلَكَتي): ما أملكه. (إصْرَ): الإصر: الحمل الثقيل، الشدّة والثقل. (بِاليَسارِ): اليسر، أو الغنى. (جاهي): وجاهتي. (بِالإقْتارِ): بأن تقتر وتضيق علي الرزق، أو لا تجعلني أفقد جاهي بسبب الفقر. (فَأفْتَتَنَ): أي ابتلى بشكره وقد قبح عمله. (زَهادَةٍ): أي وفر لي وقتاً أتفرغ فيه لعبادتك. (وَوَرَعاً في إجْمالٍ): الورع عن الشبهات بدون الإسراف في الورع كما أهل الوسوسة. (سُبُلي): طرقي. (أيّامَ المُهْلَةِ): أيام الدنيا الباقية، الوقت والفراغ فيها. (سَبيلاً): طريقاً. (وَقِني): أي احمني وادفع عني.

الشرح:

الدرجة الأكمل من الإيمان:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَبَلِّغْ بِإيماني أَكْمَلَ الإيمانِ) أي: أوصل إيماني واجعله يرتقي ويبلغ إلى الدرجة الأخيرة من الإيمان، بحيث يعمل حامله بموجب إيمانه، ويؤثره على ميوله وأهوائه ويتجشم الصعاب من أجله لا لشيء إلاّ طاعة لأمر اللّه تعالى ليكون من أصحاب الجنَّة قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾[1] (وَاجْعَلْ يَقيني بالأصول (أَفْضَلَ اليَقينِ) وهو العلم بالشيء كما هو في واقعه، ولا يحتمل النقيض بحال تماماً كيقين الإمام أمير المؤمنين الذي قال: «**لَوْ كُشِفَ لي الْغِطاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقيناً**»، ويقين الذين وصفهم بقوله: «**فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فيها مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ**» (وَانْتَه بِنِيَّتي إلى أَحْسَنِ النِيّاتِ، وَبِعَمَلي إلى أَحْسَنِ الأَعْمالِ) النية مصدر العمل ومفتاحه، وبها يقاس، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر لحديث «**إنما الأعمال بالنيات إنما لكل امرىء ما نوى**» أما حسن النية فالمراد به أن تكون خالصة لوجه اللّه وحده، بعيدة عن شائبة الرياء غير

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

متطلعة إلى جزاء أو ثناء تماماً كما قال سبحانه حكاية عن الأبرار والآل الأطهار عليهم السلام: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]. وفقرات الدعاء تعني أن أي مستوى من الإيمان أو اليقين أو النية الحسنة والعمل الصالح، لا يشكل نهاية ولا حداً أخيراً، وإنما يبقى أفق الكمال والتقدم مفتوحاً أمام الإنسان، لتحقيق الأحسن والأكمل والأفضل.

إخلاص النية وصحة اليقين:

(اللّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتي) التوفير: التكثير، والمراد به هنا التمام والكمال من كل الوجوه. من جهة حب الخير لكل الناس، وجهة السلامة من الحقد والحسد والتضحية بكل نفيس في نصرة الحق ومقاومة الباطل وأهله... وغير ذلك من السير على صراط الخير والحق والإخلاص (وَصَحِّحْ بِما عِنْدَكَ) أي: بالآخرة (يَقيني) حتى يكون يقيناً صحيحاً بالجنة والنار وسائر الأمور، كعلم الإنسان بحلال الله وحرامه وأن يبتعد عن الخطأ فيهما (وَاسْتَصْلِحْ) أي: أصلِح (بِقُدْرَتِكَ ما فَسَدَ مِنّي) فساداً في العقيدة أو فساداً في العمل أو ما أشبه ذلك ، فالمؤمن يحذر من أن تتسلل إلى قلبه نية تفسد عمله، فيخسر الثواب الأخروي، فأسألك الهداية والتوفيق لما فيه صلاح دنياي وآخرتي.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

طلب الأخلاق الفاضلة الرفيعة:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِني ما يَشْغَلُني الاهْتِمامُ بِهِ) كأمور المعاش وما أشبه، وذلك حتى لا أشتغل بهذه الأمور فلا أتمكن من أداء حقك والقيام بأمرك، وحتى أكون كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] (وَاسْتَعْمِلْني بِما تَسْأَلُني غَداً عَنْهُ) أي: وفقني لأن أعمل بالطاعة التي تسأل في يوم القيامة عنها هل أديتها أو لا؟ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[2]، فالمولى تعالى لايسأل غداً ويحاسب إلا على فعل الحرام وترك الواجب، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3] يدل بظاهره على العموم والشمول لكل خاطر ومنظور ومسموع حتى ولو كان مباحا، ومثله في العموم حديث «**يسأل المرء غداً عن عمره فيما أفناه، وجسمه فيما أبلاه، وماله مما اكتسبه وفيما أنفقه**».

وتوضيح ذلك: أن المسؤول هنا هو العاصي والمطيع والهدف من السؤال الثواب والعقاب، ولا طاعة ومعصية إلا مع الواجب

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

والحرام، وعليه يكون المراد بالآية والحديث وغيرهما من النصوص، خصوص الأفعال التي بها يستحق الثواب أو العقاب ومهما يكن فعلينا أن ننتفع بهذه الحكمة البالغة فلا نتجشم البحث عن أشياء لانسأل عنها غداً، ولا تمت إلى الحياة بسبب، كالبحث والسؤال عن طول آدم وقصره ووزنه، وعن نوع الشجرة التى أكل منها ومكان الجنة التى كان فيها، والأرض التى هبط عليها، وعن خلق الملائكة والجن، ولون عصا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وطول نخلة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... وما إلى ذلك من مضغ الكلمات ومضيعة الأوقات[1]. (وَاسْتَفْرِغْ أيّامي) أي: اجعلها فارغة عن الأمور غير النافعة (فيما خَلَقْتَني لَهُ) بأن أنصرف إلى العبادة التي أمرت بها قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] (وَأَغْنِني) بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، حتى لا أحتاج إلى الناس (وَأَوْسِعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ) وسبّب لي رزقاً من قبلك، حتى أتمكن من تناول الرزق، إنّك على كلّ شيء قدير، إذ قد يكون الإنسان غنياً لكنه ضيق الرزق (وَلا تَفْتِنّي بِالبَطَرِ) إلى ما في أيدي الناس، فإن الإنسان يفتتن بعدم الرضا بما قسم الله له إذا نظر إلى ما في أيدي الناس، ويحتمل أن

---

(١) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

يكون المراد أن يكون رزقه سبحانه نظراً واستدراجاً وإن كانت النسخة (بالبطر) كان المعنى الطغيان بالنعمة وصرفها في غير وجهها (وَأعِزَّني) أي: اجعلني عزيزاً (وَلا تَبْتَلِيَنِي بِالكِبْرِ) أي: بالتكبر فإن مَن صار عزيزاً يتكبر غالباً قال تعالى لهم: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[1] (وَعَبِّدْني لَكَ) أي: وفقني لعبادتك (وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْبِ) والعجب: أن يفرح الإنسان بعمله ويظن أنه أتى بما طلب منه، وهذا موجب لفساد العبادة وعدم قبولها لديه سبحانه، وقد نهت الشريعة عنه، وحذّرت منه. قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[2]. (وَأَجْرِ لِلنّاسِ عَلى يَدَيَ الخَيْرَ وَلا تَمْحَقْهُ) أي: تبطله (بِالمَنِّ) بأن أمن عليهم فإن المنّة تفسد عمل الخير كما قال سبحانه: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[3]، وبتعبير آخر: كل عاقل يود بفطرته أن يكون محسناً لا مسيئا، وهل من شيء أعظم من صنع الخير للناس، وأن يجري على يدك خلاص المكروبين من المصائب والشدائد؟ قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿... وَمَنۡ أَحۡيَاهَا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٧.

﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[1]. وجاء في الروايات: «**أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة... اصنع المعروف إلى أهله وغير أهله، فان لم يكن من أهله فكن أنت من أهله**». (وَهَبْ لي مَعالِيَ الأَخْلاقِ) أي: الأخلاق الفاضلة الرفيعة أنَّ حياة الإنسانيه لا تستقيم وتنسجم، وشرورها لاتنتهي وتتحسم إلا برعاية أبرز القيم الأخلاقية من الحق والعدل والمساواة... لقد بلغ العلم العملي والتقدم المادي الغاية والنهاية، فهل ربحت الانسانية شيئًا من هذا التقدم؟ كلا، العكس هو الصحيح، فأين القيادة الصالحة و العدالة الاجتماعية والسلام والرفق بالإنسان؟ وأين الرخاء والحب والإخاء؟ أبدا لا شيء سوى الموت والاذلال والحرمان وتشريد الشعوب وتكثير الأرامل والأيتام! (وَاعْصِمْني مِنَ الفَخْرِ) حتى لا أفتخر على الناس بأني صاحب أخلاق حسنة، وأبلغ ما قيل فيمن يفخر ما جاء في نهج البلاغة: «**ما لابن آدم والفخر؟ أوله نطفة وآخره جيفة لايرزق نفسه ولايدفع حتفه... تولمه البقة، و تقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

حتى لا أترفّع وأتكبر:

بعد ما قال الإمام عليه السلام: «**هب لي معالي الأخلاق**» ضرب مثلاً من هذه المكارم والمعالي بأسلوب الدعاء وقال: (اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَلا تَرْفَعْني في النّاسِ دَرَجَةً) بأن أكون رفيعاً عندهم وفي نظرهم (إلاّ حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها) بأن أزداد تواضعاً بقدر الرفعة، حتى لا أترفّع وأتكبر (وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً) عند الناس (إلاّ أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي) حتى أرى نفسي ذليلاً أمام عظمتك لا أملك شيئاً (بِقَدَرِها) أي: بقدر تلك العزة التي أحدثتها لي عند الناس، فالطاعة لله سبحانه تدخل الإنسان في دائرة العزّة والعكس بالعكس، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته**»[1].

طلب الهداية والنية الصافية والطاعة الدائمة:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْني بِهُدىً صالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ) أي: زدني من هداك ما أصلح به أمر آخرتي ودنياي، لا أتخذ بدلاً دونه (وَطَريقَةِ حَقٍّ لا أَزيغُ عَنْها) أي: لا أنحرف

(١) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٩٢.

(عَنْها) إلى طرق الباطل، بل أثبت عليها، وأضحي في سبيلها بكل غال وعزيز (وَنِيَّةِ رُشْدٍ لا أشُكُّ فيها) أي: ومتعني بنية صافية خالصة من شائبة الشك والارتياب (وَعَمِّرْني ما كانَ عُمْري) أي: ما دام عمري (بِذْلَةً) أي: مبذولاً (في طاعَتِك) وعبادتك، ويوموء هذا إلى أنَّ الإمام عليه السلام لاينظر إلى الحياة من حيث هي نظرة المتشائم أو المتفائل، بل يقيس حياة الإنسان الفرد بأعماله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وفي الحديث: «**ينقطع أجر الميت من الدنيا إلا بثلاث خصال: كتاب ينتفع به، أو ولد صالح يستغفر له، أو صدقة جارية**». والصدقة الجارية تشمل كل ما فيه للناس خير وصلاح بجهة من الجهات كشق الطرقات وحفر الآبار والأنهار والمستشفيات ومصانع الكساء والغذاء. (فَإذا كانَ عُمْري مَرْتَعاً لِلشَّيْطانِ) المرتع: محل رعي البهائم، شبّه به العمر الذي ينقضي بالعصيان كأنه مرتع للشيطان يأخذ منه ما يشاء كما تلتهم البهيمة من المرتع ما تشاء من الأعشاب (فَاقْبِضْني إليك) بإماتتي (قَبْلَ أنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ) أي: غضبك (إليَّ) بأن يتقدم المقت على الموت (أوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ) فلا أكون قابلاً للعفو والمغفرة لاستحكام الغضب.

طلب كرائم الأخلاق:

(اللّهُمَّ لا تَدَعْ خِصْلَةً تُعابُ مِنّي) أي: صفة تكون موجبة

لعيبي (إلاّ أَصْلَحْتَها) بأن وفقتني لإصلاحها (وَلا عآئِبَةً) أي: صفة توجب عيبي (أُؤَنَّبُ بِها) أي: أوبخ بسبب تلك العائبة (إلاّ حَسَّنْتَها) بإزالة تلك العائبة (وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ ناقِصَةً)، الأكرومة من الكرم كأُعجوبة من العجب، والمراد بها: كرائم الأخلاق (إلاّ أتْمَمْتَها) بتوفيقي أن أتصف بها. ملاحظة: كل خصال الإمام عليه السلام وصفاته عالية زاكية، لا عيب فيها ولا ريب، ولكن نفسه الكبيرة ترى الكثير من خيرها وفيضها قليلاً وحقيراً.

طلب رفع البغض والظلم والعقوق:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؛ وَأَبْدِلْني مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَآنِ) الشنآن: البغض، أي: الذين يبغضونني ولا يحبونني، أجل يا رب بدل بغضهم (المَحَبَّةِ) حتى يحبوني، الحب فضيلة، بل أصل الفضائل لأنه المنهج المرسوم لعلاقة الإنسان بخالقه وبأخيه الإنسان، ومعنى حب العبد لله سبحانه أن يحب ما أحب الله، ويبغض ما أبغض، ولايخاف فيه لومة لائم. وفي الأشعار: «**أن المحب لمن يحب مطيع**». ولا معنى لحب الناس بعضهم بعضاً إلا الإخوة و المساواة والتكافل والتضامن، وبه تستقيم الحياة، ويعيش الفرد والجماعة في دعة وأمان. وفي الحديث الشريف: «**لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تحابوا... الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن لعياله**» (وَمِنْ حَسَدِ

أَهْلِ البَغْيِ) أي: الظلم (المَوَدَّةَ) بأن يحبوني عوض حسدهم، يطلب الإمام عليه السلام من الله سبحانه أن يبدل بغض الحاسدين له بالمودة (وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاحِ) أي: سوء ظنهم بي فإن أهل الصلاح يسيئون الظن بالإنسان (الثِّقَةَ) بأن أكون موثوقاً لديهم يحسنون بي الظن (وَمِنْ عَداوَةِ الأَدْنَيْنِ) جمع أدنى وهم السفلة من الدون (الوَلايَةَ) أي: يتولونني ويحبونني (وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحامِ) وعقوقهم قطعهم معي وكرههم لي (المَبَرَّةَ) أي: البر، بأن يبروني ولا يقاطعونني (وَمِنْ خِذلانِ الأَقْرَبِينَ) جمع أقرب، والظاهر أن المراد به: كل من قرب إلى الإنسان بالصداقة سواء كان رحماً أم لا، وخذلانهم تركهم للإنسان وعدم نصرتهم له (النُّصْرَةَ) بأن ينصرونني (وَمِنْ حُبِّ المُدارِينَ) من المداراة بمعنى الملاطفة والملاينة بدون أن يكون ذلك منبعثاً عن صميم القلب (تَصْحيحَ المِقَةِ) أي: المحبة، بأن يحبوني حباً صحيحاً، فما تقدم يشير إلى أنَّ الإمام عليه السلام يطلب من الله سبحانه أن يبدل بغض الحاسدين له بالمودة، وتهمة الصالحين له بالثقة به، وعداوة القرابة بالحب، وعقوق الأولاد بالطاعة، وخذلان الأقربين بالمناصرة، وحب المداراة بحب الموالاة والخوف بالأمن (وَمِنْ رَدِّ المُلابِسينَ) أي: المخالطين للإنسان (كَرَمَ العِشْرَةِ) أي: حسن المعاشرة، والمراد بردّهم إهانتهم لي فمعناه أبدلني سوء

معاشرة من يخالطني ويجالسني بحسن عشرته لأن معنى الرد عدم القبول، ومعنى الملابسين المخالطين والمعاشرين (وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظّالِمينَ) فإن للخوف مرارة على النفس (حَلاوَةَ الأَمَنَةِ) هي: بمعنى الأمن.

ضع مع الدعاء شيئاً من القطران «**وقد تسأل: الظاهر من كلام الإمام** عليه السلام **أن الدعاء وحده كاف واف لايجاد المعدوم وخلقه أو تحويل الضد الموجود إلى ضده دون أن يقوم الداعي بأية حركة علماً بأنَّ النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **قال لصاحب الناقة: اعقلها وتوكل، وأن علياً** عليه السلام **قال لمن يداوي ناقته الجرباء بالدعاء فقط: ضع مع الدعاء شيئا من القطران، وقال سبحانه:** ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

الجواب: أن حديث «**اعقلها وتوكل**» يأمر الأعرابي بشيئين: الأوّل: أن يربط الناقة كيلا تتحرك. والثاني: أن يتوكل على الله في أمر بقائها معقولة. وهذا هو بالذات ما فعله الإمام، فقد روى الرواة في سيرته وفضائله أنه كان يدرأ السيئة بالحسنة، أما دعاؤه هذا فهو تعبير عن التوكل على الله في كف شر كل ذي شر»[2].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٢) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

طلب الظفر على العدو:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لي يَداً عَلى مَنْ ظَلَمَني) أي: قوَّة أتمكن بها من دفع ظلمه، وظيفة المظلوم أن يلتمس العلة لردع الظلم عنه، فإن خذلته الوسائل السلمية واستطاع قتل الظالم فعل، ولا شيء عليه، فقد جاء في كتاب الوسائل باب الجهاد: أن رجلاً قال للإمام الباقر عليه السلام: اللص يدخل على بيتي يريد نفسي ومالي؟ فقال الإمام عليه السلام: اقتله... فأشهد الله ومن سمع أنَّ دمه في عنقي. وعن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: من قتل دون عقال من ماله فهو شهيد. وما من شك أن الساكت عن ظالمه وهو قادر على مقاومته فقد ظلم نفسه، وما ربك بظلام للعبيد. وأخيراً لو علم الظالم أن المظلوم يستميت دون حقه لتحاماه.

(وَلِساناً عَلى مَنْ خاصَمَني) حتى أتمكن من رد اعتداءاته اللسانية (وَظَفَراً بِمَنْ عانَدَني) المعاندة: المعاداة، أي: اجعل لي الظفر على عدوي (وَهَبْ لي مَكْراً) أي: معرفة بكيفية العلاج (عَلى مَنْ كايَدَني) أي: يكيدني، أي على من أضمر لي المكر والخداع، ومجمل المعنى هب لي قوّة أبطل بها مكر الماكرين وكيد الشياطين، قال سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ

﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1]، أي أنَّ اللّه سبحانه أبطل مكرهم، وعاقبهم عليه عقاب الماكرين (وَقُدْرَةً عَلى مَنَ اضْطَهَدَني) الاضطهاد: الظلم، أي: اجعل لي قدرة أتمكن بها من رد الظلم (وَتَكْذيباً لِمنْ قَصَبَني) أي: عابني كذبا وافتراء بأن أقدر على تكذيبه (وَسَلامَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَني) أي: وعدني بالسوء، حتى أسلم منه (وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني) أي: هداني وأرشدني إلى الخير والصلاح (وَمُتابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَني) أي: دلني على طريق الرشاد والصلاح.

التوفيق للنصح والبذل والصلة لمن عاكسني:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَسَدِّدْني) أي: وفقني (لأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ) أقابل وأكافىء بالخير من أراد بي سوءاً، بأن أنصحه عوض أن غشَّني، ولا يخفى أن هذه الخصلة وما تليها من أفضل مكارم الأخلاق وأصعبها، وكل ما ذكر الإمام السجاد عليه السلام وعدّد في دعائه هذا من مكارم الاخلاق ومعاليها، فقد مارسه بالفعل طول حياته، وحرص عليه حرصه على صومه وصلاته، ولايختلف في ذلك اثنان من الذين عاصروا وذكروا هذا الهادي المهدي في رواية أو كتاب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

(وَأجْزِيَ مَنْ هَجَرَني) وقطعني (بِالبِرِّ) بأن أبرّه ولا أقطع عنه برّي، كان الإمام السجاد عليه السلام يطوف بالليل متنكرا على بيوت الفقراء، يوزع عليهم الدراهم والدنانير، ومن بينهم ابن عم له، وكان إذا أعطاه يأخذ المال ويقول: ابن عمي علي بن الحسين لا يواصلني، فلا جزاه الله عني خيرا، فيتحمل الإمام عليه السلام ولايعرّفه بنفسه، واستمر الإمام في العطاء، واستمر هو على هذا الدعاء حتى انتقل الإمام إلى الرفيق الأعلى وانقطعت الصلة، فعندها عرف المصدر (وَأُثيبَ مَنْ حَرَمَني بِالبَذْلِ) بأن أعطي ثواب الحرمان وجزاءه، بأن أبذل لذاك الإنسان، كان هشام بن إسماعيل والياً على المدينة في عهد الإمام عليه السلام وكان أشد الناس قسوة على زين العباد وأهله حتى قاسوا منه ألواناً من الأذى والتنكيل، ولما عزله الوليد بن عبد الملك أوقفه الناس، وأتاح لكل من ظلمه وأساء إليه أن يقتص منه كيف شاء، فقال هشام: لا أخاف إلا من علي بن الحسين لعلمه بما صنعت يداه، ولما مر به الإمام عليه السلام سلم عليه، وقال: طب نفساً منا ومن كل من يطيعنا، فان أعجزك المال لتذب به عن نفسك فعندنا منه ما يسعفك ويسعدك. فقال هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

(وَأُكافِيَ مَنْ قَطَعَني) وابتعد عني (بِالصِّلَةِ) أي: بأن أصله وأقترب إليه (وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إلى حُسْنِ الذِّكْرِ) بأن

أذكره بالذكر الحسن في مقابل اغتيابه لي، وقف على علي بن الحسين عليه السلام رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلمّا انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردّي عليه. فقالوا له: نفعل، ولقد كنا نحب أن يقول له ويقول. فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً. قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل، فصرخ به، فقال: قولوا له هذا علي بن الحسين. قال: فخرج متوثباً للشر، وهو لا يشكّ أنّه إنما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه. فقال له علي بن الحسين: يا أخي إنّك وقفت عليّ آنفاً وقلت وقلت فإن كنت قلت ما في فأستغفر اللّه منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر اللّه لك. قال: فقبّل الرجل بين عينيه، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به[1]. (وَأَنْ أَشْكُرَ الحَسَنَةَ) التي يحسن بها إلي أحد (وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ) الإغضاء: الإغماض، والسيئة الشيء السيئ الذي يأتي الناس به تجاه الإنسان، أجزي من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالغفران.

زينة الصالحين والمتقين من ترك الغضب والعداوة والفرقة والعيب...:

---

(١) البحار: ج٢ ، ص١٩.

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَحَلِّني بِحُلْيَة الصّالِحينَ) أي: زيِّني بزينتهم (وَأَلْبِسْني زينَةَ المُتَّقينَ) أي: أهل التقوى والخوف من اللّه تعالى (في بسط العدل) هذا تفسير للحلية والزينة، والمراد: أن أعدل بين الناس جميعاً (وَكَظْمِ الغَيْظِ،) فإذا غضبت أكظم غضبي وأُخفيه (وَإِطْفاءِ النائِرَةِ) النائرة: العداوة الواقعة بين الناس، وإطفاؤها: إخمادها حتى تذهب وتصفو القلوب، كانت بعض جواريه تهيِّىء له ماء وضوئه، فسقط الإبريق من يدها على وجه الإمام و أدماه، ولما نظر إليها قالت: والكاظمين الغيظ. قال: كتمت غيظي. قالت: والعافين عن الناس. قال: عفوت عنك. قالت: واللّه يحب المحسنين. قال: اذهبي أنت حرة لوجه اللّه. (وَضَمِّ أهل الفُرْقَةِ) الذين تفرق بعضهم عن بعض، بأن أجمعهم وأضم بعضهم إلى بعض (وَإِصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ) بأن أصلح بين الناس، وذات بمعنى الصفة، كأن بينهم صفة سيئة فأصلحها، لقد كرم اللّه سبحانه بني آدم، وضمن لهم دوام الكرامه بشرط أن لايتنازعوا ويتصارعوا كما نص القرآن الكريم حيث قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

﴿فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]، ولكنهم رفضوا هذا الشرط، وأبوا إلا الصراع والنزاع، فقتل قابيل أخاه هابيل، واستمر الاقتتال من يومهما إلى اليوم وحتى اليوم الأخير، وصدقت نبوءة الملائكة حيث: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[٢] والإمام يسأل الله سبحانه العون على إصلاح ذات البين، عسى أن يخفف من حدة القتل والقتال.

(وَإفْشاءِ العارِفَةِ) أي: إكثار المعروف، وعارفة بمعنى الصفة المعروفة، مقابل المنكر (وَسَتْرِ العائِبَةِ) بأن أستر الصفة الموجبة للعيب، ولا أظهرها، كما هي عادة العيابين للناس. يهتم علماء الطبيعة بالكشف عن كنوزها وأسرارها، وعلماء النفس بملكاتها وغرائزها، ويبحث الفقهاء عن حلال الله وحرامه... وهكذا كل فرد من العلماء وغيرهم يبحث وينقب عمّا يتصل بحقله وما هو من أهله. وأيضا هكذا اللئيم الخبيث يحصر نشاطه ويكرس جهده للكشف عن عيوب الناس وعوراتهم، فإن رأى سيئة طار بها فرحا، وأشاع وأعلن، وإن رأى حسنة كتم ودفن... على العكس من الطيب الفاضل حيث يتجاهل السيئات، و يعلن الحسنات كما قال الإمام عليه السلام. وفي الأشعار:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

من تكـن نفسه بغيـر جمال لايرى في الوجود شيئاً جميلا

(وَلينِ العَريكَةِ) بمعنى الطبيعة مقابل الطبيعة الخشنة والأخلاق السيئة (وَخَفْضِ الجَناحِ) كما يخفض الطائر جناحه لأمه، وهو كناية عن الرفق والتواضع (وَحُسْنِ السِّيرَةِ) السيرة: السلوك والطريقة التي يسير عليها الإنسان (وَسُكُونِ الرِّيحِ) كأن الإنسان ذا الخلق السيئ والحيرة تهب أرياحه الشديدة، أما حسن الخلق اللين فهو ساكن الريح لا يؤذي الناس وهو الوقار (وَطيبِ المُخالَقَةِ) أي: حسن التخلق في المعاشرة (وَالسَّبْقِ إلى الفَضيلَةِ) بأن أسبق سائر الناس إلى اقتناء الفضائل من فعل الواجبات والمستحبات وترك الشبهات والمحرمات (وَإيثارِ التَّفَضُّلِ) أي: الذي تفضل الله علي، أُوثر غيري به، بأن أقدم الناس، وبتعبيرآخر التفضل: العطاء ابتداء لا جزاء ومثله الإفضال على غير المستحق.

(وَتَرْكِ التَّعْييرِ) عيره بفعله: قبّح فعله وأعابه به، والمعنى:أن لا أُعيّر الناس بما هم فيه من مذام الصفات أو ما أشبه، وما من شك أن التعيير بالذنب ذنب، لأنه تزكية للنفس ورضى عنها، ولقول الرسول الأعظم ﷺ: «**من أذاع فاحشة كان كمبتدئها- أي فاعلها- ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه**». وفي نهج البلاغة: «**لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِه فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ**

وَلا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ»[1] (والإفْضالِ عَلى غَيْرِ المُسْتَحِقِّ) الذي لا يستحق الفضل، وقد ورد: اصنع الخير فإن كان الآخذ من أهله فهو من أهله وإن لم يكن من أهله فأنت لذلك أهل، وقيل: إن الجملة عطف على التعيير، أي: ترك الإفضال على غير المستحق، لما ورد من أن المعروف يجب أن يكون في موضعه (وَالقَوْلِ بِالحَقِّ) أي: أن أقول الحق (وَإنْ عَزَّ) وقلّ الحق، والقائل به، عندما دعا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام كان أهل الأرض بكاملهم على غير دينه، ومن هنا قالوا له: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2] وكل المصلحين والمحقين مجانين عند أهل الجهل والضلال (وَاسْتِقْلالِ الخَيْرِ) أي: أرى الخير الذي صدر مني قليلاً (وَإنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِّ وَإنْ قَلَّ مِنْ قَوْلي وَفِعْلي) فإن من العجب أن يرى الإنسان قوله وفعله الذين صدرا منه جهة الخير، كثيراً، «**إن ابليس تعرض لموسى** عليه السلام **في الساعة التي كان يناجي فيها ربه، فقال له أحد الملائكة: ويحك ماذا ترجو منه وهو على هذه الحال؟ قال: ما رجوت من أبيه وهو في الجنة**»[3]. والقصد من هذا المثال التحذير من ألاعيب الشيطان وأنه لاييأس من الزهّاد والعبّاد،

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١٣، ص٣٢٨.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٦.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

بل يحاول أن يخرجهم عن حد الإيمان والاعتدال إلى التطرف والغرور، فيريهم الخير القليل من أعمالهم كثيراً، والشر الكثير منها قليلا! وما من شك أن الغرور يجعل الحسنات سيئات. وفي الحديث الشريف: «**من رأى أنه مسيء فهو محسن**» وفي معناه قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اَللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ**»[1] لأن الإعجاب بالحسنة يجر إلى السيئات، وكراهية السيئة يبعث على فعل الحسنات. (وَأَكْمِلْ ذلِكَ) الذي ذكرت وطلبت من الصفات الفاضلة (لي بِدَوامِ الطّاعَةِ) بأن أطيعك إطاعة دائمة، وهي الانقياد لأمر الله تعالى ونهيه، وتدوم هذه الطاعة وتكمل بلجام النفس عن معاصي الله سبحانه (وَلُزُومِ الجَماعَةِ) أي: جماعة أهل الإيمان، بأن لا أشذ عنهم، المراد بهذا اللزوم عدم الخروج على جمع الشمل ووحدة الكلمة، وضرورة التعاون مع الجميع على المصلحة العامة، ومن شق العصا بقصد الفتنة والتفرقة فقد برىء الإسلام منه لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من خرج قيد شبر عن الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه، ومات ميتة جاهلية**»[2]. (وَرَفْضِ أَهْلِ البِدَعِ) جمع بدعة بكسر الباء بمعنى الإحداث في الدين من غير

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ج١٨، ص١٧٥.

(٢) عوالي اللآلي: ج١، ص٢٨٢.

دليل، والمطلوب أن أتركهم ولا أكون معهم (وَمُسْتَعْمِلي الرَّأيِ المُخْتَرَعِ) بأن أرفض من له آراء مخترعة جديدة لا تمت إلى الدين بصلة.

طلب الرزق والنشاط والرضوان:

(اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذا كَبُرْتُ) فإن الإنسان إذا كبر يعجز عن طلب الرزق ويحتاج إلى الزيادة فيه ليقوم بجميع شؤونه (وَأقْوى قُوَّتِكَ فِيَّ إذا نَصِبْتُ) من النصب بمعنى التعب، ومعنى ذلك النشاط النفسي، حتى يكون التعب البدني زائلاً بسببه ولا أتوقف عن العمل، وتجدر الإشارة إلى أن قوة الله سبحانه على نسق واحد كماً وكيفاً لا شيء منها أقوى من شيء سواء تعلقت بخلق الكون أم البعوضة، وعليه يكون المعنى: ادخر القسم الأوفى مما كتبت لي عندك من القوّة إلى يوم عجزي وإعيائي. (وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبادَتِكَ) بأن لا أكسل عن العبادة والطاعة، كما هو الغالب في الناس، ولا سبب موجب للتواني والتثاقل عن عبادة الله إلا ضعف العقيدة. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إيّاك والكسل والضجر، فإنَّهما مفتاح كل شر، وإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت**

لم تصبر على حق»[1]. (وَلا العَمى عَنْ سَبيلِكَ) بأن أرى الطريق الموصل إلى رضوانك، لا كأهل الضلال الذي لا يرون طريق الحق، والعمى المقصود هنا ترك الحق والانحراف عنه جهلاً أو ضلالا، وسبيل الله صراطه إلى دينه وشريعته (وَلا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلافِ مَحَبَّتِكَ) بأن أتعرض بالإتيان ما يخالف أمرك، من المناهي، ولاتبتلني بالتهالك على الدنيا وحطامها.

(وَلا مُجامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ) لا بموالاة من عاداك، بأن أصادق الذين يخالفونك (وَلا مُفارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إليك) ولا معاداة من والاك، بأن أفارق الذين يوافقون أمرك.

(اللّهُمَّ اجْعَلْني أصُولُ بِكَ) أي: أهاجم الأعداء بسبب نصرك لي وعونك (عِنْدَ الضَّرُورَةِ) أي حين ما اضطر إلى المصاولة، بتعبير آخر، هب لي من لدنك إيماناً راسخاً ويقيناً صادقاً أعتصم به في ساعة العسرة من اللجوء إلى غيرك (وَأسْألُكَ عِنْدَ الحاجَةِ) بأن لا أحتاج إلى من سواك، ولا أسال سواك، لأنك أنت وحدك الفعال لما يريد (وَأتَضَرَّعُ إليك) الضراعة: التذلل والطلب (عِنْدَ المَسْكَنَةِ) أي: الفقر، ويسمى المسكين مسكيناً: لأن الفقر قد أسكنه عن حركات الأغنياء، والمعنى: اجعلني قوياً وقادراً حتى لا أتضرع وأخضع إلا لك (وَلا تَفْتِنِّي) أي: لا تبتليني

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٦، ص٤٤٦.

(بِالاسْتِعانَة بِغَيْرِك إذا اضْطُرِرْتُ) بأن أستعين بسواك، وذلك بأن لا يتلطف سبحانه بقضاء الحاجة حتى يحتاج الإنسان إلى سؤال سوى الله تعالى (ولا بِالخُضُوعِ لِسُؤالِ غَيْرِك) بأن أخضع لسؤال إنسان دونك (إذا افْتَقَرْتُ) واحتجت (وَلا بِالتَّضَرُّعِ إلى مَنْ دُونَكَ إذا رَهِبْتُ) أي: بأن أطلب من غيرك رفع خوفي، وذلك فيما إذا لم يعجل سبحانه رفع ما يخاف منه الإنسان (فَأَسْتَحِقَّ بِذلِكَ) الالتجاء إلى من سواك (خِذْلانَكَ) بأن تخذلني وتتركني وشأني لا تهتم بأمري (وَمَنْعَكَ) قضاء حاجتي (وَإعْراضَكَ) عني (يا أَرْحَمَ الرّاحمينَ).

(اللّهُمَّ اجْعَلْ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ في رَوعي) الروع: القلب (مِنَ التَّمَنِّي) للأشياء التي لا يليق التمني إياها (وَالتَّظَنِّي) أي: أن أعمل الظن فيما لا ينبغي، وأصل التظنن من الظن، ثم أُبدلت إحدى النونين ياءً (وَالحَسَدِ) للناس، والمعنى أسالك اللهمَّ أن تعصمني من الأهواء والأفكار السوداء ومن كل ما يوسوس به الشيطان، واجعل مكان ذلك (ذِكْراً لِعَظَمَتِك) بأن أذكرك دائماً، وذكر الله سبحانه حسن على كل حال سواء أكان القلب متجها إليه تعالى ومقبلا عليه أم مشغولاً عنه بغيره لإطلاق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1] وأحسن أنواع

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١ .

الذكر ترك المحرمات وفعل الخيرات (وَتَفَكُّراً في قُدْرَتِكَ) فإن التفكر في قدرته سبحانه من أفضل الطاعات، لأنه يؤدي حتماً إلى معرفة الخالق والإيمان بعظمته، قال سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[1] فقد ربط سبحانه الإيمان به وبحكمته، بالتأمل والتفكر. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «**تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا**»[2]. (وَتَدْبيراً عَلى عَدُوِّكَ) بأن أفكر وأدبر في كيفية قمع أعداء الدين، فكل من لايؤمن شره، ولايرجى خيره فهو عدو لله وللإنسانية، قال رسول الله ﷺ: شر الناس من تخاف الناس من شره[3]. ومعنى التدبير على عدو الله مقاومته والعمل على صده وردعه (وَ) اجعل يا رب (ما أَجْرى الشيطان، أي: يريد إجراءه (عَلى لِساني مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ) لفظه الفحش القبيح من القول، وهو ما ينفر الطبع عنه سواء كان سبّاً أم لا (أَوْ هَجْرٍ) هو السبّ الذي يوجب الهجران (أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ) العرض: ما يكون مورد اعتزاز الإنسان من أهل أو زوجة أو شرف أو ما أشبه. (أَوْ شَهادَةِ باطِلٍ) مخالف للحق، قال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) كنز العمال: ٥٧٠٥.

(٣) في ظلال نهج البلاغة: ج٣، ص١٦٦.

كِرَامًا ﴾[1] (أَوِ اغْتِيابِ مُؤْمِنٍ غائبٍ) والغيبة: ذكرك أخاك ما يكره، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[2]. (أَوْ سَبِّ) مؤمن (حاضِرٍ وَما أَشْبَهَ ذلِكَ) من نقائص الأقوال، والمعنى أسألك اللهمَّ أن تعصم لساني عن النطق بأي قبيح ومكروه، واجعل مكان ذلك (نُطْقاً بِالحَمْدِ لَكَ) بأن أحمدك في السرّاء والضرّاء (وَإِغْراقاً فِي الثَّناءِ عَلَيْكَ) الإغراق: المبالغة، أي: مبالغة وتكثراً في مدحك والإطناب والامعان في ذلك (وَذَهاباً) أي: ذهاباً قولياً، كقوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا ﴾[3] (في تَمْجيدِكَ) من المجد: بمعنى الرفعة (وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ) بأن أشكر نعمك التي تفضلت بها علي (وَاعْتِرافاً بِإِحْسانِكَ) إلي (وَإِحْصاءً لِمِنَنِكَ) جمع منّة: بمعنى النعمة الموجبة للإنسان.

لا تسلط عليّ مَن يظلمني:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه؛ وَلا أُظْلَمَنَّ) أي: لا يظلمني الناس (وَأَنْتَ مُطيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي) أي: لك قدرة بأن تدفع الظلم عني، لايريد الإمام عليه السلام بدعائه هذا أن يسكت المظلوم عن

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٦.

ظالمه، ويدع أمره إلى الله سبحانه، بل المراد أن لايسلط عليه من يظلمه ويمكنه من الاعتداء عليه (وَلا أُظْلِمَنَّ) لاتسلطني ظالماً على أحد (وَأَنْتَ القادِرُ عَلى القَبْضِ مِنِّي) بأن تأخذ بيدي حتى لا أتمكن من ظلم أحد (وَلا أَضِلَّنَّ) عن طريق الهداية، بل امنعني عن الظلم بالهداية منك والعناية. والدليل على إرادة هذا المعنى قوله بلا فاصل: (وَقَدْ أَمْكَنْتَكَ هدايَتي) فأنت قادر على أن تهديني إلى العدل وترك الظلم (وَلا أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعي) أي: غناي، وثروتي.

(وَلا أَطْغَيَنَّ) الطغيان على الناس بظلمهم (وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدي) وقدرتي، فلا تمكنني من الطغيان بعدم تهيئة أسبابه لي، وبتعبير آخر لاتجعلني بما أنعمت علي من السعة واليسار كالذي أشرت إليه بقولك: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1].

طلب العفو والمغفرة:

(اللّهُمَّ إلى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ) أي: جئت طالباً غفرانك، فإن الوفود إلى الشخص الذهاب إليه (وَإلى عَفْوِكَ قَصَدْتُ) أي: قصدت مريداً عفوك (وَإلى تَجاوُزِكَ اشْتَقْتُ) فإني مشتاق أن تتجاوز عني (وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ) أي: أنا مطمئن بأنك تتفضل علي،

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦ – ٧.

فالعفو والمغفرة والتجاوز كلمات معانيها متقاربة ومتشابكة، ومثلها وفدت وقصدت واشتقت، ومجمل المعنى لا شيء أحب إليّ من منك علي بالصفح والمسامحة علماً مني بأنه (لَيْسَ عِنْدي ما يُوجِبُ لي مَغْفِرَتَكَ) فإني لم أعمل عملاً أستحق بذلك غفرانك (وَلا في عَمَلي ما أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ) عن ذنوبي (وَما لي) أي: ليس لي شيء (بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلى نَفْسي) بالإساءة والظلم (إلاّ فَضْلُكَ) بأن تتفضل علي بالغفران والعفو.

التوفيق للنطق بالهداية وأطهر الطرق وأنماها:

(فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ؛ اللّهُمَّ) بالمغفرة مجاناً بدون أن أكون أستحق ذلك (وَأَنْطِقْني بِالهُدى): بأن يكون كلامي هداية للناس، أو يكون نطقي نطق الهادين، لا نطق الضالين بالجهل والضلال والهوى. وفي نهج البلاغة: «**اَللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ أي: جرح**»[1]. (وَأَلْهِمْني التَّقْوى) أي: أوقع في قلبي خوفك وتقواك وهي بمعنى العدالة وأصدق علامة تدل عليها أن تكبح هواك عن الحرام حيث لا أحد يراك إلا الله سبحانه (وَوَفِّقْني لِلَّتي هِيَ أَزْكى) أي: للطريقة التي هي أطهر الطرق وأنماها، وأقدس الاعمال و أنماها ما فيه مصلحة

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج٣١، ص٣٤٤.

الفرد أو الجماعة... أبدا لا هدف للدين إلا الإنسان وخيره وإسعاده والمساواة بين جميع أفراده في الحقوق والواجبات قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[1] ومعنى هذا أن كل ما فيه للناس خير وصلاح فهو من الإسلام في الصميم، وأيضا معنى هذا أن الإسلام لايرفض سائر الأديان والفلسفات والمذاهب جملة وتفصيلا، بل يرفض ما فيها من شر وضرر ويقر ما فيها من خير ونفع، ونجد هذا صريحاً واضحاً في العديد من الآيات بالإضافة إلى آية الخير السابقة، قوله سبحانه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[2] وقوله عزَّ وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3]. (وَاسْتَعْمِلْني بما هُوَ أَرْضى) أي: وفقني لأن أعمل بالأمر الذي هو أكثر رضاً لك (اللّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ المُثْلى) مؤنث أمثل: بمعنى الأحسن والأعدل، أي: وفقني لأن أسألك أحسن الطرق (وَاجْعَلْني عَلى مِلَّتِكَ) أي: طريقتك والملة: الدين (أَمُوتُ وَأَحْيا) حتى تكون حياتي وموتي كما تحب وترضى، والحياة عليه: الدوام والاستمرار على أداء فرائضه واجتناب محارمه حتى النفس الأخير. وفي نهج البلاغة: «**فَمَنِ**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ».

طلب الوسطية والسداد والرشاد والمعاد:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِالاقْتِصادِ) الاقتصاد: هو التوسط بين الإفراط والتفريط، من القصد بمعنى الوسط ومعنى متعني: وفقني لأن أتوسط في أموري كلها، اجعلني كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] والقوام: الوسط والاستقامة (وَاجْعَلْني مِنْ أَهْلِ السَّدادِ) أي: الاستحكام في الأمور ومن أهل الحق والصدق في القول والفعل (وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشادِ) أي: الذين يدلون الناس على ما يرشدهم (ومن صالحي العباد) غير الفاسدين منهم بل من السامعين المطيعين لأمرك ونهيك والداعين لدينك وصراطك (وَارْزُقْني فَوْزَ المَعادِ) بأن أفوز بالجنان والثواب في القيامة (وَسَلامَةَ المِرْصادِ) المرصاد: المحل الذي يجلس المراقب ليرصد الإنسان، والمقصود السلامة من جهنم حيث أطلق سبحانه كلمة مرصاد عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[2] ومعنى سلامته أن أكون سالماً منها بالنسبة إليه.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٢١.

طلب الصلاح والخلاص من الهلكة والمعاصي:

(اللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسي ما يُخَلِّصُها) بالاستيلاء بالبلايا الموجبة لمحو ذنوب الإنسان، أو الاشتغال بالطاعة، فإنه أخذ الله تعالى من نفس الإنسان، إذ تعرف النفس في الطاعة (وَأَبْقِ لِنَفْسي مِنْ نَفْسي ما يُصْلِحُها) من العافية والأسباب التي توجب صلاحها من النشاط وما أشبه. بعض الناس ينسى نصيبه من الدنيا، وينصرف بكله إلى العبادة صياماً وقياماً، ومن أقوال الصوفية أو شطحاتهم: «**تخلَ عن نفسك وتعال**»! وكيف يتخلى الإنسان عن معدته وغريزته؟ وفي المقابل يتعبد القسم الآخر للدنيا كل التعبد، ويوثرها على دينه وآخرته، والأول أفرط وافسد بطغيان آخرته على دنياه، والثاني قصّر وأضرّ بطغيان دنياه على آخرته! والإمام عليه السلام يقف موقفاً وسطاً بين هذين، ويقول بأسلوب الدعاء: إن خلاص النفس ونجاتها من غضب الله وعذابه، بفعل الواجبات وترك المحرمات وكفى. وهذا معنى قوله: «**خذ لنفسك من نفسي ما يخلّصها**» ومتى أدت النفس لله تعالى كل ما عليها، فلها أن تسرح وتفرح بزينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق كما نصت قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ

﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]. و بهذا نجد تفسير قوله: «**وابق لنفسي من نفسي ما يصلحها**» وفيه إيماء إلى أن النفس لاتصلح بالضغط والحرمان، ومن هنا جاء النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[2]. (فَإنَّ نَفْسي هالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَها) أي: إلاّ أن تحفظها عن الآثام والمعاصي، فمعناه أن التوازن والتعادل بين كفة العمل للآخرة وكفة العمل للدنيا صعب مستصعب إلا بحبل من اللّه تعالى وتوفيقه .

طلب الملجأ:

(اللّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتي إنْ حَزِنْتُ) أي: إن أحزنني أمر فإني قد أعددت فضلك ودفاعك عني فأنت المفزع والملجأ إن اشتدت الأزمات، وضاقت الحلقات (وَأَنْتَ مُنْتَجَعي) أي: محل أملي (إنْ حُرِمْتُ) أي: حرمني الناس عن الخيرات والعطايا (وَبِكَ اسْتِغاثَتي إنْ كَرِثْتُ) أي: إن اشتدت بي الهموم وثقلت علي المكاره فلا أستغيث إلا بك إن نزلت بي كارثة (وَعِنْدَكَ مِمّا فاتَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤ - ١٥ .

(٢) سورة القصص ، الآية: ٧٧ .

خَلَفٌ) بأن تعطيني عوض كل خير كان مني، أي إذا افتقد عبدك نعمه عوضته بغيرها ففي نهج البلاغة: «**فَكَمْ مِنْ مَنْقُوص رَابِح وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ**» (وَلِما فَسَدَ صَلاحٌ) بأن تصلح ما فسد مني فإنَّ لكل داءٍ دواءٍ إلا الحماقة والهرم حتى الأدمغة السوداء تداوى بعملية غسل الدماغ (وَفيما أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ) بأن تنكره مني، وذلك بهدايتي حتى لا أعمل بذلك المنكر، فأنت يا إلهي القادر بتوفيقك وهدايتك أن تغير ما تنكره مني من أفعالي إلى ما تحب وترضى. (فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ البلاءِ بِالعافِيَة) بأن تعافيني من موجبات البلاء، حتى لا ينزل عليّ البلاء (وَقَبْلَ الطَّلَبِ) أي قبل أن تطلب مني الشيء (بِالجِدَةِ) بأن أجده حتى إذا طلبت أعطيتك إياه، مثلاً قبل أن تطلب مني الصلاة في الآخرة، وفقني لأن أصلي وأكون واجداً للصلاة، وهكذا بالغنى، أي أغنني بخيرك عن غيرك كيلا اشتغل بطلب الرزق عن عبادتك (وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشادِ) أي: أرشدني قبل أن يخطفني الباطل فأُضل (وَاكْفِني مَؤُنَةَ مَعَرَّةِ العِبادِ) المؤنة: المشقة، والمعرَّة: العيب، أي: اكفني التي ترد علي من مكروهات الناس، أي: الأعمال المكروهة التي يفعلونها بالنسبة إليَّ من السب والإيذاء، وبتعبير آخر: ادفع المشقة والشدة التي تنالني من لغو الناس وعيبهم علي بالفقر ونحوه. (وَهَبْ لي أَمْنَ يَوْمِ المَعادِ) حتى أكون آمناً هناك لا خائفاً

من أهواله وأثقاله (وَامْنَحْني) أي: أعطني (حُسْنَ الإرْشادِ) أي: الإرشاد الحسن إلى الحق والصواب.

طلب السلامة من كل آفة وشدة:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَادْرَأ) أي: ادفع المكاره (عَنيّ بلُطْفِكَ) وإحسانك (وَاغْذُني بِنِعْمَتِكَ) أي: أعطني الغذاء، وفي روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام: غذانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم (وَأَصْلِحْني بِكَرَمِكَ) حتى لا أكون فاسداً (وَداوِني بِصُنْعِكَ) أي: داوني عن الأمراض الروحية وأعطني السلامة من كل آفة وشدة بحسن صنيعك بي (وَأظِلَّني في ذَرَاكَ) أي: اجعل ظلك علي، والمراد بالظل العطف والرحمة والعز والسلطان، وذرى بمعنى الحفظ والحرز والارتفاع، والمعنى احفظني بحفظك، واحرزني وامنع عني السوء بعزك وسلطانك (وَجَلِّلْني) أي اشملني (رِضاكَ) حتى يشملني رضاك شمولاً كاملاً (وَوَفِّقْني إذا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأمُورُ) التبست واشتبهت فلم أعرف خيرها من شرها (لأهْداها) أي: أحسنها في هدايتي ولأقربها إلى الحق والصواب (وَإذا تَشابَهَتِ الأعْمالُ) فلم يعرف حسنها من قبيحها (لأزْكاها) أي: أحسنها زكاة وطهارة (وَإذا تَناقَضَتِ المِلَلُ) جمع ملة، بأن كانت هناك ملل ومذاهب مختلفة ومتناقضة (لأرْضاها) لك حتى أتبعها لما فيها من الخير والرشد والصواب (اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْني بِالكِفايَةِ) بأن تكفيني أموري وما

يشغلني الاهتمام به، وتكون الكفاية كتاج على رأسي توجب عزي ورفعة رأسي (وَسُمْني) من وسم يسم بمعنى: علّمه بالعلامة (حُسْنَ الوِلايَةِ) أي: اجعل سيمائي وعلامتي أني حسن الولاية لك، أو حسن ولايتك ونصرتك لي (وَهَبْ لي صِدْقَ الهدايَةِ) أي: هداية صادقة ظاهري وباطني كلاهما عليها (وَلا تَفْتِنِّي) أي: لا تمتحني (بِالسِّعَةِ) فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى (وَامْنَحْني حُسْنَ الدِّعَةِ) الدعة: الخفض والسعة في العيش، أي: هب لي دعة حسنة (وَلا تَجْعَلْ عَيْشي كَدّاً كَدّاً) أي: شديداً شديداً جهداً وتعباً وشقاءً ووصباً (وَلا تَرُدَّ دُعائي عَلَيَّ رَدّاً) بأن لا تستجيبه غضباً علي (فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً) أي: مضاداً في ربوبيتك (وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً) أي: مثلاً لك، بل أعبدك وأدعوك وحدك لا شريك لك، آمنت بك، وبرئت ممن عبد سواك، وجزاءً لهذا، فاستجب دعواتي السابقة، ويفهم ذلك من [الفاء].

طلب الرزق وترك الإسراف:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَامْنَعْني؛ مِنَ السَّرَفِ) أي: الإسراف، بأن تهديني حتى لا أسرف بل اقتصد ولا أمارس التبذير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1]

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(وَحَصِّنْ) أي: احفظ (رِزْقِي مِنَ التَلَفِ) حتى لا يتلف وأحتاج إلى الناس (وَوَفِّرْ مَلَكَتِي) أي: ما أملكه (بِالبَرَكَةِ فيهِ) بأن تجعله مباركاً، وهو الدائم النامي، من بركت الإبل: إذا نامت وبقيت، وضمير [فيه] عائد إلى الرزق (وَأَصِبْ بي سَبيلَ الهِدايَةِ) أي: أرشدني إليها (لِلْبِرِّ) أي: لأعمال البر (فيما أُنْفِقُ مِنْهُ) حتى يكون إنفاقي من رزقي في الأمور البرية وفي موضعه لا في الجهات المحرمة، قيل للإمام علي عليه السلام: صِفْ لَنَا اَلْعَاقِلَ فَقَالَ عليه السلام: «**هُوَ اَلَّذِي يَضَعُ اَلشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ، فَقِيلَ فَصِفْ لَنَا اَلْجَاهِلَ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ**».

(اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَاكْفِني مَؤُونَةَ الاكْتِسابِ) حتى لا أشتغل بالكسب عن الأمور التي هي أفضل منه: كتعليم العلم والعبادة وما أشبه (وَارْزُقْني مِنْ غَيْرِ احْتِسابٍ) بأن لا تحاسبني على ما رزقتني حتى ابتلي يوم القيامة بالجواب ويطول وقوفي في المحشر، أو المراد: الرزق الكثير كأنه بلا حساب، اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]. (فَلا أَشْتَغِلَ عَنْ عِبادَتِكَ بِالطَّلَبِ) هذا تفريع على (واكفني) (وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعاتِ المَكْسَبِ) الأمر هو الحمل الثقيل، وتبعات المكسب آثامه المترتبة عليه. (اللّهُمَّ فَأَطْلِبْني) أي: أعط طلبتي (بِقُدْرَتِكَ ما

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

أَطْلُبُ) منك وأدعوك لأجله، وبتعبير آخر: كن معي في قدرتك وأنا أجلب الرزق، وأسعى إليه (وَأَجِرْني بعِزَّتِك مِمّا أَرْهَبُ) أي: احفظني بسلطانك وفضلك مما أحذر وأخاف.

عدم إراقة ماء الوجه:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَصِنْ) أي: احفظ (وَجْهي بِاليَسارِ) أي: الغناء الموجب لصيانة الوجه، وعدم إراقة ماء الوجه في الطلب من هذا وذاك (وَلا تَبْتَذِلْ جاهي) أي: وجاهتي (بالإقْتارِ) أي: بأن تقتر وتضيق علي الرزق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**أعوذ بالله من الفقر... كاد الفقر يكون كفراً**». وقال الإمام علي عليه السلام: «**الفقر الموت الأكبر والأحمر... لو كان الفقر رجلاً لقتلته**» (فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ) بأن أطلب الرزق ممن هم يتعاطون الرزق منك (وَأَسْتَعْطِيَ) أي: أطلب العطاء (شِرارَ خَلْقِكَ) ولعل الإتيان بـ[شرار] لأن كثيراً من الأثرياء من مصاديق [يطغى] (فَأَفْتَتِنَ) أي: ابتلي وامتحن (بِحَمْدِ مَنْ أَعْطاني) ومدحه ولا يليق مدح الشرور (وَأُبْتَلى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَني) بدون حاجة إلى ذات (وَ) ذلك لأنك (أَنْتَ) يا رب (مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإعْطاءِ وَالمَنْعِ) لأن الله هو المقدر للأشياء. وبعد، فإنَّ الإسلام يرى الفقر من أفتك الأدواء الاجتماعية، ولا صلة له بصفات الإنسان الفرد وشخصيته، ولذا أعلن الثورة على

المحتكرين والمستغلين، وعلى كل نظام يؤدي إلى الفقر والقهر. وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء**».

طلب الصحة والزهد والعلم:

(اللَهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَارْزُقْني صِحَّةً في عِبادةٍ) بأن أكون صحيح الجسم واصرف جسمي في عبادتك خالصة لوجهك الكريم تماماً كعبادة الأحرار (وَفَراغاً في زَهادَةٍ) أي: اصرف فراغي في الزهد والنفرة عن الدنيا، وبتعبير آخر: إن صادفتني ساعة فراغ وبطالة فزهدني وأبعدني عمّا يوجب العقاب والعذاب (وَعِلْماً في اسْتِعْمالٍ) بأن يكون لي علم واستعمال ذلك العلم، لا أن أكون عالماً بلا عمل، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في كلام له: «**العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه، فهذا هالك، وأن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له، وقبل منه فأطاع الله، فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه، واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة**»[1]. (وَوَرَعاً في إجْمالٍ) بأن أكون متورعاً عن الشبهات في اعتدال

---

(١) الكليني في الكافي؛ ج١ ، ص١٧ .

بدون أن أكون مسرفاً في الورع كما يفعله أهل الوسوسة، وبلا تحجر وتزمت الذي أشبه بالسفاهة والحماقة ومن إليهم.

الأمور بخواتيمها:

(اللّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي) بأن تعفو عني آخر عمري، ولذا قيل: الأمور بخواتيمها، ولا خاتمة لحياة الإنسان أحمد من مرضاة الله تعالى، ولا مصير أكرم وأعظم من عفوه (وَحَقِّقْ في رَجاءِ رَحْمَتِكَ) أي في رجائي لرحمتك (أَمَلي) فإني آمل وراجٍ أن تتفضل علي بالرحمة، فحقق هذا الأمل يا إلهي ولاتقطع رجائي من رحمتك، ولاتخيب أملي من فضلك (وَسَهِّلْ إلى بُلُوغِ رِضاكَ سُبُلي) اسلك بي سبل الهداية إلى العمل بما تحب وترضى، حتى أتمكن من بلوغ رضاك ولا يشق علي ذلك (وَحَسِّنْ في جَميعِ أَحْوالي عَمَلي) حتى يكون كل عمل مني حسناً ابقني في عنايتك، ولاتخرجني عن طاعتك في جميع أطواري وأدواري في سري وعلانيتي، وفرحي وحزني، وبؤسي ونعيمي، وشبابي وهرمي. قال الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لايدخله رضاه في باطل**».

ترك الغفلة عن الشكر:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْني لِذِكْرِكَ في أَوْقاتِ الغَفْلَةِ)

فإذا غفلت عن ذكرك نبهتني حتى أتذكرك وأخرج عن الغفلة، وبتعبير آخر: مهما نسيت وغفلت عن أي شيء فلا تجعلني ناسياً لإحسانك وغافلاً عن شكرك وحمدك (وَاسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ) بأن وفقني لأن أطيعك (في أيّام المُهْلَةِ) التي تفضلت بها علي في دار الدنيا وهي مدة العمر، لأَن الأعمال تختم بالموت (وَانْهَجْ لي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً) بأن تعيّن لي سبيلاً سهلاً حتى أتمكن من السير فيه، ومعنى نهج له خطّ له طريق السير وأرشده إليه، وبتعبير آخر: أوضح لي أقرب السبل وأسهلها، وفيها لي خير وصلاح في الدنيا والآخرة (أَكْمِلْ لي بِها) أي: وأكملها إلى ما فيه رضاً لك، وطاعة بتلك السبيل (خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ) وفيها لي خير وصلاح في الدنيا والآخرة بسبب سلوكي لها.

طلب أرقى الدرجات والحسنات:

(اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ) وصلاته سبحانه ترفيعة للدرجات (وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلى أَحَدٍ بَعْدَهُ) حتى يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله في أرقى الدرجات (وَآتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً) أي أعطنا، والمراد بالحسنة جنسها، فلا يقال كيف جيء بها نكرة تدل على الوحدة، ومن حسناتها الصحة والأمان (وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً) وأحسن حسناتها الزحزحة عن عذاب الحريق، و أنجح السبل إلى هذه السعادة

وأقربها كف الأذى عن عباد اللّٰه وعياله (وَقِني بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النّارِ) أي احفظني في الآخرة.

دعاؤه في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال

وكان من دعائه عليه السلام في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال:

اللّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجانِ الحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ، وَقِلَّةِ القَناعَةِ وَشَكاسَةِ الخُلُقِ، وَإلْحاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ، وَمُتابَعَةِ الهَوى، وَمُخالَفَةِ الهُدى، وَسِنَةِ الغَفْلَةِ وَتَعاطِي الكُلْفَةِ، وَإيثارِ الباطِلِ عَلَى الحَقِّ، وَالإصْرارِ عَلَى المأثَمِ، وَاسْتِصْغارِ المَعْصِيَةِ، وَاسْتِكْبارِ الطّاعَةِ، وَمُباهاتِ المُكْثِرِينَ، وَالإزْراءِ بِالمُقِلِّينَ، وَسُوءِ الوِلايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أيْدِينا، وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ العارِفَةَ عِنْدَنا، أوْ أنْ نَعْضُدَ ظالِماً، أو نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أوْ نَرُومَ ما لَيْسَ لَنا بِحَقٍّ، أوْ نَقُولَ فِي العِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَنَعُوذُ بِكَ أنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشِّ أحَدٍ، وَأنْ نُعْجَبَ بِأعْمالِنا، وَنَمُدَّ فِي آمالِنا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَاحْتِقارِ الصَّغِيرَةِ، وَأنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَينا الشَّيْطانُ، أوْ يَنْكُبَنَا الزَّمانُ أوْ يَتَهَضَّمَنَا السُّلْطانُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَناوُلِ الإسْرافِ وَمِنْ فِقْدانِ الكَفافِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

شَماتَة الأَعْداءِ، وَمِنَ الفَقْرِ إلى الأَكْفاءِ، وَمِنْ مَعيشَةٍ في شِدَّةٍ، وَميتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الحَسْرَةِ العُظْمى وَالمُصيبَةِ الكُبْرى، وَأَشْقَى الشَقاءِ، وَسُوءِ المَآبِ وَحِرمانِ الثَّوابِ، وَحُلولِ العِقابِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وَأَعِذْني مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَجَميعَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِناتِ يا أَرْحَمَ الرّاحمينَ[1].

اللغة:

(هَيَجانِ): تحرك وانبعاث بقوّة. (الحِرْصِ): الجشع والبخل وحرص على الشيء اشتد شرهه إليه وعظم تمسكه وبخله به. (وَسَوْرَةِ الغَضَبِ): شدته وسورة الخمر حدتها وسورة السلطان سطوته. (وَشَكاسَةِ الخُلُق): صعوبة الخلق وسوءه. (وَإِلْحاحِ): المواظبة على طلب الشيء والالحاف. (الحَمِيَّةِ): الأنفة والإباء. (وَسِنَةِ): ما يتقدم النوم من الفتور. (الغَفْلَةِ): غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره. (وَتَعاطِي): الشيء إذا أقدم عليه وفعله. (الكُلْفَةِ): المشقه. (وَإِيثارِ): ضد الاستئثار وهو تقديم غيره على النفس فيما يكون بحاجة إليه.

(وَالإِصْرارِ عَلَى): الشيء لزومه والمداومة عليه. (المأثم): مصدر بمعنى الإثم وهو الذنب والمعصية. (وَمُباهاتِ):

---

(١) الدعاء الثامن من الصحيفة السجاديّة.

المباهات: المفاخرة وبهى بهاء معناه حسن وظرف. (المُكْثِرِينَ): أصحاب المال الكثير. (وَالإِزْرَاءِ): الاحتقار. (بِالمُقِلِّينَ): قليلي المال، الفقراء. (العارِفَةَ): أصحاب المعروف. (نَعْضُدَ): نعاون ونناصر. (نَخْذُلَ): نترك نصرته وإعانته. (مَلْهُوفاً): الملهوف: المكروب والمضطر، والمتحسر. (نَرُومَ): نريد ونطلب. (نُعْجَبَ): نزهو ونكبر يرى نفسه فوق ما هي... (يَسْتَحْوِذَ): يضم ويجمع. (يَنْكُبَنَا الزَّمانُ): نكبة الزمان: مصيبته.

(يَتَهَضَّمَنَا): هضمه واهتضمه: ظلمه. (الإِسْرافِ): تجاوز الحد وأفرط فيه، بذره... (الكَفافِ): من الرزق ما كفى عن الناس وأغنى. (شَماتَةِ): فرح ببلية غيره. (الأَكْفاءِ): جمع الكفو وهو النظير والمثل. (شِدَّةٍ): عسر ومشقة. (عُدَّةٍ): العدَّه: الاستعداد، وما يعد لحوادث الدهر. (الحَسْرَةِ): التلهف والتاسف. (المَآبِ): المرجع والمصير.

الشرح:

ترك الحرص والغضب والحسد وقلّة الصبر والقناعة..:

(اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجانِ الحِرْصِ) أي حركته واستعماله، والحرص: هو تطلب الشيء المرغوب بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، قال النبي ﷺ: أغنى الناس من

لم يكن للحرص أسيرا[1] (وَسَوْرَةِ الغَضَبِ) أي شدته، والغضب لله تعالى والحق واجب، والمحرم منه ما قاد صاحبه إلى حرام، وفي وصايا الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هشام الغضب مفتاح الشر**»[2]، وعلاجه أن يتذكر الغاضب غضب الله سبحانه على من عصاه، قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله علمني قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه، ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تغضب**» فرمى السلاح، ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم، قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب[3] (وَغَلَبَةِ الحَسَدِ) بأن يغلب الحسد على الإنسان حتى يفعل المحرم حسداً، تعريف الحاسد: هو الذى يتمنى زوال النعمة عن أهلها، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن**

(١) بحار الأنوار: ج٧٠، ص١٦٠.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٧، ص٥٩٨.

(٣) الاصول من الكافي: ج٢، ص٣٠٣.

المؤمن يغبط[1] **ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط**»[2].

(وَضَعْفِ الصَّبْرِ) حتى لا يصبر الإنسان في الطاعة أو عند المصيبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان**»[3].(وَقِلَّةِ القَناعَةِ) حتى يمزجها الإنسان بالحرص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل**»[4] (وَشَكاسَةِ الخُلُقِ) أي صعوبته وسيئته، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**خياركم أحاسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون**»[5] (وَإِلْحاحِ الشَّهْوَةِ) إلى الطعام وما أشبه (وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ) أي كون الحمية والتعصب في غير الحق، إلى ملكة راسخة (وَمُتابَعَةِ الهَوى) أي ميل النفس (وَمُخالَفَةِ الهُدى) بأن أخالف طريق الهداية (وَسِنَةِ الغَفْلَةِ) أي أول الغفلة، فإن السِنَة: أول النوم ، وكثيراً ما يفتر الإنسان ويضعف عن طاعة الله تعالى غفلة عن حسابه وعقابه (وَتَعاطِي الكُلْفَةِ) بأن أعمل عمل المتكلف، فإنه سبحانه لا يحب

---

(١) أي يطلب من الله تعالى مثل نعمة غيره.

(٢) الاصول من الكافي: ج٢ ، ص٣٠٧ .

(٣) الاصول من الكافي: ج٢ ، ص٨٨ .

(٤) الاصول من الكافي: ج٢ ، ص١٣٨ .

(٥) الاصول من الكافي: ج٢ ، ص٤٦ .

المتكلفين لأنه تصنّع وما أشبه (وَإيثارِ الباطِلِ عَلَى الحَقِّ) بأن أُقدم الباطل على الحق (وَالإصْرارِ عَلَى المأثِمِ) أي على الإثم والعصيان، لا يزدجر من الله سبحانه بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ (وَاسْتِصْغارِ المَعْصِيَةِ) لعدِّها صغيرة، فإن من استصغر المعصية تمادى فيها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ**»[٦]. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لاتغفر، قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لولم يكن لي غير ذلك**»[٧].

(وَاسْتِكْبارِ الطّاعَةِ) بأن أعدّ الطاعة كبيرة، فإن ذلك يوجب أن ينظر الإنسان إلى نفسه نظر الإعجاب والرضا، وذلك من الصفات الذميمة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ[٨]. (وَمُباهاتِ المُكْثِرينَ) أي المناظرة مع من يكثر في الطاعة، فإن التفاخر خلاف وظيفة الإنسان الذي يجب أن يرى عمله ضئيلاً مهما كان كثيراً (وَالإزْراءِ) أي الاحتقار (المُقلِّينَ) الذين يعملون قليلاً، فإن ذلك يوجب رضا الإنسان عن نفسه (وَسُوءِ الوِلايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدينا) بأن

---

(٦) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٣٦٤.

(٧) الاصول من الكافي: ج٢، ص٢٨٨.

(٨) نهج البلاغة: ج٤، ص١٣.

ندير الأهل والخدم ومن أشبه إدارة سيئة (وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ العارِفَةَ) أي المعروف، عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**أشكركم لله أشكركم للناس**»[1]. وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «**من أنعم الله عليه نعمة فعرفها بقلبه، وعلم أنَّ المنعم عليه الله تعالى، فقد أدّى شكرها وإن لم يحرِّك لسانه، ومن علم أنَّ المعاقب على الذنوب الله فقد استغفر وإن لم يحرّك به لسانه**»، وقرأ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. (عِنْدَنا) بأن لا نشكره (أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظالماً) أي نكون عضداً وعوناً له، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3] (أو نَخْذُلَ مَلْهُوفاً) كما تحرم إعانة الظالم تجب كفاية إغاثة الملهوف والمضطر، وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان عمن بات متخماً وجاره طاوٍ إلى جنبه، بأن لا نضره (أَوْ نَرُومَ) أي نقصد (ما لَيْسَ لَنا بِحَقٍّ) بأن نريد الشيء الذي لا حق لنا فيه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ**»[4] (أَوْ نَقُولَ في) باب (العِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) بأن نقول قولاً

---

(١) الاصول من الكافي: ج٢، ص٩٩.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ج٦، ص ٢٨.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١٣، ص٣١٨.

صادراً عن جهل، من يعترف بخطئه فهو صادق مع نفسه ومع الناس، ومن هنا قيل: الاعتراف بالخطأ فضيلة وشجاعة. ولا أحد يجرأ على القول بغير علم إلا منافق أو جاهل بجهله.

ترك الغش:

(وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ) أي يكون في قلبنا (عَلَى غِشِّ أَحَدٍ) أي خداعه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَن غَشَّنا فليس منّا**»: الغِشُّ: ضدُّ النُّصح؛ من الغَشَش، وهو المَشْرَب الكَدِر. وقوله: «**ليس منَّا**» أي ليس من أَخْلاقِنا ولا على سُنّتِنا [1]. (وَأَنْ نُعْجِبَ بأعْمالِنا) بأن نراها حسنة، فإن الإنسان يلزم أن يكون خائفاً من عمله لعله لم يقبل، لا أن نفرح ونعجب به (وَنَمُدَّ في آمالِنا) بأن يكون لنا أمل طويل في بقاء الدنيا، فإن ذلك يوجب ترك العمل للآخرة، والأمل نوعان: مذموم إذا بعث إلى العمل للدنيا فقط، ونسي ما وراءها، وممدوح إذا بعث إلى العمل للدنيا والآخره معاً. وفي شتى الأحوال لا حياة بلا عمل، ولا عمل بلا أمل. وفي الحديث الشريف:: «**الأمَلُ رَحْمَةٌ لأُمَّتى وَلَولاَ الأَمَلُ ما (أرضعَتْ) والِدةٌ وَلَدَها وَلاغَرَسَ غارِسٌ شَجراً**»[2]..

---

(١) غريب الحديث في بحار الانوار: ج٣، حرف الغين.

(٢) بحار الانوار: ج٧٤، ص١٧٣.

القلب السليم:

(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ) أي الباطن، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١] (وَاحْتِقارِ الصَّغيرَةِ) أي استسهال أمر المعصية الصغيرة، فإن ذلك يوجب الإصرار عليها (وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَينا الشَّيْطانُ) أي يستولي علينا حتى لا نعمل كما أمر الله سبحانه (أَوْ يَنْكُبَنَا) أي يصيبنا (الزَّمانُ) بمصائبه ونكباته (أَوْ يَتَهَضَّمَنَا) أي يظلمنا (السُّلْطانُ) المراد به الأعم منه ومن أعوانه.

ترك الإسراف وطلب الكفاف:

(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَناوُلِ الإسْرافِ) بأن نعمل بالإسراف، وهو الزيادة في الأمور من الحد الوسط، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢] (وَمِنْ فِقْدانِ الكَفافِ) بأن نفقد المقدار الذي يكفينا في معايشنا حتى نحتاج إلى أحد، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**اللهم ارزق محمداً وآل محمد عليهم السلام ومن أحبهم العفاف والكفاف**»[٣].

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ – ٨٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١١، ص: ٣٧٨.

الاستعداد قبل الموت:

(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ) بأن نبتلي ببلاء يوجب أن يفرح الأعداء بذلك ويتكلموا بما يظهر فرحهم (وَمِنَ الفَقْرِ) والاحتياج (إلى الأَكْفاءِ) جمع كفؤ بمعنى: المثل، بأن نحتاج إلى أمثالنا (وَمِنْ مَعيشَةٍ في شِدَّةٍ) بأن يشتد علينا أمر الرزق (وَميتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ) بأن نموت قبل أن نأخذ عدتنا للموت، وهو العمل الصالح.

طلب الثواب وصرف العقاب:

(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ الحَسْرَةِ العُظْمى) وهي حسرة يوم القيامة التي لا تدارك لها (وَالمُصيبَةِ الكُبْرى) أن نكون من أهل النار (وَأَشْقَى الشَقاءِ) أي أسوأ أقسام الشقاء، وهو الحرمان عن الجنة (وَسُوءِ المَآبِ) أي المرجع، بأن يكون ذهابنا إلى الآخرة ذهاباً سيئاً (وَحِرمانِ الثَّوابِ) بأن نحرم عن الثواب في الآخرة لعدم العمل الصالح لنا في الدنيا (وَحُلولِ العِقابِ) الأخروي بنا.

طلب الحفظ من سوء الدنيا والآخرة:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ. وَأَعِذْني) أي أجرني واحفظني (مِنْ كُلِّ ذلِكَ) الذي ذكرته من أقسام السوء للدنيا والآخرة (بِرَحْمَتِكَ) وفضلك (وَ) أعذ (جَميعَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤمِناتِ) من كل أقسام الشقاء (يا أَرْحَمَ الرّاحمينَ).

الفصل الرابع

الجانب السياسي والجهادي

- أولاً – تمهيد: السياسة والجهاد في القرآن والدعاء
- ثانياً – دعاؤه عليه السلام لأهل الثغور
- ثالثاً – دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم

الجانب السياسي والجهادي

تمهيد: السياسة والجهاد في القرآن والدعاء

يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

إذا استنطقنا آيات القرآن الكريم عن قواعد السياسة في الإسلام، لأجابتنا بأنها لا تخرج عن ثلاث قواعد أساسية، وهي التالية:

القاعدة الأولى: ولاية الله التي من شأنها جعل الناس يعتصمون بها، وتحول دون دخولهم في ولاية الشيطان، وتنفي الطاغوت من حياتهم، وتخلصهم وتحررهم من الجبت.

فولاية الله شرف الإنسان، لأنها تعني أن الخالق عزَّ وجل لم يغلَّ يده ولم يكل الناس إلى أنفسهم. فهو قد شرّفهم وكرمهم

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

بأن جعل هذه الولاية بمثابة سفينة النجاة وحبل الاعتصام لهم، فإذا اعتصموا به استطاعوا التعالي على كل صعوبة في حياتهم.

ولا يخفى أن ولاية الله تعني ولاية الرسول والأئمة والصالحين من عباده الذين يمثلون ذات الخط الإلهي، وهي تعني ولاية العدل والزهد والتقوى والفضيلة والإيثار والفقه.

ولما كانت ولاية الله الركيزة الأولى، فهي تنسجم أيضاً مع التشريع الصحيح النازل من السماء، فلا أحد له الحق في التشريع غيره، بل المشرع الأوحد للإنسان، هو خالق الإنسان لأنه هو الرب المعبود دون سواه.

القاعدة الثانية: الشورى في الحكم الداخلة في إطار ولاية الله سبحانه وتعالى، وتبعاً لهذا أصبح لزاماً على المؤمنين أن يديروا شؤونهم بالفكر الجمعي، بمعنى اجتماعهم على تبادل ما يفهمونه من الأفكار القرآنية فيستفيدون من عقولهم المتنوعة، على أن يشارك الواحد منهم الآخرين في عقولهم وعلومهم. وبهذه القاعدة يمكن تركيز الخبرة، وترشيد الحكمة، وتكريس الجهود، والاقتراب من العدل[1].

ونقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إذا كان أُمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض**

---

(1) في رحاب القرآن: ص٣٩.

خيرٌ لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاؤكم، ولم يكن أمركم شورى بينكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[1].

مع من تتشاور؟

من المسلم أن للمشورة أهلاً، فلا يصح أن يستشار كلّ من هب ودب، فرب مشيرين يعانون من نقاط ضعف، توجب مشورتهم فساد الأمر، وضياع الجهود، وفشل العمل، والتأخر والسقوط.

فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال في هذا الصدد «**لا تدخلن في مشورتك**»:

١. **بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك بالفقر.**
٢. **ولا جباناً يضعفك عن الأُمور.**
٣. **ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور**[2].

وظيفة المشير:

كما تأكد الحث في الإسلام على المشاورة فقد أكدت النصوص على المشيرين أيضاً بأن لا يألوا جهداً في النصح، ولا

---

(١) تفسير أبي الفتوح الرازي.

(٢) نهج البلاغة: كتابه عليه السلام وعهده لمالك الأشتر.

يدخروا في هذا السبيل خيراً، وتعتبر خيانة المشير للمستشير من الذنوب الكبيرة، بل وتذهب أبعد من ذلك حيث لا تفرق في هذا الحكم بين المسلم والكافر، يعني أنه لا يحق لمن تكفل تقديم النصح والمشورة أن يخون من استشاره، فلا يدله على ما هو الصحيح في نظره، مسلماً كان ذلك المستشير أو كافراً[1].

في رسالة الحقوق عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «**وحق المستشير إن علمت له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم، وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه**»[2].

القاعدة الثالثة: وجوب الدفاع عن النفس ومقاومة البغي، حيث نجد الله سبحانه وتعالى يأمرنا في آيات كريمة من سورة الشورى بهذه القواعد الثلاث. فالمجتمع المؤمن حينما يملك جوهرة لا تثمن، وهي جوهرة ولاية الله وجوهرة الشورى، لابد له من الدفاع عما يملك بكل شجاعة وحزم وصمود[3].

ومن السياسات القرآنية إقامة العدل، حيث يؤكد القرآن الكريم عندما يتحدث عن نفسه: أنه كتاب لبسط العدالة، يقول عن الأنبياء: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[4].

---

(١) الأمثل: ج٢، ص٧٥٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٤٠٥.

(٣) في رحاب القرآن: ص٣٩.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

يريد القرآن القسط والعدل لكل المجتمع البشري، وليس لقوم أو طبقة أو قبيلة خاصة. ولكي يجذب الناس إلى نفسه لم يشر إلى العصبيات القومية.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[1]، حيث توضح أن العدل هو صمام الأمان في طبيعة العلاقات بين أفراد الإنسانية جميعاً. وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الحكم القرآنية الخاصة بتبين أصول الحياة.

أيضاً يظهر القرآن سياسته الدفاعية فيقول تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

أمر القرآن في هذه الآية الكريمة بمقاتلة الذين يشهرون السلاح بوجه المسلمين، وأجازهم أن يواجهوا السلاح بالسلاح، بعد أن انتهت مرحلة صبر المسلمين على الأذى، وحلّت مرحلة الدفاع الدامي عن الحقوق المشروعة.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[1]

هذه الآيات تظهر ستة أوامر في شأن الجهاد منها الذكر والدعاء أشار إليه بقوله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

ولا ريب أنّ المراد من ذكر اللّه هنا ليس هو الذكر اللفظي فحسب، بل حضور القلب، وذكر علمه تعالى وقدرته غير المحدودة ورحمته الواسعة، فهذا التوجه إلى اللّه يقوّي من عزيمة الجنود المجاهدين، ويُشعر الجندي بأنّ سنداً قويّاً لا تستطيع أية قدرة في الوجود أن تتغلب عليه يدعمهُ في ساحة القتال. وإذا قُتل فسينال السعادة الكبرى ويبلغ الشهادة العظمى، وجوار رحمة اللّه، فذكر اللّه يبعث على الاطمئنان والقوّة والقدرة والثبات في نفسه.

بالإضافة إلى ذلك، فذكر اللّه وحبّه يخرجان حبّ الزوجة والمال، والأولاد من قلبه، فإنّ التوجه إلى اللّه يزيل من القلب كل ما يضعفه ويزلزله، كما يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعائه المعروف ـ في الصحيفة السجادية ـ بدعاء أهل الثغور الذي سيأتي إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

وكان من دعائه عليه السلام لأهل الثغور[1]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَحَصِّنْ ثُغُورَ المُسْلمينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُماتَها بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبغْ عَطاياهُمْ مِنْ جِدَتِكَ اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ وَاحْرُسْ، حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهمْ وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَواتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ وَتَوَحَّدْ بِكِفايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالطُفْ لَهُمْ في المَكْرِ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَعَرِّفْهُمْ ما يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لا يَعْلَمونَ وَبَصِّرْهُمْ مالا يُبْصِرُونَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقائِهِمُ العَدُوَّ ذِكْرَ دُنْياهُمُ الخَدَّاعَةَ الغَرُورِ وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَراتِ المالِ الفَتُونِ، وَاجْعَلِ الجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْها لأَبْصارِهِمْ ما أَعْدَدْتَ فيها مِنْ مَساكِنِ الخُلْدِ وَمَنازِلِ الكَرامَةِ وَالحُورِ الحِسانِ وَالأَنْهارِ المُطَّرِدَةِ بِأَنْواعِ الأَشْرِبَةِ وَالأَشْجارِ المُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتّى لا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبارِ، وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِه بِفِرارٍ، اللّهُمَّ افْلُلْ بِذلِكَ عَدُوَّهُمْ وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ وَاخْلَعْ وَثائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَباعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

---

(١) الثغر): ما يلي دار الحرب، أو بعبارة اليوم: حدود البلاد التي يترصد فيها الجيش، لئلا يصل من الأعداء أذى إلى داخل البلاد.

أَزْوِدَتِهِمْ وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ المَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ العَدَدَ، وَامْلأ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرائَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْماعَ مَنْ بَعْدَهُمْ، اللّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحامَ نِسائِهِمْ وَيَبِّسْ أَصْلابَ رِجالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوابِّهِمْ وَأَنْعامِهِمْ، لا تَأْذَنْ لِسَمائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلأَرْضِهِمْ فِي نَباتٍ، اللّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مَحالَ أَهْلِ الإِسْلامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحارَبَتِهِمْ لِعِبادَتِكَ، وَعَنْ مُنابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتّى لا يُعْبَدَ فِي بِقاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلا تُعَفِّرَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ، اللّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ ناحِيَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلى مَنْ بِإِزائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتّى يَكْشِفُوهُمْ إِلى مُنْقَطَعِ التُّرابِ قَتْلاً فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً، أَوْ يُقِرّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، اللّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْداءَكَ فِي أَقْطارِ البِلادِ مِنَ الهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالخَزَرِ وَالحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقالِبَةِ وَالدَّيالِمَةِ وَسائِرِ أُمَمِ، الشِّرْكِ الَّذِينَ تَخْفى أَسْماؤُهُمْ، وَصِفاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ، اللّهُمَّ اشْغَلِ المُشْرِكِينَ بِالمُشْرِكِينَ عَنْ تَناوُلِ أَطْرافِ المُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالفُرْقَةِ

عَنِ الاحْتِشاد علَيْهِمْ، اللّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَة، وَأَبْدانَهُمْ
مِنَ القُوَّة وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكانَهُمْ عَنْ
مُنازَلَة الرِّجالِ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقارعَة الأَبْطالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ
جُنْداً مَنْ مَلائكَتكَ بِبَأْس مِنْ بَأْسكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْر، تَقْطَعُ به
دابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ به شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ به عَدَدَهُمْ، اللّهُمَّ وَامْزُجْ
مِياهَهُمْ بِالوَباءِ وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالأَدْواءِ، وَارْمِ بِلادَهُمْ بِالخُسُوف،
وَأَلِحَّ عَلَيْها بِالقُذُوف، وَافْرَعْها بِالمُحُولِ، وَاجْعَلْ مِيرَهُمْ في
أَحَصِّ أَرْضكَ وَأَبْعَدِها عَنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَها مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ
بِالجُوعِ المُقيمِ وَالسُّقْمِ الأَليمِ، اللّهُمَّ وَأَيُّما غازٍ غَزاهُمْ مِنْ أَهْلِ
مِلَّتِكَ أَوْ مُجاهِد جاهَدَهُمْ مِنْ أَتْباعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الأَعْلى
وَحِزْبُكَ الأَقْوى وَحَظُّكَ الأَوْفى فَلَقِّهِ اليُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ
بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحابَ، وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْه
في النَّفَقَة، وَمَتِّعْهُ بِالنَّشاط، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرارَةَ الشَّوْقِ وَأَجِرْهُ
مِنْ غَمِّ الوَحْشَة، وَأَنْسِه ذِكْرَ الأَهْلِ وَالوَلَد، وَآثِرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّة،
وَتَوَلَّهُ بِالعافيَة، وَاصْحَبْهُ السَّلامَةَ، وَأَعْفِه مِنَ الجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ
الجُرْأَةَ، وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَة، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ
وَسَدِّدْهُ في الحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّياءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَة،
وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقامَتَهُ فيكَ وَلَكَ، فَإِذا صافَّ عَدُوَّكَ
وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ في عَيْنِه، وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ في قَلْبِه، وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ

وَلا تُدِلْهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالقَتْلِ وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الأَسْرُ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرافُ المُسْلِمِينَ وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّي عَدُوَّكَ مُدْبِرِينَ، اللّهُمَّ وَأَيُّما مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرابِطاً فِي دارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعانَهُ بِطائِفَةٍ مِنْ مالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعَتادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلى جِهادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعى لَهُ مِنْ وَرائِهِ حُرْمَةً، فَآجِرْ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلاً بِمِثْلٍ، وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ ما قَدَّمَ وَسُرُورَ ما أَتى بِهِ، إِلى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الوَقْتُ إِلى ما أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرامَتِكَ، اللّهُمَّ وَأَيُّما مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الإِسْلامِ وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فاقَةٌ أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرادَتِهِ مانِعٌ فاكْتُبِ اسْمَهُ فِي العابِدِينَ، وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوابَ المُجاهِدِينَ وَاجْعَلْهُ فِي نِظامِ الشُّهَداءِ وَالصّالِحِينَ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلاةً عالِيَةً عَلَى الصَّلَواتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيّاتِ، صَلاةً لا يَنْتَهِي أَمَدُها، وَلا يَنْقَطِعُ عَدَدُها، كَأَتَمِّ ما مَضى مِنْ صَلَواتِكَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيائِكَ، إِنَّكَ المَنّانُ الحَمِيدُ المُبْدِئُ المُعِيدُ الفَعّالُ لِما تُرِيدُ[1].

(١) الدعاء السابع والعشرون الصحيفة السجاديّة .

اللغة:

(وَحَصِّنْ): اجعله حصيناً أي منيعاً لا يقهر. (ثُغُورَ): جمع ثغر وهو من البلاد والموضع الذي يخاف منه هجوم العدو. (وَأَيِّدْ): قوّاه. (حُماتَها): الحماة: جمع حامي وهو المدافع والذاب.

(وَأَسْبِغْ): عليه نعمته: أفاضها عليه وأتمها. (جِدَتِكَ): الجدة: الثروة والغنى. (وَاشْحَذْ): أسلحتهم: اجعلها حادة سريعة القطع. (حَوْزَتَهُمْ): الحوزة: الجانب والناحية. (حَوْمَتَهِمْ): حومة القتال أشد موضع فيه وحومة البحر معظمه وأشده. (وَواتِرْ): تابع وتواترت الخيل إذا جاء يتبع بعضها بعضاً. (مِيَرِهِمْ): المير: جمع ميرة وهي جلب الطعام. (وَاعْضُدْهُمْ): أعنهم.

(نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ): منصوبة حذاء أعينهم ومواجهة لهم. (وَلَوِّحْ): لوّح بالشيء: أبداه وأظهره. (وَالحُورِ): جمع حوراء المرأة البيضاء من الحور وهو شدّة البياض في العين وشدّة سوادها. (المُطَّرِدَةِ): الجارية. (المُتَدَلِّيَةِ): المسترسلة أغصانها بصنوف الثمر. (بِالإِدْبارِ): التولي والفرار. (قِرْنِه): القرن: النظير. (افْلُلْ): يقال فللت الجيش كسرته وهزمته. (وَاقْلِمْ): أظفاره: قطع ما طال منها وهو كناية عن الضعف. (وَاخْلَعْ): الخلع: النزع. (وَثائِقَ): جمع وثيقه أي قوّي وثبت. (أَزْوِدَتِهِمْ): جمع زاد على غير القياس وأزواد هو القياس وهو

طعام المسافر. (وَحَيِّرْهُمْ): اجعلهم لا يهتدون إلى مرادهم. (سُبُلِهِمْ): جمع سبيل وهو الطريق. (المَدَدَ): الإعانة. (الرُّعْبَ): الخوف. (وَاخْزِمْ): ألسنتهم: اشددها وأوثقها. (وَشَرِّدِ): التشريد: الطرد والتفريق. (وَنَكِّلْ): من النكال وهو العقوبة. (بِخِزْيِهِمْ): الخزي: الذل والهوان. (عَقِّمْ): يقال عقم الرحم إذا امتنع عن قبول الولد. (أَصْلابَ): فقرات الظهر.

(مَحالَ): على وزن كتاب القدرة والقوة والكيد وأخذ الأمر بالحيلة. (وَحَصِّنْ): الحصين: المنيع. (دِيارَهُمْ): من الدار، البيت أو البلد. (مُنابَذَتِهِمْ): من النبذ وهو الرمي ونبذ إليه عهده إذا رماه إليه وكاشفه بالحرب. (وَلا تُعَفِّرَ): عفّر وجهه: الصقه بالعفر وهو وجه الأرض والتراب. (جَبْهَةٌ): موضع السجود. (اغْزُ): الغزو: الغارة على العدو. (ناحِيَةً): الناحية: الجانب. (بِإزائِهِمْ): الإزاء: المقابلة والمحازاة. (وَأَمْدِدْهُمْ): المدد: التقوية والاعانة.

(مُرْدِفِينَ): متبعين بعضهم بعضا. (مُنْقَطَعِ): الشيء: ما ينتهي إليه ذلك الشيء. (وَثَبِّطْهُمْ): ثبطه عنه: إذا شغله عنه واقعده. (الاحْتِشادِ): الاجتماع. (أَخْلِ): أخليت الإناء: جعلته خالياً أي فارغاً. (الأَمَنَةِ): الأمن وهو عدم توقع المكروه. (وَأَذْهِلْ): غفل. (وَأَوْهِنْ): الوهن: الضعف. (أَرْكانَهُمْ):

الأركان: الجوانب المعتمدة. (وَجَبِّنْهُمْ): اجعلهم جبناء. (مُقارَعَةِ): من القرع وهو الضرب. (بَأسِكَ): البأس: الشدّة والقوّة. (دابِرَهُمْ): الدابر: الآخر وقطع دابرهم إذا استأصلهم ولم يترك منهم أحداً. (وَامْزُجْ): مزج الشيء بالشيء: خلطه به. (بِالوَباءِ): بالمرض المعدي. (بِالأَدْواءِ): جمع داء وهو المرض. (بِالخُسُوفِ): من الخسف وهو غور الأرض. (وَأَلِحَّ): على الشيء: إذا لزمه وداوم عليه. (بِالقُذُوفِ): من القذف وهو الرمي. (وَافْرَعْها): من الفرع وهو الضرب. (بِالمُحُولِ): من المحل وهو الجدب. (مِيَرَهُمْ): المير: الطعام. (أَحَصِّ): من الحص وهو حلق الشعر ومنه المحاصة داء يتناثر منه شعر الرأس. (وَالسُّقْمِ): المرض. (مِلَّتَكَ): الملة: الدين. (سُنَّتَكَ): السنة: الطريقة والدين. (وَحَظُّكَ): الحظ: النصيب والسهم. (اليُسْرَ): لقه اليسر: اعطه التيسير والسهولة. (الظَّهْرَ): المركوب من الدواب. (وَأَسْبِغْ): أوسع. (وَأَطْفِ): أطفأت النار: أخمدتها. (وَأَجِرْهُ): أمنه. (الوَحْشَةِ): ضد الأنس. (الجُرْأَةَ): الشجاعة. (وَسَدِّدْهُ): من السداد وهو الصواب. (وَظَعْنَهُ): الظعن: الارتحال. (صافَّ): قابله في الصف. (وَصَغِّرْ): من الصغار وهو الحقارة. (شَأنَهُم): أمرهم وحالهم. (وَلا تُدِلْهُمْ): أدال له: جعل الغلبة له وأدال منه جعل الغلبة عليه والإدالة الغلبة.

(يَجْتَاحَ): يهلك عدو لك ويستأصله من الجايحة وهى آفة تهلك الأموال والثمار. (يَجْهَدَ): يتعب. (خَلَفَ): خلفه: جعله خليفة بعده. (مُرابِطاً): المرابطة: لزوم ثغر المسلمين مدة من الزمن. (خالِفيهِ): من تخلف عنه من أهله في بلده. (بِطائِفَةٍ): الطائفة: القطعة والجزء. (بِعِتادٍ): العتاد: آلة الحرب من سلاح ودواب وغيرها. (شَحَذَهُ): على كذا: إذا حمله عليه وساقه فيه. (وَجْهِهِ): الوجه: الجهة. (حُرْمَةً): ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه. (فَاقَةٌ): الفقر والحاجة. (المَنّانُ): المن: العطاء.

الشرح:

طلب تقوية الثغور وتعزيزها:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآله، وَحَصِّنْ) أي: قوّ من الحصانة بمعنى التقوية والاحتفاظ (ثُغُورَ المُسْلِمِينَ) حتى لا يتمكن الأعداء من مهاجمة المسلمين وأذيتهم (بِعِزَّتِكَ) فإن العزيز الغالب في سلطانه يتمكن من التقوية والتعزيز الثغور هنا تعم وتشمل كل مكان يخاف منه هجوم العدو سواء أكان الجنوب بين لبنان والكيان الصهيوني أم كان بعيدا عن الحدود، فانَّ مراد الإمام هنا والقصد هو الاستعداد والتسلح بسلاح العدو والقوّة الرادعة له عن العدوان أياً كان نوعها، فان الذى يتبدل ويتغير هو

الشكل والمظهر لا أصل الفكرة والجوهر، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[1] (وَأَيِّدْ حُماتَها) أي: الذين يحمون الثغور ويحفظونها (بِقُوَّتِكَ) والتأييد: بمعنى التقوية ولا يخفى أن في الحماة كانوا مؤمنين كما أن فيهم من كان يجهل الحق فالدعاء لمثله في موقعه (وَأَسْبِغْ عَطاياهُمْ) أسبغ الله عليك النعمة: أتمها، وعطاياهم: رواتبهم وتحسين حالهم، أي: أوسع عليهم العطاء (مِنْ جِدَتِكَ) أي من غناك والجدة: الغنى والقدرة، والمعنى سهل عليهم الطريق لحياة أفضل.

حماية الحدود:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ) أي: عددهم (وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ) أي: اجعل حدها قاطعاً سريع النفوذ (وَاحْرُسْ) أي: احفظ (حَوْزَتَهُمْ) أي: حدودهم ونواحيهم (وَامْنَعْ حَوْمَتَهمْ) أي: ساحتهم التي يحام حولها، امنعها عن وصول الأعداء (وألِّفْ جَمْعَهُمْ) حتى يتألف بعضهم ببعض (وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ) بأن يكون أمرهم ضد الأعداء بالتدبير والتخطيط (وَواتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ) واتر: تابع، والميرة: الغذاء المنقول من

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

بلد إلى آخر، والمراد هنا أن تكون الطريق إلى الجنود سالكة آمنة كي يصل اليهم جميع ما يحتاجون إليه من نجدة وسلاح وغذاء (وَتَوَحَّدْ بِكِفايَةِ مُؤَنِهِمْ) أي: أكفهم وحدك كي لا يحتاجوا إلى سواك (وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ) أي: كن قوتهم وعضدهم في نصرك لهم (وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ) حتى يصبروا على الأعداء بعونك (وَالْطُفْ لَهُمْ فِي المَكْرِ) بأن يمكروا للأعداء بلطفك، والمكر علاج الأمر بوجه خفي على العدو.

طلب معرفة أمور الحرب:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ ما يَجْهَلُونَ) من أمور دينهم والأمور المرتبطة بالحرب من خططه وأصول القتال وما أشبه (وَعَلِّمْهُمْ مَا لا يَعْلَمونَ) ولعلَّ المراد بالعلم: معرفة الكليات وبالمعرفة: الجزئيات، ولذا يقال: عرفت زيداً ولا يقال علمته (وَبَصِّرْهُمْ مالا يُبْصِرُونَ) أي: أرهم مصالحهم التي لا يرونها بدون لطفك الخاص.

طلب نسيان زخارف الدنيا وتذكر الآخرة في ساحة الحرب:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقائِهِمُ العَدُوَّ ذِكْرَ دُنْياهُمُ الخَدَّاعَةَ) أي: الكثيرة الخداع والكذب (الغرور) التي تغر الإنسان، حتى لا يظنون بأنفسهم في الحرب لمحبتهم للدنيا

(وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَراتِ المالِ الفَتُونِ) أي: ما يخطر بقلبهم من حب المال الذي يفتنهم ويصرفهم عن الاقتحام في الحرب، لئلا يقتلوا فتفوتهم أموال الدنيا (وَاجْعَلِ الجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ) أي: أمامهم حتى يرغبوا فيها ولا شيء كالجنة التي فيها ما يلذ الأعين، وتشتهي الأنفس. وفي نهج البلاغة: كل نعيم دون الجنَّة فهو محقور. ولذا سأل الإمام أن يعرّف سبحانه المجاهدين بحقيقه الجنَّة ونعيمها كما بشرهم بها كي يكونوا على علم بقيمة الصفقة، وأنها لمنفعتهم الذاتية وللعلو من شأنهم دنيا وآخرة، فيبذلون الثمن بنفس راضية تمام الرضا (وَلَوِّحْ) أي: أشر (مِنْها) أي: من الجنة (لأَبْصارِهِمْ) أي: عيون المجاهدين (ما أَعْدَدْتَ فِيها مِنْ مَساكِنِ الخُلْدِ) أي: المنازل الباقية للإنسان أبد الآبدين (وَمَنازِلِ الكَرامَةِ) التي يكرم الإنسان فيها (وَالحُورِ) جمع حوراء وهي المرأة البيضاء (الحِسانِ) جمع حسنة أي: الجميلة بدناً وأخلاقاً (وَالأَنْهارِ المُطَّرِدَةِ) أي: الجارية التي يطرد بعضها بعضاً (بِأَنْواعِ الأَشْرِبَةِ) فإن في أنهار الجنة الماء والعسل واللبن والخمر وغيرها (وَالأَشْجارِ المُتَدَلِّيَةِ) أي: المتعلقة (بِصُنُوفِ الثَّمَرِ) أي: أقسامه (حَتّى لا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبارِ) بأن يريد الفرار عن الزحف (وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ) أي: الشجاع المقابل له في الحرب (بِالفِرارِ) وعن قرنه،

متعلق بالفرار أي: بالفرار عن قرنه.

بعد أن دعا الإمام عليه السلام للمجاهدين المدافعين عن الحرية والكرامة والأرواح والأموال والأوطان - دعا على الأشرار الأقذار الذين يعتدون على عباد الله وبلاده، ويثيرون الحروب والفتن، وينهبون الأقوات، ويشردون الآمنين، دعا عليهم وإن انتسبوا إلى الإسلام.

ثبات أهل الثغور وصبرهم:

وقال: (اللّهُمَّ افْلُلْ) أي: اكسر (بِذلِكَ) الثبات للمسلمين (عَدُوَّهُمْ) المحارب لهم، إشارة إلى ثبات أهل الثغور وصبرهم على الجهاد وعدم فرارهم من الزحف (وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفارَهُمْ) فإن السبع لو قلم ظفره لم يتمكن من إيذاء الفريسة، وهذا كناية عن كسر شوكة الأعداء وتقليل قوتهم (وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ) بابتعادهم عن الأسلحة حتى لا يتمكنوا من مقابلة المسلمين وهو كنايه عن حصارهم والإحاطة بهم ومنع الإمداد عنهم (وَاخْلَعْ وَثائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ) أي: الأمور التي أحكمت قلوبهم من كثرة العدد ووفرة السلاح وما أشبه ذلك، ومعنى الخلع الفزع، وبتعبير آخر: املأ قلوبهم بالخوف من جيش المسلمين، وبالقنوط من النصر والنجاة (وَباعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ) جمع زاد بمعنى طعام المسافر أي: بعد زادهم حتى لا يكون لهم

زاد (وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ) أي: طرقهم حتى لا يعلمون أي السبل أحسن لهم، بحيث لايستطيعون حيلة، و لايهتدون إلى النصر سبيلا (وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ) حتى إذا أرادوا وجهاً وجهته أعزفوا عنه إلى غير ما لا يفيدهم، واعم أبصارهم وقلوبهم عمّا يضمرون ويقصدون (وَاقْطَعْ عَنْهُمُ المَدَدَ) الجيش ونحوه الذي يمدهم ويساعدهم (وَانْقُصْ مِنْهُمُ العَدَدَ) أي: عددهم بالموت أو الفرار أو المرض أو ما أشبه (وَامْلأ أَفْئِدَتَهُمُ) جمع فؤاد بمعنى القلب (الرُّعْبَ) أي: الخوف من المسلمين (وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ) حتى لا يتمكنوا من مد أيديهم لأذى المسلمين (وَاخْزِمْ) أي: أخرس (أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ) حتى لا يتمكنوا أن ينطقوا ضد المسلمين (وَشَرّدِ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) أي: بسبب فرار الأعداء الأباعد بواسطة تفريق هؤلاء المقتربين من ثغور المسلمين (وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرائَهُمْ) النكال بمعنى العذاب أي: عذب بسبب هؤلاء الذين وقع فيهم القتل والتشريد، الكفار الذين وَراءَهُمْ، لأنهم يغتمون لتفريق ووقوع القتل والأسر فيهم (وَاقْطَعْ بِـ) سبب (خِزْيِهِمْ) وانهزامهم (أَطْماعَ مَنْ بَعْدَهُمْ) من الكفار، فإن سائر الكفار إذا شاهدوا نكال هؤلاء قطع رجاؤهم في النيل من المسلمين. ما زال الدعاء على الذين يسعون في الأرض فساداً... ومن كف أذاه عن الناس فهو حمى الشريعة الإلهية

المحمدية حتى ولو كان جاحداً لأنَّ حسابه على خالقه الذي قال تعالى لنبيه الكريم: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٢] وفوق ذلك سمح الإسلام للمسلمين أن يحسنوا لمن يخالفهم في العقيدة إذا هو كفّ شرّه وضرّه كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣] وقوله عزَّ وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤].

دعاء الإمام عليه السلام على العدو بالعقم:

(اللّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحامَ نِسائِهِمْ) حتى لا تحمل أولاداً يزيدون عدد الكفار (وَيَبِّسْ أَصْلابَ رِجالِهِمْ) أصلاب: جمع صلب بضم الصاد، والمراد به سلسلة فقرات الظهر التى تمتد من أعلاه إلى أسفله، ودعاء الإمام عليه السلام عليهم بالعقم لنسائهم ورجالهم، لأنَّ الحيَّة لاتلد إلا حيَّة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٥] (وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوابِّهِم)

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢ .

(٢) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥ – ٢٦ .

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٨ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٣ .

(٥) سورة نوح، الآية: ٢٧ .

جمع دابة كالفرس وما أشبه (وَأَنْعامِهِمْ) جمع نعم هي الإبل والبقر والغنم، وكانت هذه الدواب من أهم الوسائل والاسباب للإنتاج والمواصلات، ودعا عليها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنهم كانوا يستعينون فيها ويتقوون بها في الحرب والقتال. (لا تَأْذَنْ) يا رب (لِسَمائِهِمْ في قَطْرٍ) أي: إمطار المطر (وَ«لا» لأَرْضِهِمْ في نَباتٍ) أي: إخراج عشب، فامنع عنهم بركات السموات والأرض.

طلب نزول الكوارث والنكبات بالاعداء:

(اللّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ) الذي تفعل بالكفار من الضعف، وهو إشارة إلى نزول الكوارث والنكبات بالأعداء الطغاة (مَحالَ أَهْلِ الإِسْلام) أي: قوتهم وشدتهم (وَحَصِّنْ بِهِ) أي: بضعف الكفار (دِيارَهُمْ) فإن ضعف الأعداء يوجب قوة المسلمين (وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوالَهُمْ) لأن الأسواق تبقى للمسلمين إذا ضعف الكفار بعدم المطر وما أشبه (وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحارَبَتِهِمْ) بأن تكبت الأعداء حتى يفرغ المسلمون عن محاربتهم ولا يحتاجون إلى ذلك (لِعِبادَتِكَ) فيكون للمسلمين الوقت الكافي للطاعة والعبادة (وَعَنْ مُنابَذَتِهِمْ) أي: مضاربتهم ومحاربتهم، المعنى: انصر المجاهدين في سبيلك على الطغاة المعتدين كي يتفرغوا للعمل من أجل حياة أفضل... وإن قال قائل: لا شيء أفضل من الجهاد. جوابه: ليس الجهاد غاية في نفسه، بل وسيلة ليعيش الناس في

اخاء وهناء لا في حرب وشقاء، ليتعاونوا يداً واحدة على ما فيه لله تعالى رضاً، ولعباده خير وصلاح (لِلْخَلْوَةِ بِكَ) في حال العبادة آناء الليل وأطراف النهار (حَتّى لا يُعْبَدَ في بِقاعِ الأَرضِ) جمع بقعة بمعنى القطعة (غَيْرُكَ) من الأصنام وما أشبه (وَلا تُعَفِّرَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ) بأن يكون كل تعفير وسجود على الأرض لأجلك لا لسواك. (اللّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ ناحِيَةٍ مِنَ المُسْلِمينَ) الغزو: هو الجهاد والهجوم على العدو (على من بإزائهم من المشركين) حتى يهاجم كل طرف من بلاد الإسلام على من في قباله من بلاد الكفر، والإمام عليه السلام يدعو الله سبحانه أن يسهّل لأنصار الحق والعدل سبيل الغزو والغلبة على أعدائه وأعداء الإنسانية جمعاء (وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفينَ) بعض أولئك الملائكة رديف بعض وفي عقبهم (حَتّى يَكْشِفُوهُمْ) أي: يهزموا الكفار (إلى مُنْقَطَعِ التُّرابِ) أي: المحل الذي تخلص الأرض وتصل إلى البحر أو المراد أقاصي البلاد، يقتلونهم (قَتْلاً في أَرْضِكَ وَأَسْراً) لمن بقي منهم، المعنى: انصر اللهم المحقين على المبطلين حتى لا يبقى على وجه الأرض من بدايتها إلى نهايتها- أحد في أرضك من المعتدين والمفسدين (أَوْ يُقِرّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ) بأن يصيروا مسلمين أو يتوبوا ويكفوا عن الفساد والضلال.

طلب النصرة وخذل الأعداء:

(اللّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذلِكَ) الذي طلبت منك من نصرة المسلمين وخذل الكفار (أَعْداءَكَ) جميعاً (مِنَ الهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالخَزَرِ) وهم قسم من الترك سموا بذلك لضيق أعينهم، إذ الخزر بمعنى ضيق العين (وَالحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ) قسم من السودان في أطراف خط الاستواء (والسَّقالِبَةِ) وهم قريبون من بلاد المغرب (وَالدّيالِمَةِ) بلاد مازندران فإن هؤلاء كانوا كفاراً إلى زمان الإمام عليه السلام وإنما دخلوا في الإسلام بعد ذلك تدريجاً (وَسائِرَ أُمَمِ الشِّرْكِ الَّذِينَ تَخْفى أَسْماؤُهُمْ، وَصِفاتُهُمْ) انصر المسلمين على جميعهم يا رب (وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ) أي: بعلمك الواسع (وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمَ) أي: قدرت عليهم (بِقُدْرَتِكَ) الشاملة.

«**يشير الإمام عليه السلام بقوله هذا إلى حديث جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذى رواه الكثير من المسلمين من كافّة المذاهب الإسلامية وهو: «لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لبعث الله عزَّ وجل رجلا من أهل بيتي يملؤها- أي يملأ الدنيا- عدلاً كما ملئت جوراً**». وفي العديد من الروايات: أن اللّه سبحانه يخرج من ذريه محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يسهل له كل عسير، ويذلل له كل صعب، ويقرب به كل بعيد، ويقهر به كل جبار

عنيد، ويسوق به بركات السموات والأرض، ولايظلم أحد احداً، و لايخاف شيء من شيء، ولايراق محجمة دم، وتستوى الأرزاق بين الناس، ويقتسمون بالسوية، ويكون الجميع على أحسن حال، وإذا سافر إنسان إلى مكان بعيد لايصحب معه زاداً ولا مالاً... إلى كل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[1].

ورب قائل: هذا كلام حلو وجميل، ولكنه مجرد حلم ووهم، وهل يمكن أن تقوم للبشر حياة على غير حرب ونهب وحسد وحقد وتكاثر وتفاخر؟ الجواب: أجل، يمكن بكل توكيد، وأن ذلك لواقع لا محالة ولو بعد مئة حين وحين، أوّلاً لأن دوام الحال من المحال، وبخاصة في الأحوال الاجتماعية. ثانيا: لأنه من صنع الإنسان، وهو قادر على التحويل والتغيير، فكم من أمة خرجت من الظلمات إلى النور، من الغار إلى أرقى الحضارات، فوحدت الصفوف بعد الشتات والتفتيت، وأصبحت قوّة ترجى وتخشى في العالم كله بعد أن كانت لا شيء يذكر.

وهل من عاقل على وجه الأرض يستطيع القول والجزم بأنّ كرامة الإنسان لن تقوم لها- بعد اليوم- قائمة، وأن الثورات الإصلاحية قد ذهبت إلى غير رجعة؟... وما خروج المهدي المنتظر إلا ثورة على الفساد في الأرض وعلى كل ضار ومفترس

---

(١) انظر كتاب البحار للمجلسي: ج ١٣.

يعيش أو يحاول العيش على دماء المستضعفين. وإذن فأين الخرافة والسخافة؟ وعلام الهجمات والحفلات بالدس والافتراء والسخرية والاستهزاء؟»[1].

أوقع العداوة والبغضاء بين المعتدين:

(اللّهُمَّ اشْغَلِ المُشْرِكينَ بِالمُشْرِكِينَ) بأن يحارب بعضهم بعضاً (عَنْ تَناوُلِ أطْرافِ المُسْلمينَ) حتى ينشغلوا عن أذى المسلمين وتناولهم بالحرب (وَخُذْهُمْ) أي: المشركين (بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ) أي: انقص المشركين حتى لا يتمكنوا من تنقيص المسلمين بقتل رجالهم وأسر نسائهم ونهب أموالهم، إن الطغاة ملأوا الدنيا فساداً وعدوانا، فخذهم يا إلهي بالنقص والتنقص من الأموال والأنفس كي يأمن العباد والبلاد من شرّهم وجورهم (وَثَبِّطْهُمْ) أي: فل عزيمتهم (بِالفُرْقَةِ) بأن تفرق كلمتهم (عَنِ الاحْتِشادِ) والاجتماع (عَلَيْهِمْ) أي: على المسلمين، والمعنى أوقع العداوة والبغضاء بين العتاة المعتدين، وأشغلهم بأنفسهم عن الحشد والجمع لحرب الآمنين.

املأ قلوب الأعداء بالفزع والهلع:

(اللّهُمَّ أخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ) أي: واملأ قلوبهم بالفزع

---

(١) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

والهلع من قوّة المسلمين وهيبتهم... والأمنة بمعنى الأمن، وأما الآية اليوم فهي معكوسة، فالمسلمون هم الذين يخافون أن يتخطفهم الذئاب وكل ذي ناب، لا لشيء إلا لأنهم عصوا الله في نصحه وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1] (وَأَبْدانَهُمْ مِنَ القُوَّةِ) حتى لا يكون لهم قوّة المقاومة، والقوَّة اليوم للعلم والفطنة والمخترعات لا للسواعد والعضلات (وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ) أي: اغفلها (عَنِ الاحْتِيالِ) عن التجسس والتأمر والدعايات الكاذبة ضد المسلمين (وَأَوْهِنْ أَرْكانَهُمْ) أي: أطرافهم كاليد والرجل (عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجالِ) أي: محاربة رجال المسلمين (وَجَبِّنْهُمْ) أي: ألق الجبن والخوف في قلوبهم. (عَنْ مُقارَعَةِ الأَبْطالِ) أي: محاربتهم وذلك لأن كل محارب يقرع الآخر بسيفه ورمحه وما أشبه، ودعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ كناية عن طلب إضعاف قوّة العدو بشتى مظاهرها حيث لا منازلة اليوم بين الرجال والأبطال، بل بين القواعد العسكرية والأساطيل البحرية والجوية والأسلحة بكافة أنواعها (وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مَنْ مَلائِكَتِكَ بِبَأْسٍ) وشدة (مِنْ بَأْسِكَ) أي: من الشدّة التي هي من عندك (كَفِعْلِكَ) بالكفار (يَوْمَ بَدْرٍ) حيث أنزلت على المسلمين الملائكة فأخذوا يحاربون الكفار (تَقْطَعْ بِهِ) أي: بالجند من الملائكة (دابِرَهُمْ)

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

أي: عقبهم ومن بقي منهم حتى لا يبقى منهم أحد (وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ) أي: عزهم وجاههم، كما تحصد العشب (وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ) حتى لا يكونوا مجتمعين ضد المسلمين.

طلب الرمي بالوباء والبلايا والخراب للأعداء:

(اللّهُمَّ وَامْزُجْ مِياهَهُمْ بِالوَباءِ) فإن جراثيم الوباء تأتي إلى الماء فمن شرب منه تمرض به (وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالأَدْواءِ) جمع داء أي: الأمراض، فإن الجراثيم قد تدخل الأطعمة فمن أكل منها مرض، ودعاء الإمام عليه السلام يومىء إلى أنَّ الأمراض كلها أو جلها ترجع إلى الأطعمة والأشربة، ولا ريب في ذلك عند أهل الاختصاص. وفي الحديث الشريف: «**المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا بدناً ما اعتاد**» وإنما كانت المعدة بيت الداء، لأنها مستودع الغذاء طعاماً وشراباً. وبالمناسبة كان القدامى يتصارعون ويتطاحنون على الماء تماماً كما هي الحال الآن بين الدول الكبرى في التنافس والتسابق إلى الذهب الأسود (وَارْمِ بِلادَهُمْ بِالخُسُوفِ) أي: بأن تخسف في الأرض، والمعنى أَن تنشق الأرض وتبتلع ما على ظهرها مما يملكون ويقتنون، قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ

﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾[1] (وَألِحَّ عَلَيْها بِالقُذُوفِ) بريح عاصفة قاصفة لاتبقى ولاتذر لهم من شيء، وبتعبير آخر: أكثر عليها بالرمي بالبلايا والخراب، والقذوف: جمع قذف، كأن المرض شيء يقذف ويرمى إليهم وكذا سائر أقسام البلاء (وَافْرَعْها) أي: فرقها (بِالمُحُولِ) جمع محل بمعنى الجدب والقحط، فإن البلاد إذا أجدبت تفرق أهلها (وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ) جمع ميرة بمعنى الطعام يجلب من بلد لآخر (في أَحَصِّ أَرْضِكَ)) في أكثرها جدباً وأقلها خيراً، وبتعبير آخر: أخلاها من العشب والنبات، وهذا كناية عن قلّة الطعام (وَأبْعِدها عَنْهُمْ) حتى تكلفهم كثيراً في نقلها ويصعب عليهم أمرها (وَامْنَعْ حُصُونَها مِنْهُمْ) أي: امنع حصون الأرض والأقوات من أن يصلوا إليها ويتحصنوا بها (أَصِبْهُمْ) من الإصابة بمعنى الإيصال (بِالجُوعِ المُقِيمِ) فيهم (وَالسُّقْمِ) أي: المرض (الأَلِيمِ) أي: المؤلم.

طلب التوفيق في السير إلى العدو وقتاله:

(اللّهُمَّ وَأَيُّما غازٍ) ومحارب حاربهم، الغزو: السير إلى العدو وقتاله في عقر داره (مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ) أي: أهل دينك، والملة:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨١.

الشريعة الدينية وأيضاً تطلق على الدين بوجه عام (أَوْ مُجاهِدٍ جاهَدَهُمْ مِنْ أَتْباعِ سُنَّتِكَ) أي: التابعين لدينك وسنتك والمراد بها الشريعة والإسلام، والجهاد أعم وأشمل من الغزو (لِيَكُونَ دِينُكَ الأَعْلى وَحِزْبُكَ الأَقْوىَ وَحَظُّكَ الأَوْفى) والأكثر من سائر الحظوظ، أي: كان قصد الغازي والمجاهد ترفيع كلمة الإسلام، ولما دعا الإمام عليه السلام لأهل الثغور وحماة الحدود، دعا لكل من غزا وجاهد لنصرة الحق وإعزازه وخذلان الباطل وإذلاله (فَلَقِّهِ اليُسْرَ) أي: يسر له الأمر (وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ) في جهاده وغزوه (وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ) أي: اشمله بعنايتك ورعايتك، واكتب له الفوز والنجاح في جهاده (وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحابَ) أي: اختر له أصحاباً - من أهل الصدق والوفاء لا من أهل الكذب والرياء - يساعدونه في جهاده وغزوه (وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ) أي: قوّ ظهره، والمراد بالظهر هنا كل ما يركب من سيارة أو فرس تبعاً للزمان وتطوره (وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ في النَّفَقَةِ) اغنه من فضلك، ووسع عليه من رزقك لكي تكون نفقته واسعة زائدة (وَمَتِّعْهُ بِالنَّشاطِ) بأن يكون نشيطاً في جهاده ومحاربته (وَأَطْفِ عَنْهُ حَرارَةَ الشَّوْقِ) بأن لا تضره حرارة باطنه فإن أكثر ما يضر المزاج حرارة الاشتياق فألهمه الصبر على فراق الأهل والصحب والوطن (وَأَجِرْهُ) أي: احفظه (مِنْ غَمِّ الوَحْشَةِ) أي: الحزن الذي ينتاب الإنسان المستوحش

فإن في الجهاد وحشة وهولاً (وَأْنِسه ذِكْرَ الأَهْلِ وَالوَلَدِ) حتى لا يذكرهم فيهتم ويغتم لذلك، فأنس اللهم وحشته، وارحم غربته (وَآثِرْ) من الإيثار بمعنى الاختيار (لَهُ حُسْنَ النيَّةِ) حتى تكون نيته نية حسنة توجب الثواب، ومعنى حسن النيه في الجهاد أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم (وَتَوَلَّهُ بِالعَافِيَةِ) بأن تعافيه من الأمراض النفسية والبدنية فامنن عليه بعافية الدنيا والآخرة (وَاصْحِبْهُ السَّلامَةَ) في دينه وعقله وقلبه وجسمه حتى يذهب ويرجع سالماً (وَأعْفِهِ مِنَ الجُبْنِ) أي: بعده عنه حتى لا يجبن، أبداً لا نجاح مع الجبن في أي شيء (وَألْهِمْهُ الجُرْأَةَ) بأن يكون جريئاً في الإقدام والمحاربة، فالجرأة العاقلة مع الصبر فهي سبيل الفوز والفلاح، قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «**قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان**» (وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ) فيكون شديداً على الأعداء (وَأيِّدْهُ) أي: قوّه (بِالنُّصْرَةِ) بأن تنصره على أعدائه (وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ) السير جمع سيرة وهي الكيفية التي سار عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مختلف أموره، والسنن جمع سنّة وهي الأحكام الإسلامية، والمعنى سهل عليه سبيل العلم النافع، بخاصة المعرفة بسير الصالحين المصلحين وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وغني عن البيان أنَّ لهذه المعرفة قيمتها في التوجيه والتمييز بين ما ينبغي فعله وما يجب تركه

(وَسَدِّدْهُ فِي الحُكْمِ) حتى إذا حكم يكون حاكماً بالعدل والحق (وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ) حتى لا يكون مرائياً في أعماله وجهاده (وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ) حتى لا يعمل لأجل أن يسمع الناس به فيمدحوه (وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ) الظعن: السير والرحيل أي: سفره (وَإِقامَتَهُ فِيكَ) أي: في رضاك (وَلَكَ) أي: لأجلك، والمعنى: اجعل جميع أقواله وأفعاله ومقاصده فيما يرضيك بحيث لايقدم بل ولايعزم على ارتكاب المحارم واكتساب المآثم (فإذا صافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ) أي: وقف في الصف المقابل له (فَقَلِّلْهُمْ) أي: الأعداء (في عَيْنِهِ) فإن الإنسان إذا رأى العدو قليلاً تجرأ في محاربته أكثر وبتعبير آخر اجعله في قلب المعركة يخشاك ولا يخشى سواك (وَصَغِّرْ شَأْنَهُم في قَلْبِهِ) حتى لا يرى لهم شأناً يذكر فيخاف منهم (وَأدِلْ لَهُ مِنْهُمْ) أي: غلبة عليهم، فيقال أدال له، أي: أعطاه الدولة، والمعنى انصر الطيبين على الخبثاء المعتدين، لا عكس (وَلا تُدِلْهُمْ مِنْهُ) أي: لا تأخذ الدولة من هذا الشخص للأعداء (فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعادَةِ) بأن سعد في آخر عمره حيث قتل (وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهادَةِ) وسمي الشهيد شهيداً لحضور ملائكة الرحمة عنده أو غير ذلك مما ذكروه (فَـ) افعل ذلك به (بَعْدَ أَنْ يَجْتاحَ عَدُوَّكَ بِالقَتْلِ) الاجتياح القتل والاستئصال (وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الأَسْرُ) بأن يتعبوا في أسرهم

(وَبَعْدَ أَنْ تَأمَنَ أَطْرافُ المُسْلِمِينَ) أي: أطراف بلادهم (وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّي عَدُوَّكَ مُدْبِرِينَ) منهزمين، فليكن ذلك ثمنا لانتصار الحق والعدل على الظلم والفساد. وفي شتى الأحوال فإن اللّه سبحانه لايأذن بالحرب والقتال لمجرد الغضب والعاطفه، وبلا تعقل وتدبر ولا إعداد العدة. وقديماً قيل: «**لايفل الحديدَ إلا الحديدُ**».

خليفة المجاهد في سبيل اللّه:

(اللّهُمَّ وَأيُّما مُسْلم خَلَفَ غَازِياً) أي: تخلف من بعده بأن صار خليفةً مجاهداً في سبيل اللّه (أَوْ) خلّف (مُرابِطاً) وهو الذي يذهب إلى الثغر ليبقى فيه ناظراً إلى أعمال العدو (في دارِهِ) كأن بقي زيد خليفة في دار عمرو المجاهد أو المرابط. وبعد أن دعا الإمام عليه السلام لكل جندي وفدائي يدافع بنفسه عن دينه ووطنه، دعا للكفيل الذي يخلف هذا المجاهد في داره وأهله، يرعاهم، ويقوم بحوائجهم في غيابه (أَوْ تَعَهَّدَ خالِفِيهِ) أي: من خلف المجاهد ورائه كأن تعهد زيد أهل عمرو المجاهد، وبتعبير آخر: أي تردد وتفقد أهل المجاهد أو كفيلهم، وسأله عن حالهم، وعرض الخدمة والمساعدة (في غَيْبَتِهِ) أي: في حال غيبة المجاهد وابتعاده عن أهله (أَوْ أعانَهُ) أي: أعان المجاهد أو المرابط (بِطائِفَةٍ مِنْ مالِهِ) أي:

بجملة منه (أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتاد) العدة الحربية والآلة (أَوْ شَحَذَهُ) أي: ساقه وحمله ورغبه (عَلى جِهَاد) العدو (أَوْ أَتْبَعَهُ في وَجْهِهِ دَعْوَةً) بأن دعا له أمام وجهه وقبل ذهابه، بالنصرة وغيرها (أَوْ رَعى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ) بعد ذهاب المجاهد (حُرْمَةً) كأن رد الاغتياب عنه أو نحو ذلك، من حفظ مكانته وكرامته في غيابه (فَآجِرِ) أي: أعط يا رب الأجر (لَهُ) أي: هذا الذي فعل بالمجاهد أحد تلك الأفعال التي ذكرناها (مِثْلَ أَجْرِهِ) أي: مثل أجر ذلك المجاهد (وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلاً بِمِثْلٍ) حتى يكون أجره على قدر عمله، وبتعبير آخر: كل من أعان مجاهداً أو أدخل عليه السرور أو على ذويه بجهة من الجهات- فاكتب له أجر المجاهد بالذات، ولا تنقصه عنه شيئاً، فإن خزائنك تفيض ولا تغيض (وَعَوِّضْهُ) يا رب (مِنْ فِعْلِه) الذي فعل بهذا المجاهد (عِوَضاً حَاضِراً) في الدنيا (يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ ما قَدَّمَ) يقال تعجل به، إذا أخذه بسرعة أي: يأخذ بسرعة فائدة العمل الذي قدمه إلى آخرته، إلى خدمة المجاهد ليوجب أجر الآخرة (وَ) يتعجل به (سُرُورَ ما أَتى بِهِ) أي: يأخذ بعض سرور عمله، هنا في الدنيا، قبل الآخرة ويبقى هذا النفع والسرور لديه (إلى أَنْ يَنْتَهِيَ به الوَقْتُ إلى) الآخرة التي فيها (ما أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرامَتِكَ) من الثواب والأجر.

نصرة الإسلام وتقدمه:

(اللّهُمَّ وَأيُّما مُسْلم أهَمَّهُ أَمْرُ الإسْلام) وتقدمه على الأديان الأخرى (وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ) واجتماعهم (عَلَيْهِمْ) أي: على المسلمين (فَنَوى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهادٍ) ولا يخفى أن مفهوم الجهاد أعم من مفهوم الغزو، وإن كان تقابلهما يوجب صرف الغزو إلى قسم ضعيف من الجهاد والجهاد إلى قسم أقوى (فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ) عرض له مانع من مرض أو عجز مادي أو أي شيء- لم يقدر معه على الخروج (أَوْ أَبْطَأَتْ به فَاقَةٌ) أي: فقر (أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ) أي: عن الغزو أو الجهاد (حادِثٌ) حدث له (أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إرادَتِه) أي: قبل وصوله إلى إرادته (مَانِعٌ) فلم يتمكن من الجهاد (فاكْتُبِ) اللهم (اسْمَهُ في العابِدِينَ) الذين عبدوا لك فإن الجهاد من أفضل أقسام العبادة (وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوابَ المَجاهِدِينَ وَاجْعَلْهُ في نِظامِ الشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ) لأنه عقد قلبه على الجهاد، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾[1] وفي الحديث الشريف: «**من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه**» وقال تعالى:

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[1]. وما من شك أن نية الخير بمجردها خير، وقد ورد أن نية الخير خير من عمله.

الصلاة الأتم على الرسول وآله صلواتك عليه وعليهم:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ و) صلِّ على (آلِ مُحَمَّد، صَلاةً عالِيَةً عَلَى الصَّلَواتِ) بأن تكون أشرف من سائر أنحاء عطفك ورحمتك على غيرهم من الناس (مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيّاتِ) من [حياة] أصله بمعنى حيا، ثم استعمل في مطلق الترحيب والتكرمة لدى الملاقات (صَلاةً لا يَنْتَهي أَمَدُها) أي: امتدادها (ولا ينقطعُ عَدَدُها) لكثرة أعدادها (كَأَتَمِّ مَا مَضى مِنْ صَلَواتِكَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ) يعني تكون هذه الصلاة على الرسول وآله على غرار تلك الصلاة الأتم (إِنَّكَ المَنّانُ الحَمِيدُ) أي: ذو المنة، المحمود في إنعامه (المُبْدِئُ) الذي تبدي كل شيء وتوجده (المُعِيدُ) الذي تعيد الإنسان بعد فنائه، أو هو مطلق بالنسبة إلى إعادة كل شيء يعاد بعد فنائه (الفَعّالُ لِما تُرِيد) فكل شيء تريده تفعله، لا يمتنع عليك شيء.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم

ويسمى هذا الدعاء بالجوشن الصغير، والجوشن بمعنى الدرع، وكان من دعائه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم:

إِلهي هَدَيْتَني فَلَهَوْتُ، وَوَعظْتَ فَقَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتَ الجَميلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرفْتُ ما أَصْدَرْتَ إِذْ عَرَّفْتَنيه، فَاسْتَغْفَرْتُ فَأَقَلْتَ، فَعُدْتُ فَسَتَرْتَ، فَلَكَ إِلهي الحَمْدُ، تَقَحَّمْتُ أَودِيَةَ الهَلاك، وَحَلَلْتُ شِعابَ تَلَف، تَعَرَّضْتُ فيها لِسَطَواتِك وَبِحُلُولها لِعُقُوباتِك، وَوَسيلَتي إِلَيْكَ التَّوْحيدُ، وَذَريعَتي أَنّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً، وَلَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إِلهاً، وَقَدْ فَرَرْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسي، وَإِلَيْكَ مَفَرُّ المُسيءِ وَمَفْزَعُ المُضَيِّعِ لِحَظِّ نَفْسِهِ المُلْتَجِئ فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضى عَلَيَّ سَيْفَ عَداوَتِه، وَشَحَذَ لي ظُبَةَ مُدْيَتِه، وَأَرْهَفَ لي شَبا حَدِّه، وَدافَ لي قَواتِلَ سُمُومِه، وَسَدَّدَ نَحْوي صَوائِبَ سِهامِه، وَلَمْ تَنَمْ عَنّي عَيْنُ حِراسَتِه، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَني المَكْرُوهَ، وَيُجَرِّعَني زُعافَ مَرارَتِه، فَنَظَرْتَ يا إِلهي إِلى ضَعْفي عَنِ احْتِمالِ الفَوادِحِ، وَعَجْزي عَنِ الانْتِصارِ مِمَّنْ قَصَدَني بِمُحارَبَتِه، وَوَحْدَتي في كَثيرِ عَدَدِ مَنْ ناواني، وَأَرْصَدَ لي بِالبَلاءِ فيما لَمْ أُعْمِلْ فيهِ فِكْري، فَابْتَدَأْتَني بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْري بِقُوَّتِك، ثُمَّ فَلَلْتَ لي حَدَّهُ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَديدٍ وَحْدَهُ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبي عَلَيْهِ، وَجَعَلْتَ ما سَدَّدَهُ مَرْدُوداً عَلَيْهِ، فَرَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ وَلَمْ يَسْكُنْ غَليلُهُ، قَدْ

عَضَّ على شَواهُ وأدبَرَ مُوليّاً قَدْ أخْلَفَتْ سَراياهُ، وكَمْ مِنْ باغٍ بَغاني
بِمَكائِدِهِ وَنَصَبَ لي شَرَكَ مَصائِدِهِ، وَوَكَّلَ بي تَفَقُّدَ رِعايَتِهِ، وَأَضْبأَ
إلَيَّ إضْباءَ السَّبُعِ لِطَرِيدَتِهِ انْتِظاراً لانْتِهازِ الفُرْصَةِ لِفَرِيسَتِهِ،
وَهُوَ يُظْهِرُ لِي بَشاشَةَ المَلَقِ، وَيَنْظُرُني عَلى شِدَّةِ الحَنَقِ، فَلَمّا
رَأَيْتَ يا إلهي تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ دَغَلَ سَرِيرَتِهِ وَقُبْحَ ما انْطَوى عَلَيْهِ،
أرْكَسْتَهُ لأُمِّ رَأْسِهِ فِي زُبْيَتِهِ، وَرَدَدْتَهُ فِي مَهْوى حُفْرَتِهِ، فَانْقَمَعَ بَعْدَ
اسْتِطالَتِهِ ذَلِيلاً فِي رِبَقِ حِبالَتِهِ الَّتي كانَ يُقَدِّرُ أنْ يَراني فِيها وَقَدْ
كادَ أنْ يَحُلَّ بي لَوْلا رَحْمَتُكَ ما حَلَّ بِساحَتِهِ، وَكَمْ مِنْ حاسِدٍ قَدْ
شَرِقَ بي بِغُصَّتِهِ، وَشَجِيَ مِنِّي بِغَيْظِهِ وَسَلَقَنِي بِحَدِّ لِسانِهِ وَوَحَرَنِي
بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَجَعَلَ عِرْضِي غَرَضاً لِمَرامِيهِ، وَقَلَّدَنِي خِلالاً لَمْ
تَزَلْ فِيهِ، وَوَحَرَنِي بِكَيْدِهِ، وَقَصَدَنِي بِمَكِيدَتِهِ، فَنادَيْتُكَ يا إلهي
مُسْتَغِيثاً بِكَ، واثِقاً بِسُرْعَةِ إجابَتِكَ، عالِماً أنَّهُ لا يُضْطَهَدُ مَنْ أوى
إلى ظِلِّ كَنَفِكَ، وَلا يَفْزَعُ مَنْ لَجَأَ إلى مَعْقِلِ انْتِصارِكَ، فَحَصَّنْتَنِي
مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ وَكَمْ مِنْ سَحائِبِ مَكْرُوهٍ جَلَّيْتَها عَنِّي، وَسَحائِبِ
نِعَمٍ أمْطَرْتَها عَلَيَّ، وَجَداوِلِ رَحْمَةٍ نَشَرْتَها، وَعافِيَةٍ أَلْبَسْتَها وَأعْيُنِ
أَحْداثٍ طَمَسْتَها، وَغَواشِيَ كُرُباتٍ كَشَفْتَها، وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ
حَقَّقْتَ، وَعَدَمٍ جَبَرْتَ وَصَرْعَةٍ أنْعَشْتَ وَمَسْكَنَةٍ حَوَّلْتَ، كُلُّ ذلِكَ
إنْعاماً وَتَطَوُّلاً مِنْكَ، وَفِي جَمِيعِهِ انْهِماكاً مِنِّي عَلى مَعاصِيكَ، لَمْ
تَمْنَعْكَ إساءَتِي عَنْ إتْمامِ إحْسانِكَ، وَلا حَجَرَنِي ذلِكَ مِنِ ارْتِكابِ

مَساخِطِكَ، لا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ، وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَاسْتُميحَ فَضْلُكَ فَما أَكْدَيْتَ، أَبَيْتَ يا مَوْلايَ إِلاَّ إِحْساناً وَامْتِناناً وَتَطَوُّلاً وَإِنْعاماً، وَأَبَيْتُ إِلاّ تَقَحُّماً لِحُرُماتِكَ، وَتَعَدِّياً لِحُدُودِكَ وَغَفْلَةً عَنْ وَعيدِكَ. فَلَكَ الْحَمْدُ إِلهي مِنْ مُقْتَدِرٍ لا يُغْلَبُ وَذي أَناةٍ لا تَعْجَلُ، هَذا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النِّعَمِ وَقابَلَها بِالتَّقْصيرِ، وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بِالتَّضْييعِ، اللّهُمَّ فَإِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفيعَةِ، وَالْعَلَوِيَّةِ الْبَيْضاءِ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِما أَنْ تُعيذَني مِنْ شَرِّ كَذا وَكَذا، فَإِنَّ ذلِكَ لا يَضيقُ عَلَيْكَ في وُجْدِكَ، وَلا يَتَكَأَّدُكَ في قُدْرَتِكَ، وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ فَهَبْ لِي يا إِلهي مِنْ رَحْمَتِكَ وَدَوامِ تَوْفيقِكَ ما أَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ إِلى رِضْوانِكَ وَآمَنُ بِهِ مِنْ عِقابِكَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ[1].

اللغة:

(فَلَهَوْتُ): اللهو: الاشتغال بما يستمتع به مما لا يعنيه عما يعنيه. (وَوَعَظْتَ): الوعظ: زجر مقترن بالتخويف. (وَأَبْلَيْتَ): أعطيت. (أَصْدَرْتَ): الإصدار: خلاف الإيراد يقال أصدرت الإبل إذا أتيت بها للشرب وأصدرتها إذا صرفتها. (فَأَقَلْتَ): عفوت. (فَعُدْتُ): رجعت.

(١) الدعاء التاسع والأربعون من الصحيفة السجادية.

(تَقَحَّمْتُ): دخلت. (شِعابَ): جمع شعب الطريق في الجبل أو مسيل الماء. (تَلَف): التلف: الهلاك. (لِسَطَواتِكَ): السطوة: البطش بشدة. (وَذَرِيعَتِي): الذريعة: الوسيلة. (فَرَرْتُ): فرَّ: هرب. (المُضَيِّعِ): التضيع: إهمال الشيء حتى يذهب. (لِحَظِّ): الحظ: النصيب. (المُلْتَجِئِ): التجاء إليه: اعتصم به. (انْتَضى): السيف جرده وسله. (وَشَحَذَ): السيف أحده ورقق شفرته. (ظِبَةَ): حد السيف ونحوه. (مُدْيَتِهِ): بتثليث الميم الشفرة. (وَأَرْهَفَ): أرهفت السيف: رققته. (شَبا): السنان: طرفه المحدود. (حَدِّه): حده: طرفه المحدود والحدّة في الإنسان البأس. (وَدافَ): خلط. (وَسَدَّدَ): سدد السهم: وجهه إليه. (يَسُومَنِي): يطلب لي ويريد. (وَيُجَرَّعَنِي): الجرعة: من الماء كاللقمة من الطعام ويجرعني أي يشربني شيئاً فشيئاً. (زُعافَ) الزعاق: الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه. (الفَوادِحِ): المصائب الشديدة. (ناواني): عاداني. (وَأَرْصَدَ): الإرصاد: الانتصار وقيل هو مع العداوة. (أَزْرِي): الأزر: القوّة الشديدة. (فَلَّتَ): كسرت وثلمت. (عَديدٍ): كثير. (كَعْبِي): الكعب: في الأصل للعظم الناتىء فوق قدم الإنسان أو عند ملتقى الساق والقدم وهنا كناية عن الشرف والعلو. (سَدَّدَهُ): وجهه نحوي. (غَيْظَهُ): الغيظ: الغضب الشديد.

(غَليلُهُ): الغليل: حرارة العطش ويطلق على الحقد. (شَوَاهُ): أطراف أصابعه. (سَراياهُ): السرايا: جمع سرية قطعة من الجيش. (باغٍ): ظالم. (بَغانِي): طلبني. (بِمَكائِدِهِ): خدعه. (شَرَكَ): الشرك: حبائك الصائد. (مَصائِدِهِ): جمع مصيدة آلة الصيد. (تَفَقُّدَ): تفقدت الشيء: طلبته عند فقده وغيبته. (إِضْباءَ): استتر واختفى ليخدع. (لِطَرِيدَتِهِ): الطريدة: الفريسة- الصيد. (لانْتِهازِ): انتهز الأمر: اغتنمه. (الفُرْصَةِ): الحالة التي يتمكن فيها من المطلوب. (بَشاشَةَ): طلاقة الوجه. (المَلَقِ): التملق: التودد والتلطف. (الحَنَقِ): الغيظ الشديد. (دَغَلَ): بالتحريك الفساد والريبة. (سَرِيرَتِهِ): السريرة: ما يسره الإنسان ويضمره. (أَرْكَسْتَهُ): قلبه على رأسه. (لأُمِّ رَأسِهِ): أم الرأس: الدماغ وقيل الجلدة الرقيقة التي تكون على الدماغ.

(زُبْيَتِهِ): الزبية: بالضم حفرة تحفر في موضع عال يصاد فيها الأسد ونحوه. (حُفْرَتِهِ): الحفرة: بالضم الحفيرة ما يحفر من الأرض. (فَانْقَمَعَ): القمع: القهر والاذلال. (اسْتِطالَتِهِ): الاستطاله: الترفع والعلو. (رِبَقِ): جمع ربقة وهي العروة في الحبل تشد بها الحيوانات.

(حِبالَتِهِ): الحبالة: الشرك الذى يصطاد به. (شَرِقَ): شرق بريقه غص به. (بِغُصَّتِهِ): والغصة: بالضم ما نشب في

الحلق واعترض فلم يجر فيه. (وَشَجِيَ): الشجي: ما يعترض في الحلق من عظم وغيره. (بِغَيْظِهِ): الغيظ: شدة الغضب. (وَسَلَقَني): سلقه بلسانه: خاطبه بما يكره. (وَوَحَرَني): الوحر: امتلاء الصدر من الغيظ. (بِقَرْفِ): القرف: التهمة. (عِرْضي): العرض: ما يصونه الإنسان ويحامي عنه أن يعاب. (غَرَضاً): الغرض: الهدف. (لِمَراميهِ): سهامه التى يرميها. (وَقَلَّدَني): القلادة: ما يجعل في العنق. (خِلالاً): الخلال: جمع خلة وهي الخصلة. (يُضْطَهَدُ): الاضطهاد: القهر. (أوى): إليه: التجاء إليه. (ظِلٍّ): أصله الفيء ويستعمل في العز. (كَنَفِكَ): الكنف: بفتحتين الجانب. (يَفْزَعُ): الفزع: الخوف.

(مَعْقِلٍ): المعقل: الملجأ. (سَحائِبِ): جمع سحابة وهي الغيمة. (جَلَّيْتَها): كشفتها.

(وَجَداوِلِ): جمع جدول النهر الصغير. (نَشَرْتَها): أجريتها وبسطها. (أَحْداثٍ): الأحداث: النوائب. (طَمَسْتَها): الطمس: المحو وإزالة الأثر. (وَغَواشِيَ): جمع غاشية من غشيه يغشاه إذا ستره وغطاه. (كُرُباتٍ): الغموم. (وَعَدَم): العدم: بفتحتين وبالضم والسكون الفقر. (جَبَرْتَ): أصلحت ما انكسر. (وَصَرْعَةٍ): الصرعة: الوقوع على الأرض. (أَنْعَشْتَ): أنعشه: أقامه ورفعه. (وَتَطَوُّلاً): التطول: الإفضال. (اِنْهِماكاً): انهمك

في الأمر: جد فيه وألح. (حَجَرَني): منعني. (مَساخِطِكَ): من السخط وهو الغضب. (وَاسْتُميحَ): استمحته سماحة: سألته العطاء. (أَكْدَيْتَ): أكدى: منع وجحد وبخل. (أَبَيْتَ): امتنعت. (تَقَحُّماً): تقحم الأمر: دخل فيه بدون روية ولا تأمل. (لِحُرُماتِكَ): الحرمات: بضمتين جمع حرمة ما حرّمه الله تعالى. (وَعيدِكَ): الوعيد: التهديد. (أَناةٍ): الأناة: عدم العجلة. (بِسُبُوغِ): سبغت النعمة: اتسعت وفاضت. (بِالتَّضْييعِ): التضييع: الإهمال وعدم التحفظ على الشيء حتى يهلك. (الرَّفيعَةِ): العالية الشريفة. (وُجْدِكَ): غناك. (وَلا يَتَكَأَّدُكَ): لا يصعب ولا يشق عليك. (أَعْرُجُ): العروج: الصعود.

الشرح:

مقتضى الهداية هو العمل الصالح:

(إِلهي هَدَيْتَني فَلَهَوْتُ) أي: لعبت ولم أعمل حسب مقتضى الهداية من العمل الصالح (وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ) أي: قسى قلبي فلم أعمل حسب العظة، يقول عليه السلام في موضع آخر: إِلهي إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْبَاً قاسِياً مَعَ الْوَسْواسِ مُتَقَلِّباً، وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً، وَعَيْنَاً عَنِ الْبُكاءِ مِنْ خَوْفِكَ جامِدَةً، وَإِلى ما تَسُرُّها طامِحَةً. (وَأَبْلَيْتَ الجَميلَ) أي: أعطيت العطاء الجميل (فَعَصَيْتُ) عوض

أن أشكرك (ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتَ) أي: ما أعطيتني، أي: تنبهت إلى عطائك وإحسانك لي (إِذْ عَرَّفْتَنيهِ) معرفة كاملة (فَاسْتَغْفَرْتُ) لك عما سلف مني (فَأَقَلْتَ) أي: تبت علي وقبلت معذرتي (فَعُدْتُ) أي: رجعت إلى عصيانك بعد التوبة (فَسَتَرْتَ) ذنبي ولم تفضحني (فَلَكَ إِلهي الحَمْدُ) على كل ذلك (تَقَحَّمْتُ) أي: ألقيت نفسي دفعة في (أَوْدِيَةَ الهَلاكِ) جمع وادي: الصحارى الموجبة لهلاك السائر فيها والمراد بها محلات المعصية (وَحَلَلْتُ) أي: دخلت ونزلت (شِعابَ تَلَفٍ) جمع شعب وهو الصدع في الجبل، أي: الشعاب الموجبة لتلف الإنسان (تَعَرَّضْتُ فيها) أي: في تلك الأودية والشعاب (لِسَطَواتِكَ) أي: لأقسام أخذك وانتقامك (وَبِحُلُولِها) أي تعرضت بحلول تلك الشعاب والأودية (لِعُقُوباتِكَ) بي (وَوَسيلَتي إِلَيْكَ) في نجاتي والعفو عني (التَّوْحيدُ) فإني موحد لك (وَذَريعَتي) أي وسيلتي في نجاتي من عذابك (أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً) أي لم أجعل لك شريكاً بل وحدتك (وَلَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إِلهاً) كما يفعل المشركون (وَقَدْ فَرَرْتُ إِلَيْكَ) يا رب (بِنَفْسي) والمراد بالفرار: الالتجاء إليه تعالى حتى لا يعاتبه بذنبه (وَإِلَيْكَ مَفَرُّ المُسيءِ) فإن الشخص الذي يسيء ويذنب لا ملجأ له إلا إليه تعالى، في موضع آخر يقول عليه السلام: «**يا سَيِّدي اِنْ وَكَلْتَني اِلى نَفْسي هَلَكْتُ، سَيِّدي فَبِمَنْ أَسْتَغيثُ إِنْ لَمْ**

تُقلني عَثرَتي، فإلى مَنْ أفْزَعُ إنْ فَقَدْتُ عنايَتَك في ضَجْعَتي»[1]

(وَمَفْزَعُ المُضَيِّعِ لِحَظِّ نَفْسِهِ) فإن الإنسان بعصيانه قد ضيع حظ نفسه من السعادة والرفعة (المُلْتَجِئِ) أي: الذي يلتجئ ويلوذ فراراً من المكروه الذي يوشك أن يصل إليه.

طلب الحراسة والرقابة والحماية:

(فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضى) أي: سل وأخرج من غمده (عَلَيَّ سَيْفَ عَداوَتِهِ، وَشَحَذَ) أي: حدّه حتى يقطع سريعاً (لِي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ) المدية: السكين العظيمة والظبة طرفها (وَأَرْهَفَ) أي: رقق ليقطع بسرعة، ولا يكون كليلاً (لِي شَبا حَدِّهِ) أي: طرف حدة سكينه (وَدافَ) أي: مزج بماء ونحوه (لِي قَواتِلَ سُمُومِهِ) أي: سمومه القتالة (وَسَدَّدَ نَحْوِي) أي: وجه إلى جانبي (صَوائِبَ سِهامِهِ) أي: سهامه الصائبة (وَلَمْ تَنَمْ عَنِّي عَيْنُ حَراسَتِهِ) فهو يحرسني ويراقب أعمالي وأحوالي ليلاً ونهاراً (وَأَضْمَرَ) أي: نوى (أَنْ يَسُومَنِي المَكْرُوهَ) سامه أي: أورد عليه ما يكره (وَيُجَرِّعَنِي) أي: يشربني جرعة جرعة (زُعافَ مَرارَتِهِ) الزعاف السم ونحوه، والإضافة للصفة إلى الموصوف أي: مرارة زعافه (فَنَظَرْتَ يا إِلهي إِلى ضَعْفي عَنِ احْتِمالِ الفَوادِحِ) جمع فادحة: بمعنى

---

(١) مفاتيح الجنان: من دعاء أبي حمزة الثمالي.

الشيء الثقيل والمصيبة وما أشبه (وَعَجْزِي عَنْ الانْتِصارِ مِمَّنْ قَصَدَني بِمُحارَبَتِه) أي: لا أقدر على أن أغلب من يريد محاربتي (وَوَحْدَتي فِي كَثِيرِ عَدَدِ مَنْ ناواني) المناواة: بمعنى المعاداة، و مثله قول والده سيد الشهداء عليه السلام يوم كربلاء: وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلان الناصر (وَأَرْصَدَ لي بِالبَلاءِ) أي: راقبني لأن يصب عليّ البلاء والمكروه (فيما لَمْ أُعْمِلْ فيه فِكْري) أي: لم أدر وجه البلاء الذي يريد أن يوجهه نحوي (فَابْتَدَأتَني بِنَصْرِكَ) بأن نصرتني ابتداءً (وَشَدَدْتَ أَزْرِي) أي: ظهري (بِقُوَّتِكَ) وكفايتك (ثُمَّ فَلَلْتَ لِي حَدَّهُ) أي: كسرت لي سورته وشدته، والفل ضد الشحذ (وَصَيَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَديدٍ) أي: أنصاره المتعددة (وَحْدَهُ) متوحداً (وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي) الكعب: الرجل (عَلَيْهِ) وهذا كناية عن تمام الاستيلاء (وَجَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ) أي: وجهه نحوي من السهام (مَرْدُوداً عَلَيْه) بأن جرح نفسه بسهمه (فَرَدَدْتَهُ) أي: ذلك الشخص، في حال كونه (لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ) وغضبه بأذيتي بل بقي غيظه في صدره (وَلَمْ يَسْكُنْ غَليلُه) أي: حرارة غيظه للانتقام مني، قال تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾[1] (قدْ عَضَّ عَلى شَوَاهُ) أي: أطراف بدنه، فإن الغضبان يعض على أنامله وما أشبه حين شدة الغضب (وَأَدْبَرَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

مُوَلِيّاً قَدْ أَخْلَفَتْ سَرايَاهُ) جمع سرية: وهي القطعة من الجيش أي: أخلفه عسكره الذي هيأه للانتقام مني (وَكَمْ مِنْ باغٍ) أي: ظالم (بَغانِي) أي: ظلمني (بِمَكائِدِهِ) جمع مكيدة (وَنَصَبَ لِي شَرَكَ مَصائِدِهِ) الشرك: الحبالة التي توضع للصيد، والمصائد جمع مصيدة وهي آلة للصيد، والإضافة للبيان (وَوَكَّلَ بي تَفَقُّدَ رِعايَتِهِ) أي: أخذ يراقبني دائماً (وَأَضْبَأَ إِلَيَّ) أي: أشرف علي ينظرني ويراقبني (إِضْباءَ السَّبُعِ لِطَرِيدَتِهِ) هي الفريسة التي يطاردها الصياد ليأخذها، ينتظر (انْتِظاراً لانْتِهازِ الفُرْصَةِ) يقال: انتهز الفرصة، إذا اغتنمها (لِفَرِيسَتِهِ) أي: الشيء الذي يفترسه ويصيده (وَهُوَ يُظْهِرُ لِي بَشاشَةَ المَلَقِ) أي: بشاشة المتملق لأن يقربني إلى نفسه، وكذا كل من يريد الخدعة يظهر الحب ويبطن البغضاء (وَيَنْظُرُنِي عَلى شِدَّةِ الحَنَقِ) أي: شدة الغيظ فنظر إلي هكذا لا كنظر المحب (فَلَمَّا رَأَيْتَ يا إِلهي تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ) أي: لك الثبات والعلو (دَغَلَ سَرِيرَتِهِ) أي: فساد ضميره وباطنه علي (وَقُبْحَ مَا انْطَوى عَلَيْهِ) أي: أضمره (أَرْكَسْتَهُ) أي: رددته (لأُمِّ رَأْسِهِ) أي: مقلوباً على رأسه، وأم الرأس: هي الدماغ، واللام بمعنى على، أي: على أم رأسه كقوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾[1] (فِي زُبْيَتِهِ) أي: حفرته التي حفرها

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٠٧.

لأجل إلقائي فيها (وَرَدَدْتَهُ في مَهْوى) أي: محل الهوي والسقوط (حُفْرَتِهِ) التي حفرها لي (فَانْقَمَعَ بَعْدَ اسْتِطالَتِهِ) أي: انقلع عن إيذائي بعد أن تكبر وطغى (ذَلِيلاً فِي رِبَقِ حِبالَتِهِ) الحبالة: المصيدة المصنوعة من الحبل، والربق كعذب، جمع ربق بالكسر: حبل فيه عدة عرى تربط به البهائم (الَّتي كانَ يُقَدِّرُ) ويتصور (أَنْ يَراني فيها) أي: في تلك الربق (وَقَدْ كادَ) وقرب (أَنْ يَحُلَّ بِي) البلاء الذي أراده (لَوْلا رَحْمَتُكَ ما حَلَّ بِساحَتِهِ) [ما] موصولة، أي: البلاء حل ونزل بساحة ذلك العدو.

طلب الحماية من حسد ولسان وعيون وكيد الأعداء:

(وَكَمْ مِنْ حاسِدٍ قَدْ شَرِقَ بي بِغُصَّتِهِ) يقال: شرق بالماء إذا عقد في حلقه فلم ينزل وسبب للشارب موتاً أو ألماً، وكأن الحسد كالماء يبقى في حلق الحاسد فيسبب له الألم والانهيار (وَشَجِيَ) الشجى: الألم من المصيبة وأصله من الشجو: وهو ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه (مِنِّي بِغَيْظِهِ) وغضبه (وَسَلَقَني) أي: أذاني (بِحَدِّ لِسانِهِ) أي: بطرف لسانه الذي هو كحد السيف (وَوَحَرَني) أي: أغاظني (بِقَرْفِ عُيُوبِهِ) أي: عيوبه التي اكتسبها بأن نسبها إلي مع أنها كانت له (وَجَعَلَ عِرْضي) العرض: ما يحترمه الإنسان من ذاته وأهله وما أشبه (غَرَضاً لِمَراميهِ) أي: لرميه بالسوء والكلام البذيء والمرامي جمع

مرمى، بمعنى الرمي (وَقَلَّدَني) أي: نسب إلي وجعلها كالقلادة لي (خِلالاً) أي: صفات جمع خلة (لَمْ تَزَلْ فيه) أي: معائب هي له نسبها إلي (وَوَحَرَني بِكَيْدِهِ) أي: أغاظني وأذاني بكيده ومكره الذي يكيدني به (وَقَصَدَني بِمَكيدَتِهِ) هي بمعنى الكيد، وهما بمعنى التدبير الخفي لأذى شخص غافل.

طلب الغوث والحفظ:

(فَنادَيْتُكَ يَا إلهي مُسْتَغيثاً بِكَ) أي: أطلب منك الغوث والحفظ (واثِقاً بِسُرْعَةِ إجابَتِكَ) لي في إنقاذي منه (عالِماً أَنَّهُ لا يُضْطَهَدُ) أي: لا يظلم (مَنْ أوى) أي: اتخذ المأوى والمحل (إلى ظِلِّ كَنَفِكَ) أي: إحاطتك وطرف رحمتك (وَلا يَفْزَعُ) أي: لا يخاف (مَنْ لَجَأَ) واستغاث ولاذ (إلى مَعْقِلِ) أي: محل الحرز والحفظ (انْتِصارِكَ) أي: نصرتك له (فَحَصَّنْتَني) أي: حفظتني (مِنْ بَأْسِهِ) وأذاه (بِقُدْرَتِكَ) عليه (وَكَمْ مِنْ سَحائِبِ مَكْرُوهٍ) جمع سحاب كأن المكروه يظلل الإنسان ويشتمل عليه كما يظل السحاب (جَلَّيْتَها) أي: أذهبتها وكشفتها (عَنِّي) فلم يصل المكروه إلي (وَسَحائِبِ نِعَمٍ) النعم التي كالسحاب في اشتمالها على الإنسان مظللة له (أَمْطَرْتَها عَلَيَّ) فصرت ذا نعمة بواسطتها (وَجَداوِلِ رَحْمَةٍ نَشَرْتَها) جداول جمع (جدول) وهو النهر، ونشرتها أي: أجريتها (وَعافِيَةٍ) من البلايا (أَلْبَسْتَها) إياي فإن العافية تشمل

الإنسان كما يشمل اللباس (وَأعْيُنِ أحْداثٍ) أي: الأمور المحدثة التي توجب الشدة والبلاء، وأعين جمع عين وهي منبع الماء (طَمَسْتَها) أي: أذهبتها ومحوتها حتى لم تجر تلك العين وتسبب أذيتي (وَغَواشِيَ) أي: الكربة والهم التي تغشى وتشمل الإنسان (كَشَفْتَها) أي: رفعتها فلم تغشني تلك الكربة.

التفضل بالإحسان:

(وَكَمْ) يا رب (مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ) ظننت بك حسناً في قضاء حاجتي وما أشبه (حَقَّقْتَ) أي: فعلت ذلك الشيء المظنون (وَعَدَم) أي: فقر وفاقة (جَبَرْتَ) فأبدلته غنى (وَصَرْعَةٍ) أي: سقطة (أنْعَشْتَ) بأن أخذت يدي حتى قمت من تلك الصرعة (وَمَسْكَنَةٍ) أي: فقر (حَوَّلْتَ) عني إلى غناي (كُلُّ ذلِكَ) الذي فعلت بي من الإحسان (إنْعاماً وَتَطَوُّلاً) أي: تفضلاً (مِنْكَ) علي بلا استحقاق مني (وَفي جَميعِهِ) أي: جميع ذلك الذي فعلت بي من الإحسان كنت أقابل إحسانك باقتراف الآثام (انْهِماكاً) واشتغالاً (مِنِّي عَلى مَعاصيكَ) فلم أكن أنقلع عن العصيان شكراً لما تفعل بي من الإحسان (لَمْ تَمْنَعْكَ) يا رب (إساءَتي) وعصياني لك (عَنْ إتْمامِ إحْسانِكَ) إلي (وَلا حَجَرَني) أي: لم يمنعني (ذلِكَ) الإحسان (مِنِ ارْتِكابِ مَساخِطِكَ) جمع مسخط، بمعنى الشيء الذي يوجب سخطك وغضبك.

من لا يسأل عمَّا يفعل؟

(لا تُسْأَلُ) يا رب (عَمَّا تَفْعَلُ) لأنك الرب الذي ليس فوقه أحد يسأله عن أعماله وكل أعمالك على وجه الصواب والحكمة، فلا موقع للسؤال عن علة ما عملت (وَلَقَدْ سُئِلْتَ) يا رب مختلف أنواع فضلك وإحسانك (فَأَعْطَيْتَ) وتفضلت بما سألوا (وَلَمْ تُسْأَلْ) عن بعض الحوائج (فَابْتَدَأتَ) كما أن الطفل لا يسأل حوائجه من اللّه تعالى لكنه سبحانه يعطيه ما يحتاج من العافية والرزق وما أشبه (وَاسْتُميحَ فَضْلُكَ) أي: استعطي، من الاستماحة بمعنى الاستعطاء والطلب (فَما أَكْدَيْتَ) أي: أرددت السائل (أَبَيْتَ يا مَوْلايَ إلاَّ إحْساناً) بالناس (وَامْتِناناً) أي: جعل المنة عليهم بالعطاء (وَتَطَوُّلاً) أي: تفضلاً (وَإِنْعاماً) أي: إعطاء للنعم (وَأَبَيْتُ) أنا (إلاّ تَقَحُّماً لِحُرُماتِكَ) أي: دخولاً فيها (وَتَعَدِّياً لِحُدُودِكَ) حدوده سبحانه: أحكامه (وَغَفْلَةً عَنْ وَعيدِكَ) أي: جعلت نفسي كالغافل عما أوعدت من العقاب والنكال لمن عصاك.

(فَلَكَ الحَمْدُ إلهي مِنْ مُقْتَدِرٍ لا يُغْلَبُ) أي: لا يتمكن أحد من الغلبة عليه، و(من) للبيان (وَذي أَناة) أي: صاحب حلم (لا تَعْجَلُ) بالعقوبة لمن عصاك (هَذا مَقامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النِّعَمِ) أي: أني قائم في محل المعترف بأنك أوسعت في نعمك

عليّ (وَقابَلَها بِالتَّقْصيرِ) أي: قابلت نعمك بأن قصرت في أداء شكرها (وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بِالتَّضْييعِ) أي: بأنه ضيع ما وجب عليه ولم يقم به.

التقرب بالمحمدية والعلوية:

(اللّهُمَّ فَإنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفيعَةِ) أي: الملة المحمدية التي هي أرفع من كل ملة، والمراد: دين الإسلام، والعمل بالسنة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم أي قوله وفعله وتقريره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] (وَالعَلَوِيَّةِ البَيْضاءِ) أي: الطريقة العلوية المنسوبة إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام وهي الموالاة له عليه السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» أي من يطع علياً عليه السلام فقد أطاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، التي هي بيضاء، لا لوث فيها (وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِما) أي: جاعلاً النبيّ والوصي شفيعين لي عند توجهي إليك (أَنْ تُعيذَني) وتحفظني (مِنْ شَرِّ كَذا وَكَذا) أي: الشيء الذي أخاف شره والداعي يذكر المخوف منه مكان (كذا وكذا) وتكرار اللفظة باعتبار تعدد الحاجات (فَإِنَّ ذلِكَ) الذي طلبت منك من أن تعيذني (لا يَضيقُ عَلَيْكَ فِي وُجْدِكَ) أي: فيما تجده وتقدر عليه (وَلا يَتَكَأَّدُكَ) أي: لا يثقلك (في قُدْرَتِكَ) فإن

(١) سورة النساء، آية: ٨٠.

قدرتك عظيمة لا يثقل عليها شيء (وأَنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ) تقدر على إتيانه وقضائه.

(فَهَبْ لِي يا إلهي منْ رَحْمَتِكَ وَدَوام تَوْفيقِكَ) أي: توفيقك الدائم (ما أَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ) أي: أَصعد بسبب تلك الرحمة وذلك التوفيق (إلى رِضْوانِكَ) أي: رضاك بأن أعمل الصالحات حتى ترضى عني (وَآمَنُ بِهِ مِنْ عِقابِكَ) فلا تعاقبني (يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ) أي: أرحم من كل راحم.

الفصل الخامس

الجانب الاقتصادي

- أولاً – تمهيد: المبادئ الأوليّة للاقتصاد في القرآن
- ثانياً – دعاؤه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق
- ثالثاً – دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين
- رابعاً – دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب

الجانب الاقتصادي

تمهيد: المبادئ الأوليّة للاقتصاد في القرآن.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

تشير هذه الآية الكريمة إلى أحد أهم الأُصول الكليّة للاقتصاد الإسلامي الحاكمة على مجمل المسائل الاقتصاديّة المهمّة، بل يمكن القول إنّ جميع أبواب الفقه الإسلامي التي في دائرة الاقتصاد تدخل تحت هذه القاعدة ومن هنا نلاحظ أنّ الفقهاء العظام تمسّكوا بهذه الآية - وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2] - في مواضع كثيرة في الفقه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨ .

الإسلامي الاقتصادي.

أمّا المراد من «**الباطل**» في هذه الآية الشريفة فقد ذكر له عدّة تفاسير، ذهب أحدها إلى أنّ معناه الأموال الّتي يستولي عليها الإنسان من طريق الغصب والعدوان، وذهب آخرون أنّ المراد هو الأموال الّتي يحصل عليها الشّخص من القمار وأمثاله.

ويرى ثالث أنّها إشارة إلى الأموال الّتي يكتسبها الشخص بواسطة القَسَم الكاذب (وأشكال الحيل في المعاملات والعقود التّجاريّة).

ولكنّ الظاهر أنّ مفهوم الآية عام يستوعب جميع ما ذكرنا من المعاني للباطل لأنّ الباطل يعني الزّائل وهو شامل لما ذكر من المعاني، فلو ورد في بعض الرّوايات ـ كما عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ معناه (القسم الكاذب) أو ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسيره بـ (القمار) فهو في الواقع من قبيل المصاديق الواضحة له.

وبناء على هذا يكون كلّ تصرّف في أموال الآخرين من غير الطريق المشروع مشمولاً لهذا النهي الإلهي. وهكذا فإنّ جميع المعاملات الّتي لا تتضمّن هدفاً سليماً ولا ترتكز على أساس عقلائي فهي مشمولة لهذه الآية.

ونفس هذا المضمون ورد في سورة النساء مع توضيح أكثر حيث تخاطب المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1].

إنّ استثناء التّجارة المقترنة مع التراضي هو في الواقع بيان لمصداق بارز للمعاملات المشروعة والمبّاحة، فلا تنفي الهبة والميراث والهديّة والوصيّة وأمثالها، لأنّها تحققّت عن طريق مشروع وعقلائي.

ثمّ يشير في ذيل الآية إلى نموذج بارز لأكل المال بالباطل والّذي يتصوّر بعض الناس أنّه حقّ وصحيح لأنّهم أخذوه بحكم الحاكم فيقول: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[2].

(تدلوا) من مادّة (إدلاء)، وهي في الأصل بمعنى إنزال الدلو في البئر لإخراج الماء، وهو تعبير جميل للموارد الّتي يقوم الإنسان فيها بتسبيب الأسباب لنيل بعض الأهداف الخاصّة.

وهناك احتمالان في تفسير هذه الجملة:

الأول: هو أن يكون المراد أن يقوم الإنسان بإعطاء قسمٍ من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

مالـه إلى القضاة على شكل هديّـة أو رشوة (وكليهما هنا بمعنىً واحد) ليتملّك البقيّة، فالقرآن يقول: إنّكم بالرّغم من حصولكم علـى المال بحكـم الحاكم أو القاضي ظاهـراً، ولكنّ هذا العمل يعني أكلاً للمال بالباطل، وهو حرام.

الثّانـي: أن يكـون المـراد أنّكـم لا ينبغـي أن تتحاكمـوا إلى القضاة في المسائل الماليّة بهدف وغرض غير سليم، كأن يقوم أحـد الأشخاص بإيداع أمانـة أو مال ليتيم لدى شخص آخر من دون شاهد، وعندما يطالبه بالمال يقوم ذلك الشخص بشكايته لـدى القاضي، وبما أنّ المودع يفتقد إلـى الشاهد فسوف يحكم القاضـي لصالح الطـرف الآخر، فهذا العمل حـرام أيضاً وأكلٌ للمال بالباطل.

ولا مانع من أن يكون لمفهوم الآية هذه معناً واسعٌ يشمل كلا المعنيين في جملة (لا تدلوا)، بالرغم من أنّ كلّ واحد من المفسرين ارتضى أحد هذين الاحتمالين.

والملفت للنظر أنّه ورد حديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إنّما أنا بشر وإنّما يأتيني الخصم فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض فأقضي له فإن قضيت له بحق مُسلّم فإنّما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها**»[1] أي لا تتصوروا أنه من

---

(١) في ظلال القرآن: ج ١، ص ٢٥٢.

أمواله ويحل له أكله لأن رسول الله حكم له بهذا المال، بل هي قطعة من نار[1].

فبعد بيان المبدأ الأولي للاقتصاد في القرآن نقول: قد حثّ الإسلام على العمل والسعي والاشتغال بكلّ عمل مفيد كالتجارة والزراعة، والصناعة وما شابهها من الأُمور التي تدرّ على الإنسان بالرزق الحلال وتؤدّي إلى إنعاش الاقتصاد وإليكم هذه الروايات في هذا المجال:

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**العبادةُ سبعُون جُزءاً أفضلُها طلبُ الحلال**»[2].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**طلبُ الحلال فريضة على كُلّ مُسلم ومُسلمة**»[3].

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**كان أمير المُؤمنين يحتطبُ ويستقي ويكنسُ، وكانت فاطمةُ تَطحنُ وتعجنُ وتخبزُ**»[4].

الأُسس الاقتصادية في القرآن:

يقول عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ

(١) الأمثل: ج٢، ص٥.

(٢) الوسائل: ج١٧، ص٢٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٩، ص١٠٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص١٠٤.

لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة/١).

هذه الآية من الآيات التي يستدل بها الفقهاء في كتبهم الفقهية، في البحوث الخاصّة بالحقوق الإسلامية وتستخلص منها قاعدة فقهية مهمة هي «**أصالة اللزوم في العقود**» أي أنّ كل عقد أو عهد يقام بين اثنين حول صفقة ما أو أعمال ما يكون لازم تنفيذها.

فهي تشير إلى الركائز المتينة التي تعتمد عليها المبادىء الاقتصادية المستنبطة من القرآن في هذا المجال نجدها في سور وآيات قرآنية عديدة، ومنها سورة المائدة المباركة، وفي آيتها الأولى بالذات، هذه السورة التي يمكن تسميتها بسورة تنظيم الحياة القائمة على أساس عملية التبادل وعقد الميثاق المشترك بين البشرية، والتي تؤكد الحضارة النابعة من القرآن.

ففي هذه السورة، وابتداءً من الآية الأولى يبين القرآن الأسس المعتمدة لبصائره الاقتصادية. فالأصل في الرؤية القرآنية أن كل شيء حلال إلا ما حرمه الشارع المقدس، إذ الإنسان خلق متحرراً من القيود التي تحول دون انطلاقه وبحثه عن الرزق واستثمار طاقاته وإمكاناته في سبيل معاشه وتحريك عجلة الحياة، بعيداً عما تفرضه الجاهلية من عقبات كبرى أمام

الحركة البشرية وتحول دون تحقيق رفاهها الحقيقي وأمنها الاقتصادي وسعادتها في المعاش.

وجاء الإسلام ورسالات اللّه جميعاً من أجل تحطيم هذه القيود والاغلال، لتفتح أمام الإنسان الآفاق الرحبة للتحرك والبحث عن الرزق الحلال والمنظم.

والآية الكريمة المشار إليها تقرر أن الناس أحرار في عقد معاملاتهم فيما بينهم، وذلك بما يتضمن تكريس التعاون والاستفادة من طاقاتهم وتنشيط فاعلياتهم وتنمية مواهبهم، وكذلك لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

بلى، إن هناك حدوداً شرعية يفترض على الإنسان الالتزام بها، لأنها لا تعود إلا بالنفع وتحقيق مصلحته، من حيث يعلم أو لا يعلم، إذ اللّه تعالى يرزقه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب.

وهذه الحدود في واقعها حدود مصالح الآخرين. فالإنسان حرٌّ في البحث عن مصالحه، كإعمار الأرض أو استخراج المعادن وإبرام العقود. ولكن حريته هذه لها حدود متعلقة بمصالح الآخرين، إذ ليس من حريته أن يبغي عليهم أو يدوس على حرياتهم. ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ أي أن الوفاء بما أبرم الإنسان من عقد اقتصادي يضمن عدم

تضييعه لحقوق ومصالح من تعاقد معهم.

ويشرع اللّه للإنسان حلّيّة الاستفادة من الأنعام باستثناء ظروف وحالات معينة، كأن يكون اللحم حراماً من حيث تذكيته أو غصبيته، أو كون الإنسان محرماً في أيام وأرض الحج، إذ المفروض أن تعيش في تلك البقعة المباركة وفي تلك الأيام جميع مخلوقات اللّه سبحانه دون استثناء حالة الأمن والسلم.

وهكذا يتضح أن الاقتصاد الإسلامي قائم على تشريع الحرية والتعاون واحترام حقوق الآخرين ومصالحهم، وقد تطرق الإمام السجاد عليه السلام إلى الأمور الاقتصادية بدعائه منها.

دعاؤه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق

وكان من دعائه عليه السلام إذا قتر[1] عليه الرزق:

اللّهُمَّ إنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا في أَرْزَاقنا بِسُوءِ الظَّنِّ، وَفي آجالنا بِطُولِ الأَمَلِ حَتَّى التَمَسْنا أَرْزاقَكَ مِنْ عِنْدِ المَرْزُوقِينَ وَطَمِعْنا بِآمالنا في أَعْمارِ المُعَمِّرِينَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَهَبْ لَنا يَقيناً صادِقاً تَكْفينا به مِنْ مَؤُونَة الطَّلَب، وأَلْهِمْنَا ثِقَةً خالِصَةً، تُعْفينا بِها مِنْ شِدَّة النَّصَب، وَاجْعَلْ ما صَرَّحْتَ بِه مِنْ عِدَتِكَ في وَحْيِكَ، وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ في كِتابِكَ، قاطِعاً لاهْتِمامِنا بِالرِّزْقِ

---

(١) قتر: التقتير التضيق في النفقه.

الَّذي تَكَفَّلْتَ بِهِ، وَحَسْماً للاشْتِغالِ بِما ضَمِنْتَ الكِفايَةَ لَهُ، فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الحَقُّ الأَصْدَقُ، وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الأَبَرُّ الأَوْفى: وَفي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، ثُمَّ قُلْتَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ[1].

اللغة:

(ابْتَلَيْتَنَا): اختبرتنا. (آجالِنا): الأجل: مدة العمر، انتهاء العمر. (التَمَسْنا): الالتماس: الطلب من المساوي في الرتبة. (مَؤُونَةِ الطَّلَبِ): كلفة الطلب ومشقته. (تُعْفِينا): الإعفاء: الإقالة، الترك. (النَّصَبِ): التعب. (صَرَّحْتَ بِهِ): صرح بالشيء: كشفه وبينه. (عِدَتِكَ): بكسر العين، الوعد. (وَحَسْماً): قطعاً. (الأَبَرُّ): الأوفى والأصدق.

الشرح:

الاختبار بالأرزاق والآجال:

(اللّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا في أَرْزَاقِنا بِسُوءِ الظَّنِّ) أي: القنوط من رحمتك فإن الإنسان إذا قتر عليه رزقه ظن سوءًا بالأقدار وقنط من رحمة الله تعالى، والابتلاء بمعنى الامتحان (وَفي

---

(١)) الدعاء التاسع والعشرون من الصحيفة السجادية .

آجالِنا بِطُولِ الأمَلِ) فإن الإنسان يأمل أن يبقى في الدنيا كثيراً، فاختبرتنا بالسهو عن الموت حتى كأنه على غيرنا كتب (حَتَّى التَمَسْنا) أي: طلبنا (أرْزاقَكَ) التي أنت تعطيها (مِنْ عِنْدِ المَرْزُوقِينَ) حيث قنطنا من إعطائك، وسعينا بأن نستعين بمن لا حول له ولا قوة إلا بحولك وقوتك (وَطَمِعْنا بآمالِنا) أي: بسبب أملنا في البقاء (في أعْمارِ المُعَمِّرينَ) بأن نعمر كعمرهم ، وما من آفة أعظم من الاغترار بالصحة والشباب والطمع في طول الأجل، لأنَّ الموت أقرب شيء إلى الإنسان.

طلب اليقين والثقة بالله تعالى:

(فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَهَبْ لَنا يَقيناً صادِقاً) من أعماق القلب، لا يقيناً سطحياً لم يدخل القلب (تَكْفِينا بِهِ) أي: بسبب ذلك اليقين (مِنْ مَؤُونَةِ الطَّلَبِ) لا بد من طلب الرزق والسعي وراءه وإلا فسدت الحياة واختل النظام العام، نعم فإن المتيقن بأن الأرزاق في قسمته سبحانه، لا يطلب أكثر مما أقر الله تعالى (وألْهِمْنا) الإلهام: الإلقاء في القلب (ثِقَةً خالِصَةً) بك، بحيث لا يشوبها شك (تُعْفِينا بِها مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ) أي: التعب الشديد وراء الرزق (وَاجْعَلْ) يا رب (ما صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ) أي: وعدك (في وَحْيِكَ) على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ

﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1] ثـم (وَأَتْبَعْتَهُ) أي: أتبعـت ذلك التصريح (مِنْ قَسَمِكَ) وحلفك (في كِتابِكَ) القرآن الحكيم (قاطِعاً لاهْتِمامِنا بِالـرِّزْقِ) حتـى لا نهتم بـه فوق القـدر الذي قررت مـن الطلب والاكتسـاب، والمراد بهـذه الجمل قطع الحرص فـي الطلب، لا أصـل الطلب كمـا لا يخفى فقد أمـر سبحانه بذلـك حيث قال: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[2] وأشبـاه ذلـك، والمنهـي عنه كما قـال الإمام أمير المؤمنيـن عليه السلام: «**وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ**»[3] أي عليكـم العمـل، وعلى الله الـرزق، ومن الجهـل والحماقة أن تطلبـوا الرزق وتتركوا العمـل (الَّذي تَكَفَّلْتَ بِـهِ) أي: تعهدت أن تتفضـل به على عبـادك (وَحَسْماً) أي: قطعـاً (لِلاشْتِغالِ) بأن نشتغل (بِما ضَمِنْتَ الكِفايَةَ لَهُ) حتى لا نشتغل بطلب أنت ضامن بأن تكفيه (فَقُلْتَ) في القـرآن الحكيم (وَقَوْلُكَ الحَقُّ الأَصْدَقُ) الـذي لا صدق فوقه (وَأَقْسَمْـتَ وَقَسَمُكَ الأَبَـرُّ الأَوْفى) البر في القسم الإتيـان بمتعلقها في الخارج والأوفـى بمعنى الأكثر وفاءً

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٩٧.

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أي: أنه يقدر في الجهات العالية أو المراد المطر الذي هو سبب كل رزق (وَمَا تُوعَدُونَ) أي: كل ما يوعد الإنسان به من خير وشر فإنما يقدر وينزل من طرف السماء (ثُمَّ قُلْتَ) في القرآن الحكيم في صدد الحلف على هذا الأمر (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) الفاء للتفريع، والواو للعطف (إِنَّهُ) الذي ذكرنا من أن في السماء رزقكم وما توعدون (لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)[1] أي: كما أن تكلمكم شيء قطعي ولا يمكن لأحد أن يقول: إن الناس لا يتكلمون كذلك كون الرزق والوعد يأتي من جانب السماء حتى لا يتمكن أحد أن ينكره.

دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين

وكان من دعائه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين[2]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَهَبْ لِي العافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِه وَجْهِي، وَيَحارُ فِيْه ذِهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِه شُغْلِي، وَأَعُوذُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِه وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِه، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَأَعِذْنِي مِنْهُ، وَأَسْتَجِيْرُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِه في الحَياةِ، وَمِنْ تَبِعَتِه بَعْدَ الوفاةِ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَأَجِرْنِي مِنْهُ بِوُسْعٍ فاضِلٍ وَكَفافٍ واصِلٍ، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٢ – ٢٣.

(٢) قضاء الدين: ادائه ووفائه.

مَحمَّد وَآلِه، وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَف وَالازْدياد، وَقَوِّمْني بِالبَذْل وَالاقْتِصاد، وَعَلِّمْني حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَاقْبِضْني بِلُطْفِكَ عَن التَّبْذِيرِ، وَأَجْرِ مِنْ أَسْبابِ الحَلالِ أَرْزاقِي، وَوَجِّهْ فِي أَبْوابِ البِرِّ إِنْفاقِي، وَازْوِ عَنِّي مِنَ المالِ ما يُحْدِثُ لِي مُخْيَلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلى بَغْيٍ أَوْ ما أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْياناً، اللّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ الفُقَراءَ، وَأَعِنِّي عَلى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَما زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا الفانِيَةِ فَاذْخَرْهُ لِي فِي خَزائِنِكَ الباقِيَةِ، وَاجْعَلْ ما خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطامِها، وَعَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتاعِها بُلْغَةً إِلى جِوارِكَ وَوُصْلَةً إِلى قُرْبِكَ وَذَرِيعَةً إِلى جَنَّتِكَ، إِنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمُ وَأَنْتَ الجَوادُ الكَرِيْمُ[1].

اللغه:

(تُخْلِقُ): خلق الثوب، إذا بلى. (وَيحارُ): حار الرجل: ضلَّ ولم يهتد السبيل. (وَأَعُوذُ بِكَ): أعوذ بالله: أستجير به وأعتصم. (وَأَسْتَجِيْرُ): أستجير: أستغيث. (ذِلَّتِهِ): الذلة: الهوان. (تَبِعَتِهِ): التبعة: ما يلحق الفعل من خير أو شر. (بِوُسْعٍ): الوسع: بالضم الغنى والثروة.

(فاضِلٍ): زايد. (وَكَفافٍ): الكفاف من الرزق: ما يكون بقدر الحاجة دون زيادة. (وَاحْجُبْنِي): امنعني. (السَّرَف):

(١)) الدعاء الثلاثون من الصحيفة السجادية .

من أسرف وهو الخروج عن حد الاعتدال. (وَالازْدِيادِ): الزيادة عن قدر الحاجة. (وَقَوِّمْنِي): عدلني واجعل أموري معتدلة. (بِالبَذْلِ): العطاء. (وَالاقْتِصادِ): هو التوسط في الصرف. (حُسْنَ التَّقْدِيرِ): الإنفاق بمقدار ما عنده. (التَّبْذِيرِ): صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي. (وَأَجْرِ): تقول: أجرى عليه الرزق: جعله دارّاً متصلا. (البِرِّ): اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير. (إِنْفاقِي): إنفاق المال: صرفه وإخراجه عن ملكه. (وَازْوِ): ازو: اصرفه عني وَنَحِّه. (مُخْيَلَةً): الخيلاء وهو الكبر. (تَأَدِّياً): التأدّي: الإيصال إلى الشيء. (بَغْيٍ): البغي: الاعتداء والظلم وتجاوز الحد المشروع. (فَاذْخَرْهُ): ذخرت الشيء: إذا أعددته لوقت الحاجة. (زَوَيْتَ): منعت وقبضت. (خَوَّلْتَنِي): أعطيتني. (حُطامِها): أصل الحطام هو النبات اليابس استعير لمتاع الدنيا وما فيها لسرعة ذهابه. (بُلْغَةً): ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء. (وَوُصْلَةً): كالبلغة وزنا ومعنى. (وَذَرِيعَةً): وسيلة.

الشرح:

الدين هم بالليل وذل بالنهار:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي العافِيَةَ) أي: عدم الابتلاء (مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي) أي: تصيره كالخلق البالي،

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ**»[1] والمراد بماء الوجه النضارة، والدين مال الناس عندك وفي ذمتك، وله أهميته البالغة عند الكبار والصغار، ولا شيء يوازيه إلا اللحم والدم. وفي الحديث: «**إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه**»[2]. ومن هنا كان لباذل المال ودائنه أجر عند الله تعالى وفضل على المدان والمبذول له، والإمام عليه السلام يرجو الله سبحانه أن يعافيه ويغنيه من فضله عن مال الناس دينا كان أو بذلاً، لأن كلا منهما ثقيل ووبيل (وَيَحارُ فِيْهِ ذِهْنِي) فلا يدري كيف يقضيه (وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي) أي: يتفرق هنا وهناك (وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِهِ شُغْلِي) الممارسة: العمل المستمر، فإن الإنسان المديون يشتغل شغلاً مستمراً طويلاً حتى يقضي دينه (وَأَعُوذُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ) أي: حزنه وغمه، في سفينة البحار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**الدين هم بالليل وذل بالنهار... ما الوجع إلا وجع العين، ولا الهم إلا هم الدين...**»[3] (وَفِكْرِهِ) أي: التفكير حوله (وَشُغْلِ الدَّيْنِ) أي: العمل لأجل الخلاص من الدين (وَسَهَرِهِ) فإن المديون لا ينام

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج٤١، ص١٣.

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٤٤٧.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية: موضع الشرح.

الليل تفكراً في كيفية الخلاص (فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَأعِذْنِي) أي: احفظني (مِنْهُ) أي: من الدين (وَأسْتَجِيْرُ بِكَ يا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِه) أي: الذلة التي تركب الإنسان المديون (فِي الحَياةِ) الدنيا (وَمِنْ تَبِعَتِه بَعْدَ الوفاةِ) فإن المديون لو كان قادراً على أداء دينه ولم يرده كان آثماً عليه العقاب.

(فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَأَجِرْني) أي: احفظني (مِنْهُ بِوُسْعٍ فاضِلٍ) أي: بسعة في مالي زائدة على ما أحتاج (وَكَفافٍ وَاصِلٍ) أي: قدر كاف يكفيني ويوصلني إلى حوائجي.

التوسط في الإنفاق دون إقتار ولا إسراف:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مَحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْجُبْنِي) أي: امنعني (عَنِ السَّرَفِ) هي الزيادة في الصرف، وهو التبذير وتجاوز الحد المعقول، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[1] (وَالازْدِيادِ) عن قدر الحاجة (وَقَوِّمْنِي) أي: قوِّم أموري (بِالبَذْلِ) بأن أبذل قدر اللازم فلا أبخل (وَالاقْتِصادِ) بأن أتوسط في الإنفاق فلا أسرف (وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ) بأن أقدر أموري تقديراً حسناً حتى أعرف كيف أحصل وكيف أنفق (واقْبِضْنِي) أي: اقبض على يدي وامنعني (بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ) والإسراف (وَأَجْرِ مِنْ أَسْبابِ الحَلالِ أَرْزاقِي) حتى لا أحتاج إلى أسباب الحرام كالربا وما أشبه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

سبل الخير:

(وَوَجِّهْ في أَبْوابِ البِرِّ) أي: سبل الخير كإعانة الضعفاء وبناء المساجد وما أشبه (إِنْفاقِي) حتى أنفق في هذه الأمور لا في أمور محرمة أو موارد هدراً (وَازْوِ) من [زوى] يزوي بمعنى ابتعد (عَنِّي مِنَ المالِ ما يُحْدِثُ لِي مُخْيَلَةً) أي: تكبراً وعجباً، فإن الإنسان إذا زاد ماله أخذه العجب والكبر (أَوْ تَأَدِّياً إلى بَغْيٍ) وظلم، أي: بعّد عني المال الذي يوجب الظلم (أَوْ ما أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْياناً) أو أطغى في عقبه كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[1]، ومضمون هذا المقطع من الدعاء بجمله مجتمعة أن المال وحده لايغني عن الدين إذا لم يكن معه تدبير وحسن تقدير، فقد يكون للمرء أملاك طائلة، ولكن يبذرها في سبيل الشيطان، فيضطر إلى الدين والرهونات. لذا سأل الإمام ربه سبحانه أن يقوّمه بالبذل والاقتصاد، أي يجعله معتدلاً في بذله وإنفاقه، فيأتيه المال من حلال ويصرفه في الحلال، فلا يأخذ درهماً من غير حق، ولا يضع درهماً كما سأله أن يزوي عنه من المال ما يوجب الخيلاء والكبرياء، ويؤدي إلى البغي والطغيان.

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦ – ٧.

التواضع مع الفقراء بصحبتهم:

(اللّهُمَّ حَبِّبْ إليَّ الفُقَراءَ) حتى أُحب أن أصاحبهم، فينبغي صحبة الفقراء تواضعاً لله سبحانه وطاعة لأمره تعالى حيث قال لنبيه الكريم ﷺ وهو يوصيه بأهل الفقر والمسكنة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1] وأيضا قال لرسوله الأعظم ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] قيل: المراد المستضعفون منهم. وقال نبي الرحمة ﷺ: «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**»[3]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنِيَاء لِلْفُقَرَاء طَلَباً لما عِنْدَ اللهِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهِ الْفُقَرَاءِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَى اللهِ**»[4]. (وَأَعِنِّي عَلى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ) بأن تتفضل عليَّ بصبر حسن أتمكن به من تحمل الأذى والحزن الموجود في كثير من الفقراء (وَما زَوَيْتَ عَنِّي) أي: بعدت (مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيا الفانِيَةِ) أي: أسبابها وزينتها التي يتمتع ويتلذذ الإنسان بها (فَاذْخَرْهُ لِي في خَزائِنِكَ الباقِيَة) تعطيها لي في الآخرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ**

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٣) منهاج البراعة الراوندي): ج٣، ص٣٩٣.

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٢٥.

الدُّنْيَا وزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ»[1]. (وَاجْعَلْ ما خَوَّلْتَنِي) أي: أعطيتني (مِنْ حُطامِها) أي: من متاعها سمي حطاماً: تشبيهاً بعود الزرع الذي يتحطم ويتكسر لدى الجفاف مما لا قيمة له.

طلب بلوغ جواره تعالى في الآخرة:

(وَعَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتاعِها بُلْغَةً إلى جِوارِكَ) أي: وفقني لأن أصرفها حتى تسبب لي بلوغ جوارك في الآخرة، والمراد جوار رحمته وفضله في الجنة (وَوُصْلَةً) أي، آلة للإيصال (إلى قُرْبِكَ) قرب الشرف بأن أصرفها في الخير حتى أنال بذلك رضاك (وَذَرِيعَةً) أي: وسيلة (إلى جَنَّتِكَ) فإن المال المصروف في الوجوه المشروعة يوجب الجنة (إِنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمُ وأَنْتَ الجَوادُ الكَرِيْمُ) الذي تتفضل وتجود بما طلب منك، فأعطني طلبتي بتوفيقي لما ذكرت في الدعاء.

دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب

وكان من دعائه عليه السلام عند الاستسقاء[2] بعد الجدب[3]:

اللّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِكَ المُغْدِقِ مِنَ

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٩٦.

(٢) الاستسقاء: استفعال بمعنى طلب السقي ويقال استسقيت فلانا إذا طلبت منه أن يسقيك.

(٣) الجدب: المحل والقحط.

السَّحابِ المُنْساقِ لنَباتِ أَرْضِكَ المُونقِ في جَميعِ الآفاقِ، وَامْنُنْ عَلى عبادِكَ بإيناعِ الثَّمَرَةِ، وَأَحْيِ بِلادَكَ بِبُلُوغِ الزَّهَرَةِ، وَاشْهِدْ مَلائِكَتَكَ الكِرامَ السَّفَرَةَ، بِسَقْيٍ مِنْكَ نافِعٍ، دائِمٍ غُزْرُهُ، واسِعٍ دِرَرُهُ، وابِلٍ سَرِيعٍ عاجِلٍ، تُحْيِي بِهِ ما قَدْ ماتَ وَتَرُدُّ بِهِ ما قَدْ فاتَ، وَتُخْرِجُ بِهِ ما هُوَ آتٍ، وَتُوَسِّعُ بِهِ في الأَقْواتِ، سَحاباً مُتَراكِماً هَنيئاً مَرِيئاً طَبَقاً مُجَلْجَلاً، غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ، وَلا خُلَّبٍ بَرْقُهُ، اللّهُمَّ اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مُمْرِعاً عَرِيضاً واسِعاً غَزِيراً، تَرُدُّ بِهِ النَّهِيضَ، وَتَجْبُرُ بِهِ المَهِيضَ، اللّهُمَّ اسْقِنا سَقْياً تُسِيلُ مِنْهُ الظِّرابَ، وَتَمْلأُ مِنْهُ الجِبابَ، وَتُفَجِّرُ بِهِ الأَنْهارَ وَتُنْبِتُ بِهِ الأَشْجارَ، وَتُرْخِصُ بِهِ الأَسْعارَ في جَمِيعِ الأَمْصارِ، وَتَنْعَشُ بِهِ البَهائِمَ وَالخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنا بِهِ طَيِّباتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنا بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنا بِهِ قُوَّةً إِلى قُوَّتِنا، اللّهُمَّ لا تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنا سَمُوماً، وَلا تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنا حُسُوماً، وَلا تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنا رُجُوماً، وَلا تَجْعَلْ ماءَهُ عَلَيْنا أُجاجاً، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنا مِنْ بَرَكاتِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ؛ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[1].

اللغة:

(الغَيْثَ): المطر. (وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ): ابسطها علينا. (المُغْدِق): الغدق بالتحريك ماء الكثير المطر واغدودق المطر

(١) الدعاء التاسع عشر من الصحيفة السجادية .

كثر قطره. (السَّحابِ): الغيم. (المُونِقِ): أنق الشيء راع حسنه وأعجب. (الآفاقِ): النواحي. (وَامْنُنْ): من المن وهو العطاء. (بِإيناعِ الثَّمَرَةِ): نضجها وأوان قطافها. (الزَّهرَةِ): نور النبات. (السَّفَرَةَ): جمع سفير وهو الموصل للخبر بين الطرفين وهنا الكتبة. (غُزُرُهُ): من غزر بمعنى كثر. (دِرَرُهُ): سيلانه وكثرته. (وابِلٍ): مطر شديد.

(الأَقْواتِ): جمع قوت ما يؤكل. (طَبَقاً): من أطبق إذا عمّ. (مُجَلْجَلاً): الجلجلة صوت الرعد. (مُلِثٍ): مقيم. (وَدْقُهُ): مطره. (خُلَّبٍ بَرْقُهُ): الخلب البرق الذي لا يحمل مطراً.

(مُمْرِعاً) خصيبا. (النَّهِيضَ): من نهض إذا قام واستوى. (المَهِيضَ): المكسور بعد الجبور.

(الظِّرابَ): الروابي الصغيرة. (الجِبابَ): جمع جب وهو البئر. (وَتُدِرُّ): من الدر وهو الكثرة والسيلان يقال ناقة درور أي كثيرة اللبن. (الضَّرْعَ): الضرع للحيوان بمثابة الثدي للإنسان.

(ظِلَّهُ): الظل من السحاب ما وارى الشمس منه أو سواده. (سَمُوماً): السموم بالفتح الرياح الحارة وبالضم السم القاتل. (حُسُوماً): الحسوم بالضم الشوم أو المتتابع. (صَوْبُهُ): الصوب: نزول المطر. (رُجُوماً): من الرجم وهو الرمي بالحجارة. (أُجاجاً): ملحاً مراً.

الشرح:

طلب نزول المطر من الله تعالى:

(اللّهُمَّ اسْقِنَا الغَيْثَ) أي: المطر (وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِك المُغْدِق) أي: الكثير القطر، أو كبيره (مِنَ السَّحابِ المُنْساقِ) أي: الذي سقته (لِنَباتِ أَرْضِكَ المُونِقِ) أي: المنبت (في جَميعِ الآفاقِ) جمع أفق، وهو: ما يراه الإنسان إذا وقف في الصحراء، زاعماً أن السماء قد التصقت بالأرض (وَامْنُنْ عَلى عِبادِكَ بِإيناعِ الثَّمَرَةِ) أي: تمام نضجها وبلوغها حالة الاقتطاف (وَأَحْيِ بِلادَكَ بِبُلُوغِ الزَّهَرَةِ) هي: نور النبات (وَاشْهِدْ مَلائِكَتَكَ الكِرامَ) جمع كريم (السَّفَرَةَ) جمع سفير، وهو الواسطة في إيصال الخبر بين شخصين، والمراد هنا: الملائكة الذين يأتون بالماء من السماء إلى الأرض بأمره سبحانه، قال سبحانه: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1] وهم الذين يكتبون في الصحف المطهرة، وطلب الإمام عليه السلام حضور هؤلاء السفرة ليسجلوا سحائب فضله ونعمه على عباده (بِسَقْيٍ مِنْكَ نافِعٍ) أي: أحضرهم للسقي، وأمرهم بذلك (دائِمٍ غُزْرُهُ) جمع غزير بمعنى الكثير، أي يبقى في حال كونه كثيراً (واسِعٍ دِرَرُهُ) أي: سيلانه وكثرته، من در اللبن إذا سال

(١) سورة عبس، الآية: ١٥ - ١٦.

(وابِلٍ) عظيم القطر (سَريع) في الهطول (عاجِلٍ) يأتي بالعجلة لا بالتأني (تُحْيي بِهِ ما قَدْ ماتَ) من الأراضي وأغصان الأشجار (وَتَرُدُّ بِهِ ما قَدْ فاتَ) وذهب من الحيوان والشجر، أو المراد النهر الذي قد فات ماؤه وما أشبه (وَتُخْرِجُ بِهِ ما هُوَ آتٍ) من النبات والثمر وما أشبه (وَتُوَسِّعُ بِهِ في الأَقْواتِ) جمع قوت، وهو: ما يأكله الإنسان والحيوان (سَحاباً مُتَراكِماً) بعض طبقاته فوق بعض (هَنيئاً مَريئاً) الهنيء: لذيذ الطعم، والمريء: المحمود العاقبة (طَبَقاً) أي: يطبق الأراضي ويعمها (مُجَلْجَلاً) الجلجلة: صوت الرعد، أي: مصوتاً ذا رعد، فإنه أكثر ماءً (غَيْرَ مُلِثٍ وَدْقُهُ) الودق: المطر، والملث: المقيم أي: لا يبقى مطره ممتداً في مدة، فإنه يوجب خراب العمارة والزرع (وَلا خُلَّبٍ بَرْقُهُ) الخلب: البرق الذي ليس وراءه مطر. (اللّهُمَّ اسْقِنا غَيْثاً مُغيثاً) أي: يغيثنا ويجيرنا عن القحط (مَريئاً) أي: خصيب (مُمْرِعاً) أي: يوجب الخصب والرخاء (عَريضاً) له عرض وسعة حتى يعم الأراضي (واسِعاً غَزيراً) أي: كثيراً (تَرُدُّ بِهِ النَّهيضَ) النبات الذي ينهض ويقوم على ساقه (وَتَجْبُرُ بِهِ المَهيضَ) لعل المراد به النبات المكسور لعدم الماء، وأصل المهيض في كسر العظم وما أشبه.

تفجر بنزوله الينابيع وتسقى به البشر والشجر والحيوان:

(اللّهُمَّ اسْقِنا سَقْياً تُسيلُ مِنْهُ الظِّرابَ) بمعنى الجبال

الصغيرة المنبسطة، ومعنى (تُسيلُ) تجري منها السيل (وَتَمْلأُ مِنْهُ الجِبابَ) جمع جب بمعنى: البئر، أي تملأ منه الآبار (وَتُفَجِّرُ بِهِ الأَنْهارَ) أي: تجريها، والتفجير باعتبار أول الانفجار من الأرض (وَتُنْبِتُ بِهِ الأَشْجارَ) جمع شجر (وَتُرْخِصُ بِهِ الأَسْعارَ) جمع سعر بمعنى القيمة، والرخص مقابل الغلاء (في جَميعِ الأَمْصارِ) جمع مصر بمعنى المدينة (وَتَنْعَشُ بِهِ البَهائِمَ) التنعيش: التقوية والترفيع وتجديد الطراوة (وَالخَلْقَ) أي: الناس أو سائر المخلوقات (وَتُكْمِلُ لَنا بِهِ طَيِّباتِ الرِّزْقِ) من المأكل والمشرب وما أشبه (وَتُنْبِتُ لَنا بِهِ الزَّرْعَ) أي: النبات (وَتُدِرُّ) أي: تجري (بِهِ الضَّرْعَ) أي: ثدي البهائم (وَتَزِيدُنا بِهِ قُوَّةً إلى قُوَّتِنا) قوة في الأبدان والأموال وما إليهما، هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1].

طلب عدم تسليط الريح الحارة والبرد المؤذي للنبات والحيوان والإنسان:

(اللّهُمَّ لا تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنا سَمُوماً) أي: ريحاً حارة إذا غامت السماء قد تحدث تحته ريح حارة تؤذي الإنسان والحيوان (وَلا

(١) سورة هود، الآية: ٥٢.

تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنا حُسُوماً) أي: نحساً بأن يضرنا برده (وَلا تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنا رُجُوماً) بأن يرجم البرد المؤذي للنبات والحيوان والإنسان، والصوب: بمعنى الهطول (وَلا تَجْعَلْ ماءَهُ عَلَيْنا أُجاجاً) أي: مالحاً، فإنه قد يملح ماء المطر لحالات جوية.

بركات السماء والأرض:

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؛ وَارْزُقْنا مِنْ بَرَكاتِ السَّماواتِ وَالأَرْض) بركات السماء: المطر، وبركات الأرض: النبات (إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ) فتقدر على التفضل ببركاتها علينا[1].

حكم صلاة الاستسقاء:

وهو طلب السقيا، وهي مستحبة عند غور الأنهار وفتور الأمطار، ومنع السماء قطرها لأجل شيوع المعاصي، وكفران النعم، ومنع الحقوق، والتطفيف في المكيال والميزان، والظلم، والغدر، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنع الزكاة، والحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك مما يوجب غضب الرحمان الموجب لحبس الأمطار كما في الأثر.

وكيفيتها كصلاة العيدين ركعتان في جماعة، ولا بأس

---

(١) شرح الصحيفة السجادية: موضع الشرح في الادعية.

بالفرادى رجاء، يقرأ في كل منهما الحمد وسورة، ويكبر بعد السورة في الأولى خمس تكبيرات، ويأتي بعد كل تكبيرة بقنوت، وفي الثانية أربع تكبيرات يأتي بعد كل تكبيرة بقنوت، ويجزي في القنوت كل دعاء، والأولى اشتماله على طلب الغيث والسقي واستعطاف الرحمان بإرسال الأمطار وفتح أبواب السماء بالرحمة، ويقدم على الدعاء الصلاة على محمد وآله عليهم الصلاة والسلام.

ومسنوناتها أمور: منها الجهر بالقراءة، وقراءة السور التى تستحب في العيدين.

ومنها أن يصوم الناس ثلاثة أيام، ويكون خروجهم يوم الثالث، ويكون ذلك الثالث يوم الاثنين وإن لم يتيسر فيوم الجمعة لشرفه وفضله.

ومنها أن يخرج الإمام ومعه الناس إلى الصحراء في سكينة ووقار وخشوع ومسألة، ويتخذوا مكاناً نظيفاً للصلاة، والأولى أن يكون الخروج في زي يجلب الرحمة ككونهم حفاة.

ومنها إخراج المنبر معهم إلى الصحراء، وخروج المؤذنين بين يدي الإمام.

ومنها ما ذكره الأصحاب من أن يخرجوا معهم الشيوخ والأطفال والعجائز والبهائم، ويفرق بين الأطفال وأمهاتهم

ليكثروا من الضجيج والبكاء، ويكون سبباً لدر الرحمة، ويمنعون خروج الكفار ... معهم.

مسألة ١: الأولى إيقاعها وقت صلاة العيد وإن لا يبعد عدم توقيتها بوقت.

مسألة ٢: لا أذان ولا إقامة لها، بل يقول المؤذن بدلا عنهما: (الصلاة) ثلاث مرات.

مسألة ٣: إذا فرغ الإمام من الصلاة حول رداءه استحبابا بأن يجعل ما على اليمين على اليسار وبالعكس، وصعد المنبر، واستقبل القبلة، وكبر مئة تكبيرة رافعا بها صوته، ثم التفت إلى الناس عن يمينه فسبح اللّه مئة تسبيحة رافعاً بها صوته، ثم التفت إلى الناس عن يساره فهلل اللّه مئة تهليلة رافعا بها صوته، ثم استقبل الناس فحمد اللّه مئة تحميدة، ولا بأس برفع الصوت فيها أيضا، كما لا بأس بمتابعة المأمومين الإمام في الأذكار، بل وفي رفع الصوت، ولعله أجلب للرحمة وأرجى لتحصيل المقصود، ثم يرفع الإمام يديه ويدعو الناس ويبالغون في الدعاء والتضرع والاستعطاف، والابتهال إليه تعالى، ولا بأس بأن يؤمن الناس على دعاء الإمام، ثم يخطب الإمام ويبالغ في التضرع والاستعطاف، والأولى اختيار بعض ما ورد عن المعصومين عليهم السلام، كالواردة عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

ممـا أولها (الحمد لله سابق النعـم.... الخ) و الأولى أن يخطب فيها خطبتين كما في العيدين، و يأتي بالثانية رجاء.

مسألة ٤: كما تجوز هذه الصلاة عند قلة الامطار تجوز عند جفاف مياه العيون والأبار.

مسألـة ٥: لـو تأخـر الإجابـة كـرروا الخروج حتـى يدركهم الرحمـة إن شـاء اللّه تعالى، ولو لم يجبهـم فلمصالح هو تعالى عالـم بها، وليس لنا الاعتراض ولا اليأس من رحمة اللّه تعالى، ويجـوز التكرار متصـلاً والاكتفاء بصوم الثلاثـة، وغير متصل مـع صوم ثلاثة أيام أخـر يؤتى بها رجاء، بل يؤتى بالتكرار أيضا رجاء[1].

والحمد للّه الذي جعل القرآن وأهل البيت هدىً ورحمةً للأُمّة، وجعلهما أداةً تجتمع عندها كلمة المسلمين وتتوحّد بها جامعتهم، ونسأل اللّه أن يوفّقنا لخدمة القرآن، وللسير على هديه إنّه حميد مجيـد، وسلام اللّه عليكـم وعلى عبـاد اللّه الصالحين ورحمته وبركاته. تم بتاريخ: ٧ / ذو الحجة / ١٤٣٥هـ المصادف لذكرى شهادة الإمام الباقر باقر علم النبيين عليه السلام.

الشيخ فادي الفيتروني.

---

(١) تحرير الوسيلة: ج١، ص٢٤٥.

المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- الصحيفة السجادية، الإمام السجاد عليه السلام (المتوفّى ٩٤ هـ).
٣- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي: محمد بن الحسن (٣٥٩ـ ٤٠٤هـ) بيروت ـ ١٣٨٧هـ.
٤- شرح الصحيفة السجادية، السيد محمدالحسيني الشيرازي، طبعة ٢٠٠٢ م، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر.
٥- في رحاب الصحيفة السجادية، تأليف: السيد عباس علي الموسوي، نشر دار المرتضى / ١٩٩١م.
٦- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، العلامة محمد تقي الشوشتري (١٣٢٠ ـ ١٤١٥ هـ).
٧- مجمع البيان: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ـ٥٤٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.
٨- وفيات الأعيان، لأحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، الشريف الرضي ـ قم ١٣٦٤ هـ ش.
٩- تاريخ أهل البيت عليهم السلام، رواية كبار المحدّثين والمؤرّخين، تحقيق: محمّد رضا الحسيني، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هـ. ق.
١٠- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت ـ ١٤٠١هـ.

١١- تفسير البرهان (البرهان في تفسير القرآن): للسيد هاشم البحراني، المتوفّى سنة ١١٠٧هـ، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ.
١٢- رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال)، لشيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، جامعة مشهد ١٣٤٨ هـ ش.
١٣- المحجة البيضاء، المحقق الكاشاني، مؤسسة الاَعلمي ـ بيروت ١٤٠٣ هـ ط٢.
١٤- أصول الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٥- عوالم العلوم والمعارف، للشيخ عبد الله البحراني(ق١٢)، تحقيق ونشر: مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الطبعة: الاولى ١٣١٣هـ.
١٦- تاريخ دمشق «**ترجمة الإمام زين العابدين** عليه السلام»، لأبي القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقيّ (ت ٥٧١ هـ. ق) تحقيق: محمّد باقر المحموديّ، دار التعارف ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٣٩٥ هـ. ق.
١٧- مختصر تاريخ دمشق: لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، ٢٩ ج، الطبعة الاولى: دار الفكر للطباعة والنشر - دمشق، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.
١٨- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ)، ٢٥ ج، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
١٩- الاحتجاج: الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٢٠- بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي (م ١١١١هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.
٢١- إرشاد القلوب، لأبي محمّد الحسن بن أبي الحسن الديلميّ (ت ٧١١ هـ. ق)، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ. ق.
٢٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد هبة الدين بن محمد (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة، تأليف: أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة: الثانية ١٩٨٥م.
٢٤- تفسير نورالثقلين، للشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسيّ الحويزيّ (ت ١١١٢ هـ. ق)، قم، الطبعة الرابعة ١٢٤١ هـ. ق.
٢٥- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٢٦- عوالي اللآلي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور (ت ٩٤٠ هـ. ق)، مطبعة سيّد الشهداء عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٣ه.ق.
٢٧- مستدرك سفينة البحار، لعلي نمازي الشاهرودي، ط سنة ١٤١٠هـ.ق، مؤسسة البعثة، إيران.
٢٨- كنز العمّال: عليّ المتّقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة / بيروت، ١٩٨٩ م.

٢٩- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغينة (المتوفّى ١٤٠٠هـ).
٣٠- غريب الحديث في بحار الأنوار، تأليف: حسين الحسني البيرجندي، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، الطبعة: الاولى ١٤٢١هـ، عدد الصفحات: ١٠٠٠.
٣١- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، للعلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسيّ (ت ١١١١ هـ. ق)، دارالكتب الإسلاميّة ـ طهران، الطبعة الأُولى ١٤٠٤ هـ. ق.
٣٢- في رحاب القرآن، المؤلف: السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، الطبعة: ١، ١٤٢١ هـ.
٣٣- رَوض الجِنان ورَوح الجَنان، المعروف بـ(تفسير أبو الفتوح الرازي) الشيخ حسين الخزاعي قدس سره، (٤٨٠ هـ - ٥٥٢ هـ).
٣٤- تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (المتوفى ١١١٢ هـ)، (ط. المطبعة العلمية، قم - إيران).
٣٥- مفاتيح الجنان، للشيخ عبّاس القمّي رحمه الله (ت ١٣٥٩ هـ. ق).
٣٦- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٨٦هـ.
٣٧- في ظلال الصحيفة السجادية، الشيخ مغنية، دار التعارف ـ بيروت ط٢.
٣٨- وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ـ ١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٣٩- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١).طبع دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٤٠- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (المتوفّى ٥٧٣ هـ).

٤١- تحرير الوسيلة: الإمام الخميني قدس سره توزيع دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م).

٤٢- إحياء العلوم: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) دارالمعرفة – بيروت.

٤٣- المفردات في غريب القران، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفي سنة ٥٠٢ هـ.

٤٤- مستدرك الوسائل، للميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم ١٤٠٧ هـ.

الفهرس

المقدّمة: ٥

أوّلاً: التزام الزهد والعبادة والمواساة للفقراء:..............٧

ثانياً: ظاهرة الهيبة والمنزلة العظيمة:.....................٩

ثالثا: ظاهرة الاهتمام بالقرآن الكريم: ١١

رابعاً: التزام الدعاء. ١٥

الفصل الأول: الجانب العقائدي ١٩

- **أولاً - تمهيد: أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أشد الناس تمسكاً بالقرآن الكريم.................................. ١٩**
- **ثانياً - دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن....................... ١٩**
- **ثالثاً - دعاؤه في التحميد لله تعالى ١٩**

الجانب العقائدي ٢١

تمهيد: ٢١

أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم من أشد الناس تمسكاً بالقرآن الكريم ٢١

دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن.................. ٢٧

اللغة: ٣١

الشرح: ٣٤

توصيف القرآن الكريم: ٣٤

تلاوة القرآن: ٣٨

نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٩

خزنة القرآن الكريم: ٤٢

الاعتصام بحبل الله تعالى:............................ ٤٣

الهادي والمرشد: ٤٤

القرآن وسيلة لمنازل الكرامة:.......................... ٤٤

العمل بالقرآن يطهرنا من الذنوب: ٤٥

القرآن المؤنس والحارس: ٤٦

القرآن حماية من الوساوس والفزع الأكبر: ٤٩

القرآن يجبر الثغرات: ٥١

القرآن يهوّن علينا حالة الاحتضار........................ ٥٢

أحوال القبر:........................ ٥٣

مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عند الله سبحانه: ٥٦

دعاؤه في التحميد لله تعالى ٥٨

اللغة: ٦٢

الشرح: ٦٦

هو الأول والآخر:.. ٦٦

آثار الحمد لله سبحانه: ٧٢

الشكر على معرفة الله تعالى:........................ ٧٤

طريق يوم القيامة: ٧٥

محاسن الخلق وإجراء الارزاق:............................ ٧٩

قضاء الحوائج:.. ٨٠

نعمة الجوارح: ٨٠

فتح باب التوبة:... ٨٣

أكرم الخلق إلى الله تعالى: ٨٥

ستر الذنوب وغفرانها: ٨٦

نيل ثواب الشهداء: ٨٧

الفصل الثاني : الجانب الاجتماعي ٨٩

- أولاً – تمهيد: الحياة الاجتماعية في القرآن............... ٨٩
- ثانياً – دعاؤه عليه السلام لأبويه عليهما السلام ٨٩
- ثالثاً – دعاؤه عليه السلام لوِلْدِه عليهم السلام ٨٩
- رابعاً – دعاؤه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم ٨٩

الجانب الاجتماعي ٩١

تمهيد: ٩١

الحياة الاجتماعية في القرآن:............................ ٩١

دعاؤه عليه السلام لأبويه عليهما السلام ٩٥

وكان من دعائه عليه السلام لأبويه عليهما السلام:......................... ٩٥

اللغة: ٩٧

الشرح: ٩٨

طلب التلطف بالوالدين: ٩٨

معرفة تكليفي بالنسبة إلى أبويَّ: ٩٩

التشريف بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ١٠٠

هيبة الأبوة:... ١٠١

غض الصوت أمام الوالدين: ١٠٣
الجزاء بالإحسان للوالدين:............ ١٠٤
طلب العفو: ١٠٤
طلب التسامح والتجاوز عن التقصير:............ ١٠٥
تفضل عليهما بأحسن رحمة وأفضل ثواب: ١٠٨
الدعاء للأبوين: ١٠٩
الشفاعة المتبادلة ورجاء الاجتماع في الجنَّة:............ ١١٠
دعاؤه عليه السلام لوِلْدِه عليهم السلام ١١١
وكان من دعائه عليه السلام لوِلْدِه عليهم السلام: ١١١
اللغة: ١١٣
الشرح: ١١٥
الوالد يتمنى طول الحياة لولده: ١١٥
طلب القوَّة والصحة والتقوى والرزق للأولاد:............ ١١٥
طلب إلهام المحبة والعون للأهل: ١١٨
حفظ الذرية من همزات الشيطان:............ ١١٩
دعاؤه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم ١٢٥
وكان من دعائه عليه السلام لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم: ١٢٥
اللغة:............ ١٢٦

الشرح: ١٢٧

الإحسان والخير والعطف على الجيران:.................. ١٢٧

تبادل العطف والإحسان والحنان: ١٣١

الفصل الثالث: الجانب الأخلاقي........................ ١٣٣

• **أولاً - تمهيد: الأخلاق في القرآن** ١٣٣

• **ثانياً - دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال** ١٣٣

• **ثالثاً - دعاؤه في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال** ١٣٣

الجانب الأخلاقي... ١٣٥

تمهيد: الأخلاق في القرآن. ١٣٥

النّتيجة: ١٤٠

أهميّة الأخلاق في الرّوايات الإسلاميّة: ١٤١

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال ١٤٢

اللغة: ١٤٧

الشرح: ١٥٢

الدرجة الأكمل من الإيمان: ١٥٢

إخلاص النية وصحة اليقين: ١٥٣
طلب الأخلاق الفاضلة الرفيعة: ١٥٤
حتى لا أترفّع وأتكبر: ١٥٨
طلب الهداية والنية الصافية والطاعة الدائمة: ١٥٨
طلب كرائم الأخلاق: ١٥٩
طلب رفع البغض والظلم والعقوق: ١٦٠
طلب الظفر على العدو: ١٦٣
التوفيق للنصح والبذل والصلة لمن عاكسني: ١٦٤
طلب الرزق والنشاط والرضوان: ١٧٢
لاتسلط عليّ مَن يظلمني: ١٧٦
طلب العفو والمغفرة: ١٧٧
التوفيق للنطق بالهداية وأطهر الطرق وأنماها: ١٧٨
طلب الوسطية والسداد والرشاد والمعاد: ١٨٠
طلب الصلاح والخلاص من الهلكة والمعاصي: ١٨١
طلب الملجأ: ١٨٢
طلب السلامة من كل آفة وشدة: ١٨٤
طلب الرزق وترك الإسراف: ١٨٥
طلب الصحة والزهد والعلم: ١٨٨

الأمور بخواتيمها:.. ١٨٩

ترك الغفلة عن الشكر: ١٨٩

طلب أرقى الدرجات والحسنات: ١٩٠

دعاؤه في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال..... ١٩١

اللغة: ١٩٢

الشرح: ١٩٣

ترك الحرص والغضب والحسد وقلّة الصبر والقناعة..:.. ١٩٣

ترك الغش: ١٩٨

القلب السليم: ١٩٩

ترك الإسراف وطلب الكفاف: ١٩٩

الاستعداد قبل الموت: ٢٠٠

طلب الثواب وصرف العقاب: ٢٠٠

طلب الحفظ من سوء الدنيا والآخرة: ٢٠٠

الفصل الرابع :الجانب السياسي والجهادي ٢٠١

- **أولاً - تمهيد: السياسة والجهاد في القرآن والدعاء ٢٠١**
- **ثانياً - دعاؤه عليه السلام لأهل الثغور ٢٠١**
- **ثالثاً - دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم ٢٠١**

الجانب السياسي والجهادي.......................٢٠٣
تمهيد: السياسة والجهاد في القرآن والدعاء ٢٠٣
مع من تتشاور؟ ٢٠٥
وظيفة المشير: ٢٠٥
دعاؤه عليه السلام لأهل الثغور ٢٠٩
وكان من دعائه عليه السلام لأهل الثغور: ٢٠٩
اللغة: ٢١٣
الشرح: ٢١٦
طلب تقوية الثغور وتعزيزها:................... ٢١٦
حماية الحدود: ٢١٧
طلب معرفة أمور الحرب: ٢١٨
طلب نسيان زخارف الدنيا وتذكر الآخرة في ساحة الحرب: ٢١٨
ثبات أهل الثغور وصبرهم: ٢٢٠
دعاء الإمام عليه السلام على العدو بالعقم:................. ٢٢٢
طلب نزول الكوارث والنكبات بالاعداء:................. ٢٢٣
طلب النصرة وخذل الأعداء: ٢٢٥
أوقع العداوة والبغضاء بين المعتدين: ٢٢٧
املأ قلوب الأعداء بالفزع والهلع:................... ٢٢٧

طلب الرمي بالوباء والبلايا والخراب للأعداء:............ ٢٢٩
طلب التوفيق في السير إلى العدو وقتاله: ٢٣٠
خليفة المجاهد في سبيل الله:........................... ٢٣٤
نصرة الإسلام وتقدمه: ٢٣٦
الصلاة الأتم على الرسول وآله صلواتك عليه وعليهم: ٢٣٧
دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم ٢٣٨
اللغة: ٢٤٠
الشرح: ٢٤٤
مقتضى الهداية هو العمل الصالح:........................ ٢٤٤
طلب الحراسة والرقابة والحماية:........................ ٢٤٦
طلب الحماية من حسد ولسان وعيون وكيد الأعداء: ٢٤٩
طلب الغوث والحفظ: ٢٥٠
التفضل بالإحسان: ٢٥١
من لا يسأل عمَّا يفعل؟................................ ٢٥٢
التقرب بالمحمدية والعلوية:............................ ٢٥٣

الفصل الخامس: الجانب الاقتصادي ٢٥٥

- **أولاً - تمهيد: المبادئ الأوليّة للاقتصاد في القرآن ٢٥٥**

• **ثانياً - دعاؤه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق ٢٥٥**

• **ثالثاً - دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين ٢٥٥**

• **رابعاً - دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب ٢٥٥**

الجانب الاقتصادي ٢٥٧

تمهيد: المبادئ الأوليّة للاقتصاد في القرآن. ٢٥٧

الأُسس الاقتصادية في القرآن:............................ ٢٦١

دعاؤه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق ٢٦٤

وكان من دعائه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق: ٢٦٤

اللغة: ٢٦٥

الشرح: ٢٦٥

الاختبار بالأرزاق والآجال:................................ ٢٦٥

طلب اليقين والثقة بالله تعالى:............................ ٢٦٦

دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين ٢٦٨

اللغه: ٢٦٩

الشرح: ٢٧٠

الدين هم بالليل وذل بالنهار: ٢٧٠

سبل الخير: ٢٧٣

التواضع مع الفقراء بصحبتهم: ٢٧٤

طلب بلوغ جواره تعالى في الآخرة: ٢٧٥

دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب ٢٧٥

اللغة: ٢٧٦

الشرح: ٢٧٨

طلب نزول المطر من الله تعالى: ٢٧٨

تفجر بنزوله الينابيع وتسقى به البشر والشجر والحيوان: ٢٧٩

طلب عدم تسليط الريح الحارة والبرد المؤذي للنبات والحيوان والإنسان: ٢٨٠

بركات السماء والأرض: ٢٨١

حكم صلاة الاستسقاء: ٢٨١

المصادر **٢٨٥**

الفهرس ٢٩١